
وليام ايكلتون جي. أر.
الجمهورية الكردية ١٩٤٦
في مهاباد
ترجمة: د. حسين أمين

الجمهورية الكردية ١٩٤٦
في مهاباد

وليام ايكلتون جي. أر.

# الجمهورية الكردية ١٩٤٦ في مهاباد

ترجمة: د. حسين أمين






المؤلف: وليام ايكلتون جي. آر.
عنوان الكتاب: الجمهورية الكردية ١٩٤٦ في مهاباد
ترجمة: د. حسين أمين
الناشر: دار المدى
الطبعة الأولى: ٢٠١٢
تصميم الغلاف: ريم الجندي


**دار المدى للثقافة والنشر**

**بيروت**-الحمراء-شارع ليون -بناية منصور-الطابق الأول - تلفاكس: ٧٥٢٦١٦-٧٥٢٦١٧
www.daralmada.com Email:info@daralmada.com

**سورية** - دمشق ص. ب.: ٨٢٧٢ او٧٣٦٦ -تلفون: ٢٣٢٢٢٧٥ -٢٣٢٢٢٧٦-فاكس: ٢٣٢٢٢٨٩

***Al Mada*** Publishing Company F.K.A. - Damascus - Syria
P.O.Box . : 8272 or 7366 .-Tel: 2322275 - 2322276 , Fax: 2322289

**بغداد**- أبو نواس- محلة ١٠٢- زقاق ١٣-بناء ١٤١
مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
E-mail:almada112@yahoo.com



**ISBN: 978-2-84306-149-3**

# مقدمة المؤلف

ربما يكون الوقت مبكراً للبحث في جميع جوانب قيام جمهورية مهاباد ولكنه مناسب جداً للحديث عنها بصورة عامة، وعن أسباب قيامها عام ١٩٤٦ وسقوطها بعد عام ونيف من ارتفاع رايتها عالياً في السماء، وذلك لمرور حقبة زمنية ليست طويلة في عمر الزمن، ولا قصيرة يحول قصرها دون استقصاء الحقائق التي أحاطت بمسيرتها استقصاء دقيقاً يبرّئ البحث من التأثر بالأهواء الناتجة من الجدل والخلاف المثارين حولها، لتنطلق إلى تقييمها وفق ما تمليه علينا الحوادث التي لا تلبث أن تضمحل بعد حين في ذاكرة الإنسان، والتي تشكل مع الآثار المطبوعة والمنشورة المصادر الأساسية للقصة الكاملة لجمهورية مهاباد، على أن كثيراً من الوثائق التي تعين البحث على إعطاء صورة حقيقية قد أتلفت من قبل الأكراد أنفسهم، لطمس معالم الحوادث التي تشكل إدانة لهم من جانب السلطات الإيرانية، إضافة إلى أن الأخيرة، أي السلطات الإيرانية نفسها لم تول اهتماماً وعناية بالمحافظة على ضياع مثل تلك الوثائق التي تثير لديها ولدى الناس ذكريات مريرة عن الأحداث التي انحرفت عن المجرى الرئيسي للاندماج القومي والتقدم الإيراني، وعلى هذا فقد

كان اعتمادي الكبير في تأليف هذا الكتاب على ذكريات غير متكاملة، متناثرة في ذاكرة متعبة.

ومن الصعوبات التي استوقفتني في طريق مسيرتي في هذا البحث، ضبط تواريخ الحوادث التي يؤدي السهو والغفلة والتساهل في تثبيتها بصورة دقيقة إلى أخطاء كثيرة، ينجم عنها معاملة بعض الشخصيات بلطف، وبعضها الآخر بقسوة.

وقد صرفت النظر عن الاستعانة ببعض المقالات التي كتبت بهذا الشأن، سواء أكانت صالحة أم سيئة لعدم حاجتي إليها.

أما مصدر المعلومات المدونة باللغة الإنجليزية عن جمهورية مهاباد فهو المقالة التي نشرها في جريدة ميدل ايست (Middle East Journal) في تموز ١٩٤٧ أرتشي روزفلت، وهو أحد الأجانب القلائل الذين زاروا مهاباد زمن الجمهورية، والحقيقة أن عدة تواريخ أسيء وضعها في أماكنها المناسبة في تلك المقالة، غير أن مما يبرر ذلك نظرتها العميقة إلى الأحوال في مهاباد في ذلك الحين.

ولا بد أن أتقدم بالشكر إلى "كورش حبيبي" من مهاباد، والموجود حالياً في القنصلية الأميركية في "تبريز" الذي اصطحبني في عدة رحلات حقلية، وهيأ لي مقابلات مع بعض الشخصيات كما أعانني بمهارته اللغوية وحكمته واتزانه في تدوين كل ما يتعلق بقصة مدينة (مهاباد) مسقط رأسه. ولا أنسى أيام العطل التي أتيحت للسيدة "Oscar Regnolds" أوسكار العاملة، في الخدمات الخارجية الأميركية بقيامها لي بالتهذيب والاستنساخ والطباعة على الآلة الكاتبة للمسودة الأولى من هذا التاريخ، إضافة إلى الذين قرأوا المخطوط وقدموا مقترحات مفيدة ومنهم (سير ريد بولارد)[1] "Sir Reader

"Bullard" بشكل خاص، وكذلك الآنسة هيرميا أوليفر "Miss Hermia Oliver" من موظفي قسم التحرير في دارجاثام. كما كان السير آرشي روزفلت لطيفاً جداً معي لقراءته لي مقتطفات من ملاحظاته عند زيارته إلى مهاباد، وإتاحته لي فرصة استعمال صورتين فوتوغرافيتين من مجموعة صوره، وكذلك لا بد أن أصرح بأني مدين إلى السيد "سي" ج إدمون وندز(٢) ."C.G.Edmonds" وكتابه عن كردستان العراق، "الأكراد والأتراك، والعرب"، ولبيير روندت "Pierre Rondot" لتشجيعه، ولإيحائه غير المباشر إلى قيامي بهذه الدراسة التأريخية. كما وأني سأبقى مديناً بالشكر لكل أولئك الفرس والعرب والأتراك والأكراد، الذين شجعوني على التزام جانب الحياد في استخدامي للمواد التي زودوني بها، وعلى الإيمان بمقدرتي لكتابة تاريخ هذه الفترة الزمنية من عصرهم. وعلى أن أذكر ضباط الجيش الإيراني الذين كانوا عوناً لي، ومن بينهم أمير اللواء المتقاعد (همايوني) والعميد (علي أصغر فيوضي) والعقيد (مهران). أما عن أسماء مصادري الكردية، فقد ظهرت في هذا الكتاب وملاحقه. وقد فضل معظمهم أن تبقى أسماؤهم طي الكتمان ولذا أهملتها حين نقلت عنهم باستثناء "سيد أحمد بن سيد طه شمزينان"، الذي حدثني أول ما حدثني عن مغامراته في خدمة الجمهورية في إحدى أيام عام ١٩٥٥، بينما كنا راكبين سيارة جيب في منطقة بارزان ووجهتنا "ميركه سور". وقد حرم موته الفجائي في أربيل عام ١٩٥٨ المشهد روحاً جذابة، وأفقدني صديقاً مخلصاً من كردستان عندما عدت إليها في عام ١٩٥٩.

وأما عن أصدقائي الأكراد الآخرين، ومصادر معلوماتي ممن

ساهم منهم في ظهور هذا التاريخ، فإن القارئ سوف يستدل على معظمهم بالاستنتاج.

وقبل أن أنتهي من هذا التمهيد، أود أن أشير إلى انتهاجي في ذكر الأسماء وغيرها منهج الكتب التي تحتوي على أسماء أو عبارات باللغات المستعملة في منطقة الشرق الأوسط، والتي تتبع نظاماً خاصاً في كتابتها لمحتوياتها، وذلك باستخدامها اللغة التي تترجم إليها تلك الكتب، أو أنها تحاول على الأقل أن تجد مبرراً لانعدام مثل هذا النظام كما أفعل، وذلك لأن النظام الذي أسير عليه غير مستقر، رغم أنه مرتكز على بعض الاعتبارات اللائقة. ترى مثلاً، أن معظم الأسماء الشخصية مأخوذة عن اللغة العربية ولدى كتابتها بالخط العربي المستعمل في اللغات الفارسية والعربية والكردية، فإنها تحتفظ بهجائها العربي الأصيل. فالتلفظ الكردي للأسماء الشخصية، رغم اختلافه بين منطقة وأخرى، فإنه يبقى داخل كردستان عادة أقرب إلى اللفظ العربي الأصيل من اللفظ الإيراني. ولهذا فإنني ملت إلى نقل الأسماء باللفظ العربي مع بعض الاستثناءات كما في "عبيد الله" "Obidullah" عوضاً عن "عبدالله" "Ubaidullah" حيث أن اللفظ العربي لا يقارب كثيراً اللفظ الحقيقي السائد في المنطقة موضوع هذا البحث، وبما أنني أقيد نفسي بحدود الأبجدية اللاتينية مهملاً حرف الـ"ع" والهمزة، لا أقدم أية وسائل لإعادة الأسماء والكلمات الأجنبية، إلى أشكالها الأصلية بطريقة علمية، ولن يجد المختصون بدراسة شؤون ولغات الشرق الأوسط صعوبة في الكشف عن المواضيع التي أهمل فيها حرف الـ"ع" ورموز أخرى.

وحيث أنني كنت مرتبطاً، ولا زلتُ حتى الوقت الحاضر، بوزارة

الخارجية للولايات المتحدة، فإنني أؤكد بأن المادة المستعملة هنا لا تمت بصلة إلى أصل رسمي، وأنني المسؤول الوحيد عن جميع وجهات النظر والتفسيرات.

**نيسان ١٩٦٢**

**ويليام إيكلتون**

# توطئة

إن المسح الجغرافي والتاريخي للمناطق الجبلية التي يعيش فيها الشعب الكردي الشقيق، ليس له حظ وافر في عالم التأليف، وسبب ذلك نابع من الطبيعة الوعرة التي جعلتها تكون شبه منعزلة عن العالم الخارجي، لصعوبة المسالك وقلة وسائط النقل التي تعتمد غالباً الوسائل البدائية كالخيل والبغال، وقد يتعذر الوصول إلى بعضها حتى لدى الاستعانة بهذه الوسائط مما يُلجئ للسير على الأقدام، إضافة إلى خضوع هذه المناطق لأنظمة سياسية متعددة يمنع الاطلاع عليها بصورة كاملة ولمرة واحدة.

وعلى الرغم من الغنى التاريخي المزدحم بالحوادث والوقائع المهمة التي يخطب الباحثون ود الحصول عليها، فإن المصادر المتوفرة عنها قليلة، ولا تتناسب مع أهميتها السياسية والاجتماعية ولا مع دورها الفعال في حركة التاريخ، وتأثيرها الكبير على مجرى الأحداث في هذه المنطقة ذات الأهمية الستراتيجية، وما كتب بصدد ذلك في اللغة العربية، على الرغم من قلته التي ذكرناها قبل قليل، فإنه كثير الاعتماد على ما ألفه الأجانب الذين أهلهم تطور بلادهم الحضاري وسبقها الثقافي على سبر أغوار الأحداث التي

مرت بالمناطق الكردية، مما يجعلنا بحاجة دائمة إلى ترجمة تلك الكتب التي سنحت لها الفرصة بتسجيل ما فاتنا تسجيله من تلك الوقائع، التي تشكل جزءاً مهماً من تاريخنا وتأريخ المنطقة بسبب الأحوال السياسية والثقافية المتأخرة، التي كانت سائدة قبل التفتح الحضاري والنهوض الفكري والثقافي، الذي هو في طريق شمول لرقعة هذه المنطقة.

وانطلاقاً من هذا المفهوم الثابت، سعينا إلى ترجمة هذا الكتاب الذي ألفه أحد الأجانب من الذين تسلموا مراكز سياسية في بلادهم، وقاموا بتمثيلها في هذا الجزء من العالم.

والذي قادنا إلى تعريب هذا الكتاب دون غيره، الموضوع المهم الذي اشتمل عليه، متحرياً سبل الأمانة العلمية والدقة التأريخية، وباحثاً مختلف جوانبه بعين الخبير الفاحصة بأناة وروية، متسلسلاً في إيراد حوادثه بتتابع، يظهر الموضوع للقارئ بجلاء ووضوح.

والموضوع الذي خاضه هذا الكتاب، هو موضوع تأسيس جمهورية "مهاباد" الكردية وأسبابه ودوافعه، والتنظيمات السياسية السرية والعلنية التي مهدت له، والرجال الذين لعبوا دوراً مهماً فيه، كما يتناول سقوط هذه الجمهورية التي لم تدم سوى عام ونصف تقريباً، والأسباب التي قادتها إلى هذا السقوط السريع.

وهو لا يغفل، قبل أن يضع الخطوط العريضة لهذه الجمهورية أن يتحدث وبشكل موجز وافٍ بالمنفعة عن تأريخ المناطق الكردية وتأريخ الأكراد وأصولهم التأريخية، كما يمهد لها ببسط المسيرة الحياتية للقائمين بها بسطاً محايداً، لم تؤثر عليه نزعات الكاتب السياسية، ولم تحرف مجراه مطامع بلاده الاستعمارية.

ولما كان الدافع الأساس لتعريبه، هو كشف الصورة الحقيقية لقيام تلك الجمهورية أمام القارئ العربي، الذي نعتقد اعتقاداً جازماً بأنه يفتقر إلى المعلومات عنها بصورة دقيقة، والتي هو بحاجة ملحة على أن يكون على بصيرة تامة بتاريخ منطقته، لما في هذه المعرفة للماضي من أثر فعال في رسم خطواته، للسعي إلى بلوغ مستقبل متطور ومتحضر يساير التطور الحضاري الذي يسود العالم في هذا العصر.

وانسجاماً مع هذا الهدف نفسه، رأينا التمهيد بمقدمة كافية عن الكتاب، تلقي ضوءاً على جميع ما تناوله من الحوادث والوقائع، ولتساعد القارئ للوصول إلى ما ينشده من الجوهر الموضوعي له، دون بذل جهد فكري كبير، وليس بخافٍ ما لبسط محتويات الكتب بشكل ملم وسريع من منافع جمة تزود القراء بمعلومات يحتاجونها خلال التسلسل بمطالعتها، والتي لا يستطيعون بلوغها إلا بعد أن يأتوا عليها جميعاً.

فقبل أن يصل المؤلف إلى هدفه من وضع هذا الكتاب، والذي حمل اسم ذلك الهدف نفسه، يتحدث باختصار عن تاريخ الأكراد وانتمائهم العرقي ونشأتهم وأماكنها والدول التي أسسوها سابقاً، ويعرض لآراء المؤرخين بهذا الصدد، موضحاً في نهايته الرأي الذي توصل إليه بخصوصهم.

فلا تدلي المصادر التأريخية على اختلافها رأياً قاطعاً عن انحدار الأكراد وجذورهم الانتمائية ومواطنهم الأصلية وزمن سكناهم في المناطق التي يسكنونها الآن، والمنابع الأولى للغة التي يتكلمونها والتي تتفرع إلى عدة فروع تلتقي في أصول متقاربة.

فمن المؤرخين المهتمين بتاريخ الأكراد من يذكر بأنهم ليسوا إلا بقايا من الغوتيين الذين استوطنوا جبال لورستان في الألف الثالث قبل الميلاد، ويستشهد بصحة قوله على إمكان العثور على ملامحهم في تأريخ هؤلاء القوم الذين اتخذوا الحضارة الأكدية حضارة لهم، بل لم يقفوا عند هذا الحد، وإنما قاموا بغزوات متعددة ضدها وحاولوا تخريبها، ولكنهم فشلوا في النهاية وعادوا على أعقابهم خاسرين.

ومن المؤرخين من يقول بأنهم الكاشيون، ومنهم أيضاً من يعيدهم إلى أصول مختلفة استطاعت بواسطة الاختلاط والتمازج والاتحاد الاجتماعي أن يكون شعباً واحداً، إلى غير ذلك من الآراء التي بنيت على الاستنتاج والاستدلال، ويخلص المؤلف من ذلك التراكم من الآراء إلى أن ذلك لا يشكل أهمية بالغة نسبة إلى الواقع الموجود، وهو أن الأكراد سواء أكانوا ذوي جذر واحد، أو تآلفوا من جذور متعددة، فهم اليوم، وعلى الرغم من كل الأسباب شعب واحد، يجمعه شعور قومي ولغة مشتركة وخصائص متشابهة، ويعيش على أرض ذات طبيعة واحدة ومناخ واحد، وهذا ما يعوض عن وجود جذر واحد إذا افتقد التحقق من وجوده، أو حال دونه البعد الزمني، أو أغفلته بالإبهام الأدلة المفقودة التي توضح إيضاحاً ثابتاً أساسه الحقيقي.

ومهما يكن من أمر فإن دور الأكراد التأريخي خلال الفترات الزمنية التي مرت بها هذه المنطقة مهم جداً، لا يختلف عن أهمية الدور الذي لعبته الأقوام الأخرى التي توطنت إلى جانبهم أو سبقتهم، كما أن مساهماتهم كبيرة في التأريخ الإسلامي وليس أبلغ دلالة على ذلك من تسلّم القائد الإسلامي الكبير صلاح الدين

الأيوبي دست إمارة عربية وقيامه بوضع حد للحملات الصليبية، وإذاقتها الفشل المرير مرة تلو أخرى.

وبعد أن ينتهي المؤلف من ذكر ذلك ببعض التفصيل، يعمد إلى ما آلت إليه أمورهم، عقب انهيار الدولة الإسلامية وخضوعهم لسطوة المحتلين، الذين تعاقبوا على تسلم السيطرة على هذه المناطق كما خضع أشقاؤهم العرب، فبعد مرور فترة مليئة بالاضطرابات، أزاح فيها احتلال جديد احتلالاً سبقه، وقضى غزاة جدد على غزاة سابقين صفا الجو للدولة العثمانية التي بسطت سلطانها بصورة دائمة تقريباً على هذه الرقعة من الأرض، عدا بعض الحقب الزمنية التي استطاعت الدولة الفارسية من ترسيخ نفوذها، مغتنمة ضعفاً يصيب الدولة العثمانية أو غفلة تلم بها، ولن يترك شاردة أو واردة تتعلق بشؤونه في ذلك الوقت، دون أن يتطرق إليها، متحرياً سُبل الإمعان والتحقق، ماراً عبر سوء الحالة الاقتصادية وشيوع الفقر المدقع والمرض، وخلال سرد واف لفقدان الأمن وانتشار الاضطرابات والنزاعات العشائرية والقبلية وسيادة الفوضى، وانقطاع الأماكن البعيدة عن الارتباط التام بالحكم المركزي، وتسلط قطاع الطرق وواصلاً بذلك إلى الوقت الذي سبق نهاية الدولة العثمانية، حيث يتسلسل في الحديث عن الوضع الديني والمركز المهم المؤثر الذي يحتله رجال الدين ودورهم في تهدئة الأمور التي تخل بالعلاقات الاجتماعية، كما يبحث، تاريخ القبائل وتحالفاتها، والضوابط العشائرية التي تنظم العلاقات بين أفرادها، وتقيم الموازين في تعاملهم مع بعضهم، لما لها من حصانة في فرض أحكامها عليهم ودون أن يحاول أحد خرقها أو تجاوزها، لدرء ما ينتظره من العقاب الاجتماعي الذي يتخذ ضد من

لا يخضع لذلك النظام البدائي في مجتمع تحكمه العضلات، ويسير شؤونه الخنجر المشهر والبندقية المسددة والمتهيئة للإنطلاق في أية لحظة مواتية.

كما لا ينسى قبل أن يبلغ به حديثه، الاحتلال البريطاني، الذي مهّدَ طريقه للحرب العالمية الأولى، وسقوط الدولة العثمانية، الزعماء العشائريين الذين طالما قاموا بثورات وتمردات، منحتهم الاستقلال الذاتي بمقاطعاتهم أو بقبائلهم والقبائل المتحالفة معها لمدد زمنية مختلفة الطول والقصر، وما تعرض له أولئك الزعماء من غضب السلطان، ومهاجمة جيوشه النظامية لهم، والقبض على بعضهم، ونفيهم وإعدام البعض الآخر منهم وتشريد من لم يقع تحت طائلة قبضتهم في أماكن مجهولة، بعيدة عن أنظاره، كما يورد ذكر التماسك الذي تتصف به تلك المجتمعات القبلية ومؤازرتهم لبعضهم البعض، والتفافهم الوثيق حول أولئك الزعماء الذين يسعون إلى رفع الحيف عنهم، وانتشال كرامتهم من عبث السلاطين الحاكمين بأمر القوة، وتحسين ظروف معيشتهم وإنقاذهم من وطأة الضرائب المفروضة عليهم فرضاً لا سبيل لهم من الفكاك منه.

وبعد أن يؤدي لذلك الحديث حقه، متنقلاً بين تفصيلاته الكثيرة، غير غافل عن الحوادث الصغيرة ذات الأثر الفعال متخذاً منها شواهد على كشف المعالم الخطية للكثير من الخصائص التي تتسم بها تلك الفترة، يعرج في الكلام حول الاحتلال الإنكليزي ومظاهره ودوافعه والنتائج التي تمخضت عنه من نهوض بعض الحركات السياسية المنادية بالحكم الذاتي، والاستقلال الموقعي الرافضة لكل أنواع التسلط الأجنبي الناشدة للتحرير من كل ما يمس

كرامتها ويسيء إلى أمجادها التليدة.

ويفصل أثناء ذلك تأريخ تلك الحركات، ذاكراً كلاً منها بموقعها الجغرافي والنظام السياسي الذي تخضع له ويُفيض في جوانبها إفاضة، تبسطها أمام القارئ، وكأنها فصول مسرحية تعرض أمامه بشكل حي مجسدة للأحداث تجسيداً كاملاً لا تشوبه النواقص.

وليس غرض المؤلف من ذلك، إلا إقامة الأساس الوطيد لحديثه عن جمهورية مهاباد، والتي لم تكن إلا نتيجة طبيعية لكل الأحداث التي سبقتها.

إن جمهورية مهاباد التي تأسست في ٢٢ كانون الثاني عام ١٩٤٦ في الشمال الغربي والغرب من إيران، حدث له أهميته السياسية فلو قدر لها الاستمرار في ما حققته من النجاح الوقتي، لكان باعثاً قوياً على إحداث تغييرات مهمة مشابهة في المنطقة، ولاستطاع ان يطبع بصماته بشكل هائل على خارطتها، ولكنها أجهضت بعد مولده بفترة ليست بالطويلة في عصر الدول والتكوينات السياسية، وإذا سايرنا المنطق العلمي والتأريخي، وتحرينا الدقة في البحث فإننا سنتأكد من أن بقاء مثل تلك الجمهورية في ظل تلك الظروف السياسية والتأريخية التي اكتشفتها أمر مستحيل، فلم تكن الروابط التي كانت تربط بين القائمين بها تستند على أسس موضوعية وانتمائية واحدة أو متشابهة، في الوقت الذي يفترض قيام علاقات بين أية فئة أو جماعة أو شعب أو أمة تسيطر على زمام الحكم في بلد من البلدان أو منطقة ما بصورة متكافئة، ونابعة من مصدر واحد وجارية إلى هدف موحد، ولا يعني ذلك نوع الهوية التي تحملها أية هيئة من تلك الهيئات التي تسعى وتتسلم الأمر السياسي والسبب

في ذلك بأن عوامل النضوج التي يحتاجها قيام دولة على دعائم ثابتة وركائز راسخة تتطلب توفر الاتجاه الفكري الواحد، والنابع من انحدار طبقي واحد، أو متشابه إلى درجة تكفل له دوامه واستمراره على نهج مختط، وموضوع وفق ما يمليه مصدر الانتماء الواحد المذكور، فتعدد منابع الفكر الذي ينتمي إليه القائمون بحركة سياسية ما متسلمة لحكم ما، سرعان ما يقودها إلى التمزق والتشتت بسبب الاختلافات التي تنشأ حول الأشكال التي ينبغي للحكم أن يسير ضمن أطرها، وبسبب النزاعات التي تحدث حول الأشخاص ومؤهلاتهم، ونوعية المراكز التي تعهد إليهم، وهذا كله ليس سوى نتيجة منطقية لتعارض المصادر الإنتمائية الأولى التي ينضوي الأفراد تحت لوائها إجبارياً بفعل ظروف مولدهم وبيئتهم والحالة الاقتصادية التي يعيشون تحت ظل مؤثراتها.

وجمهورية مهاباد، وما يورده المؤلف معززاً بالوثائق الثابتة التي تؤيدها وقائع الجمهورية الكردية سيئة الحظ، من التكوينات السياسية التي لم يتوفر قاسم فكري مشترك أعظم، يضم تحت أجنحته رجالها القائمين بتأسيسها، ففيهم الشيخ الإقطاعي وفيهم الفلاح المعدم والعامل المسحوق، وفيهم رجل الدين والمثقف، ونصف المثقف، ذلك ما يجعل نزعاتهم بعيدة كل البعد عن الانسجام، وبالتالي يؤدي إلى الاختلافات التي يكون نتيجتها الأكيدة إجهاض مثل هذا التكوين السياسي.

إن الأساس الذي قامت عليه جمهورية مهاباد، وكما هو معروف لدى جميع المطلعين على أخبارها هو الشعور القومي، وقد يقول قائل إن مثل هذا الشعور كافٍ لأن يلغي الاهتمام بالفروق الأخرى

التي تعتبر أسباباً ثانوية إزاء هذا السبب الجوهري الذي وحد الصفوف الكردية على اختلاف مشاربها تحت رايته، وقد يحتج علينا آخر من أن كثيراً من الدول في العالم لم يكن أساس قيامها ودوامها إلا الشعور القومي، ولم ترتفع بنودها إلى على مبانيه الوطيدة، ونحن بدورنا لا ننكر ما للشعور القومي من أثر فعال في قيام الدول، ولا نقلل من شأنه كما أننا لا نختلف مع القائل الأول ولا مع الثاني، فأعتبر اعتراضهما اعتراضان وجيهان، ولكن ليس في مثل الظروف السياسية العالمية الناشئة، والتي أحاطت بقيام جمهورية مهاباد الكردية، إضافة إلى الظروف الخاصة المكانية والزمانية التي واجتها هذه الجمهورية لا تبرر مشابهتها مع الدول القومية التي نشأت في ظروف وأماكن وأزمنة مختلفة اختلافاً تاماً عما أحاط بها.

فضلاً عن أن تلك الدول التي نشأت على أساس قومي، وفي ظلّ الظروف المساعدة لم تعرف الاستقرار طيلة دوامها وإنما كانت ميداناً دائماً للنزاعات الشخصية والفئوية، وبيئة ملائمة لانتشار المؤامرات ضدها.

ومن هنا، فلا ينبغي لنا أن نتخذ من ذلك مقياساً لنجاح واستمرار جمهورية مهاباد ولا يمكننا اتخاذ ذلك إلا بتوفر الظروف نفسها التي توفرت لتلك الدول ذات المنشأ القومي.

ومن المعلوم أن تلك الدول ذات المنشأ القومي، لم تنهض في العصر الرأسمالي، ولا في العهد الذي يقف على أبواب الاشتراكية، ولا في زمن هجين يترنح بين نهاية الإقطاع ذي العلاقات القبلية البدائية، وشباب الرأسمالية وبشائر الاشتراكية، وإنما نهضت في عصر يسوده النظام الإقطاعي الخالص المتسلح

بالمسوّغات الدينية. إننا في تحليل نشوء أية دولة من الدول، أو سقوطها، يفترض بنا ألا نغفل المنطق العلمي والتأريخي في سبيل تثبيت أحكامنا بشأن ذلك، لأنه الدليل الصائب الذي يقودنا إلى نتائج ثابتة، لا سبيل إلى التشكيك بصحتها وتفنيدها. واهتداء بذلك، نحاول هنا، وفي ضوء ما ذكره المؤلف في هذا الكتاب أن نتحدث عن الجذور التي نهضت عليها جمهورية مهاباد.

قلنا إن الشعب الكردي خضع للظروف نفسها التي خضع لها الشعب العربي في العراق خاصة، وعانى ما عانى، إضافة إلى الاضطهاد الاقتصادي ـ الاضطهاد القومي الذي كان يفرضه الحكم العثماني أو الفارسي عليه، والذي من مظاهره عملية تذويب القومية الكردية داخل إطار القومية التركية حيناً، والقومية الفارسية، حيناً آخر، ومما لا شك فيه أن مهاباد الواقعة تحت طائلة الحكم الفارسي، لم تكن تختلف ظروف الاضطهاد الذي تقاسيه عن ظروف الاضطهاد الذي تقاسيه المدن والمناطق الكردية في تركيا والعراق وسوريا وجنوب الاتحاد السوفييتي، قبل الحرب العالمية الأولى، وبعدها، باستثناء الأوضاع القومية التي تحسنت نسبياً بالنسبة لأكراد العراق وسوريا، بعد الحرب العالمية الأولى، والذين شاركوا أشقاءهم من عرب العراق وسوريا مقاساة الأوضاع الانتدابية الجديدة التي فرضها عليهم احتلال الدول المنتصرة في الحرب الأولى، وعدا أكراد الاتحاد السوفييتي الذين خضعوا للنظام الاشتراكي، الذي جاءت به ثورة أكتوبر، كما خضعت له بقية القوميات التي تعيش تحت راية الاتحاد السوفياتي.

وهذه الأنواع من الاضطهاد كانت محفزاً لأكراد مهاباد وأكراد

المناطق الكردية الأخرى على القيام كما ذكرنا آنفاً، بحركات ثورية وتمردية متعددة، للتحرر من ربقة ذلك الاضطهاد.

ومما لا شك فيه أن أكراد مهاباد المجاورين للاتحاد السوفياتي، وقعوا تحت تأثير أفكار الاستقلال والتحرر التي تسربت إليهم من جارتهم الكبرى بمختلف الطرق، إضافة إلى أن الحرب العالمية الأولى لم يسفر عنها أي اعتراف باستقلال هويتهم القومية، كما حدث لأكراد مناطق أخرى جزئياً، رغم أنهم من ناحية الحالة الاقتصادية لا يختلفون عما يعانيه بقية الشعوب الإيرانية، ومن هنا نشأ لديهم إحساس متوثب للخلاص من هذه الأوضاع السيئة، إضافة إلى الدعم الكبير الذي تمنحه لهم بقية القبائل الكردية في شتى البقاع الأخرى.

وقد تأسس بتأثير هذا الشعور القومي وعي قومي متزايد، نتج عنه القيام بأول تنظيم سياسي معبر عن المطامح القومية، قام به بعض الرجال الأكراد، الذين بلغ بهم الوعي القومي الكردي مبلغاً عظيماً وممن وقعوا بفعل ذلك تحت تأثير ثقافي وسياسي يؤهلهم للقيام بمثل ذلك التنظيم، وقد أطلقوا عليه اسم (الكومه له Komala) وقد أخذ هذا التنظيم بالاتساع والنمو شيئاً فشيئاً، وازدادت قوته يوماً بعد آخر، حتى استطاع هذا التنظيم أن يحتوي ضمن إطاره أفضل الرجال من ذوي السمات القبلية والاجتماعية والدينية والثقافية، وفي مقدمتهم القاضي محمد، الذي أصبح فيما بعد رئيس جمهورية مهاباد، وانضمام القاضي محمد إلى الكومه له يعتبر نصراً كبيراً لها لما يتمتع به من مكانة اجتماعية ودينية إضافة إلى نقاء صفحته السياسية ومواهبه الشخصية الكثيرة وذكائه الحاد،

وقد اتخذت الكومه له بانتماء القاضي محمد لها طريقاً جديداً نحو تحقيق المطامح القومية الكردية، والاستقلال الذاتي، فأخذت تناضل دون هوادة من أجل تحقيق ذلك وتسعى بكل جهد إلى توسيع قاعدتها وتعميق تغلغلها في جميع أماكن الشعب الكردي.

وكانت الظروف التي تأسست فيها الكومه له، ظروفاً مساعدة لنموها، وقوة شوكتها، ولم تكن تلك الظروف إلا ظروف الحرب العالمية الأولى، حيث كان الاتحاد السوفياتي الاشتراكي يكون ركناً أساسياً من أركان اتحاد الحلفاء، الذين هبوا بوجه دول المحور، وبما أن إيران كانت خاضعة لنفوذ بريطانيا التي هي إحدى الدول الحليفة، والتي أجرت تغييراً كلياً في الحكم الإيراني، وذلك بإسقاط رضا شاه وتنصيب ابنه محمد رضا شاه مكانه على العرش، مما جعل الأوضاع الإيرانية تتخذ طريقاً متساهلاً مع الحركات السياسية اليسارية، ذلك بسبب كون الدولة المتسلطة على إيران هي إحدى الحلفاء، واستناد الحركات اليسارية لمعاونة الاتحاد السوفياتي الذي هو أحد الحلفاء، إضافة إلى ذلك مرابطة القوات السوفياتية في الشمال الغربي والغرب في إيران لحماية مؤخرة الجيش السوفياتي، مما يحتمل من الاعتداءات المحورية وتوابعها عليه، مكن للأفكار التحررية من الانتشار أولاً، وللحركات السياسية التحررية الاحتماء به ثانياً، وفعلاً كان ذلك عاملاً أساساً في إقدام الثوار الأكراد على إعلان جمهورية مهاباد، وتشكيل نظام كردي مستقل ذي علم كردي خاص، ودستور مستقل، وتشكيلات سياسية خاصة، وقد كان الدعم السوفياتي، وإن لم يكن بالقدر الذي تحتاجه مهاباد لترسيخ دعائم دولتها سنداً متيناً لقيامها. ولو لم يكن

الاتحاد السوفياتي واقعاً تحت تأثير الحرب وجرائرها الكثيرة التي لا تسمح له بمد الجمهورية بما يضمن لها الدفاع عن نفسها، ولو لم يكن على ارتباط بمواثيق دولية، لكانت حال مهاباد تختلف عما وصلت إليه، إضافة إلى ان الاتحاد السوفياتي وكما يقول المؤلف لم يكن شديد التشجيع لقيام جمهورية كردية مستقلة وإنما كان يسعى إلى إنشاء حكم ذاتي للأكراد ضمن أذربيجان مما كان لا يجد هوى وقبولاً لدى الأكراد الطامحين بالاستقلال وكان تأييده ـ وكما يقول المؤلف أيضاً ـ ودعمه لجمهورية مهاباد ليس إلا نزولاً عند الأمر الواقع.

ومهما يكن الأمر فإن للدعم السوفياتي الفكري والعتادي والإعلامي أثره الفعال على قيام جمهورية مهاباد واستمرارها طيلة المدة القصيرة التي خفق فيها علمها المستقل.

ومن أهم المؤثرات الفكرية السوفياتية التي ألقت بظلها على مهاباد، تحويل تنظيم الكومه له إلى حزب سياسي ذي تنظيم ثوري سمي بالحزب الديمقراطي الكردستاني والذي تشبه تشكيلاته في كثير من جوانبها تشكيلات الأحزاب الشيوعية.

وقد كان انهيار مهاباد وسقوطها جزءاً لا يتجزأ من الظروف التي نشأت بعد الحرب العالمية الأولى في إيران واتخاذ الحكم الإيراني ستراتيجية تختلف عن استراتيجية الحرب، حيث أصبح الوجود السوفياتي في الشمال الغربي والغرب من إيران مهدداً للنظام الإيراني والنفوذ البريطاني المتسلط عليه مما أدى إلى انسحاب الجيوش السوفياتية بناء على طلب الحكومة الإيرانية ووفقاً للمعاهدات الدولية وبذلك وضع سوراً حاجزاً دون استمرار مساعدة الاتحاد السوفياتي

لمهاباد، بما يكفل لها الدفاع عن نفسها، إضافة إلى ارتفاع بعض الرؤوس التي لم تكن راضية بقيام الجمهورية بسبب نشوء هذه الأحوال الجديدة إلى غير ذلك من الأسباب التي يذكرها المؤلف بالتفصيل، والتي أدت إلى سقوط الجمهورية، وعودة مهاباد إلى حظيرة الحكم الإيراني التابع للفلك البريطاني، وإعدام القاضي محمد، وبعض رفاقه من الثوار الأكراد، وأصحاب المراكز السياسية في الجمهورية، وسجن البعض الآخر منهم، وانسحاب الأكراد العراقيين الذين ساهموا في تأسيس الجمهورية إلى مواطنهم الأصلية.

وبهذا تنطوي صفحة مشرقة من التاريخ الكردي، لم يكن لها من بد، إلا أن تنتهي، إن لم تكن على تلك الصورة، ففي صورة أخرى مشابهة لها بالنتيجة.

إن الدافع الذي قادنا لتعريب هذا الكتاب، إضافة إلى الكشف عن الأحوال السياسية التي قاساها الأكراد في إيران من اضطهاد وتجويع وإلغاء للحريات وكبت للمشاعر، هو تعريف القراء العرب وخاصة العراقيين منهم، بجانب من جوانب النضالية للشعب الكردي الشقيق الذي يشاركه في حياة جغرافية وتأريخية واجتماعية وسياسية ودينية واحدة، ولا يمكن أن يغيرها أي حادث طارئ، أو يحول دون استمرارها حاجز، فالشعب العربي والشعب الكردي هما قلب واحد ويد واحدة ومشاعر واحدة، تعيش في ظل الوطن العراقي اليوم، كما عاشت سابقاً، ويجنيان ثمار اقتصادهما ومكاسب نضالهما معاً كما قاسيا عهود الاضطهاد والظلم والاحتلال الأجنبي.

وليس لنا في الختام من أمل إلا أن تتوطد دعائم الأخوة العربية الكردية على مدى الزمن، من أجل الرفاه العميم والسعادة الدائمة

وفي ذلك، ما فيه من الدلائل على ترسيخ دعائم الجمهورية العراقية التي يعيشان فيها، ولن يفرطا بها مهما كانت الظروف، وهذا هو النهج الوطني الصائب الذي يمليه التفكير السليم الذي يتمتعان به، كما أثبتت جميع الأحداث السابقة.

**المترجم**

# الفصل الأول

# تأريخ قبل عام (١٨٠٠)

في الطرف الجنوبي من مدينة مهاباد حيث تنحدر البيوت القديمة باتجاه المياه الجارية في (جه مي صابلاغ)، كانت توجد ساحة صغيرة دائرية تدعى (جوار جرا) أي المصابيح الأربعة باللغة الكردية، وتقع في منتصف المدينة. أما الآن فقد أقيم في مكانها تمثال للشاه محمد رضا بهلوي (تحيط به أربعة أسود مطلية بطلاء رصاصي اللون) وفي هذا المكان وقف القاضي محمد (المهابادي) في ٢٢/ كانون الثاني/ ١٩٤٦م مرتدياً اللباس الروسي والعمامة البيضاء، دلالة على مركزه الديني الرفيع، وخاطب سكان مدينة يبلغ تعداد نفوسها ستة عشر ألف نسمة، ورؤساء العشائر القياديين، لإقليم لا يمثل إلا ركناً من تلك المرتفعات التي أسيء تعريفها، ولم تحدد هوية سكانها، مجرد أرض ومرتفعات كتبت كلمة "كردستان" على خرائطها في حقبة معينة، ولا تزال هذه الكلمة تكتب أحياناً على الخرائط، إلا أن رسالة القاضي كانت موجهة إلى ما وراء القرية وإلى ما وراء الحدود التي لا زالت غير معروفة لدولة صغيرة إلى ما وراء حدود إيران، وإلى الجبال والأودية في أنحاء كردستان، وكانت

موجهة زمنياً نحو سنة أمل ويأس، نحو سنة أصبحت الآن تاريخاً للقاضي محمد وأبناء بلده، الذين أمضوا الشهور الماضية يبحثون عن معلومات موثوق بها لأصل عرقهم ولغتهم، وحضارتهم، وكانوا يبحثون عن هوية كردستانية، فلم يجدوا في كتب التاريخ التي لم يقرأها إلا القلة منهم سوى الفوضى والتشويش.

أما من هو الكردي بالمفهوم الحديث، فلا يعدو أي انسان يجيب عن سؤاله عن هويته أنه كردي. وعلى كل حال، فنحن حين ننظر إلى الوراء لا نعثر على دليل ثابت عن ماهية الأكراد، ومتى جاؤوا إلى هذه المناطق؟ وهل كانوا عرقاً واحد أو أجناساً متعددة. فالمؤرخون (الخياليون) والمهتمون بالتراث الكردي يواصلون البحث بين الشعوب والبلدان القديمة عن ممالك غامضة، يمكن تحويل أسمائها إلى كلمة "كرود" بتغيير بعض حروفها الأساسية.

ويشير بعض أولئك إلى ظهور ملامح للشعب الكردي في أرض "الكوتيين"[٣] التي يمكن الاهتداء إلى أماكن وجودها في جنوب غرب إيران، والتي يعود تأريخها للألف الثالث قبل الميلاد، كما درس آخرون النقوش الآشورية فاعتقدوا أن باستطاعتهم إثبات صلات كردية في جبال كردستان، وحول بحيرة الرضائية "شمالي مدينة مهاباد" أو الفترة التي حكم فيها الكاشيون[٤] بابل عند محاولة التثبُّت من حقيقة رجوع ألفاظ معينة إلى أصل واحد، ينبغي لحروفها الصحيحة الأساسية أن تكون متماثلة، وهذا ما لانجده متوفراً في الأسماء التي يزعم الأكراد أنهم روافد متفرعة عن كلمات كرد ولكن ليس هذا دليل الأكراد الوحيد على ذلك، فهم إضافة إلى ذلك يقولون بظهورهم في النقوش البابلية التي تشير إلى خضوع القبائل البدوية في الشمال، وأحياناً يفترض أن سايروس[٥] قد تلقى

العون في هجومه على بابل من الفرسان الأكراد، يشير (هيرودوتس)[٦] إلى "باكتويك" بينما تعلم (أكسينفون)[٧] أن يحترم تكتيك متفعات كاردوتشي أثناء تراجعه إلى الشمال. وقد هاجم أحد الأساتذة هذه الاستنتاجات القائمة على التشابه اللفظي وقال إن الكاردوتشي هم الجيورجيون وليس الأكراد[*].

إن الأكراد أنفسهم، وبشكل خاص أكراد إيران يميلون إلى الاعتقاد بأن أسلافهم كانوا مكافئين لفئة من شعب معروف لذاته التاريخية "كالميديين"، ومن المحتمل أن تكون هي القبائل الآرية التي دخلت إيران من الشمال (آسيا الصغرى)، في وقت غير محدد، وبلغوا أوج عظمتهم في نهاية القرن السابع قبل الميلاد، واختلطوا مع الأمبراطورية الأخمينية العظمى لسيايروس (كورش)، بذلك استبقوا شيئاً قريباً من هويتهم الأصلية في جبال غربي إيران، وقد وسعوا زحفهم غرباً إلى داخل (هكارى) ومرتفعات تركية أخرى، إلى الغرب، وبموازاة هذه النظريات تظهر في "الشرفنامه"(٨) وهي ملحمة بطولية فارسية، كتبت في نهاية القرن السادس عشر، تروي قصة طاغية أسطوري يدعى الضحاك "زدهاك" أو (ازدهاك)، حيث برزت من بين أكتافه أفعى ذات رأسين لا يشبع أحدهما إلا بالتهام رأس أحد الشباب، ولكنهم بعد أن ضاقوا ذرعاً بهذه الكارثة التي أفقدتهم كثيراً من شبابهم، لجأوا إلى خدعة ماهرة باستبدال رأس الشباب برأس خروف، وبذلك تمكن الشباب الأكراد من التخلص من هذا الطاغية، ولاذوا في الجبال، وهؤلاء أنفسهم هم الذين كانوا نواة ظهور الشعب الكردي.

ولعل بعض تلك التفسيرات تقوم على أساس صحيح فالأكراد

ليسوا إلا مجموعة روابط لشعوب قديمة تمازجت مع حضارة إيرانية، جعلتهم يظهرون في مظهر واحد. ويؤكد الأكراد بانهم طبيعياً يمثلون عرقاً متجانساً من الناس، الذين عاشوا في (أو قرب كردستان) أما الذين يسكنون في (أو قرب) كردستان، فيعتقدون أن باستطاعتهم إثبات هوية الفرد الكردي وتمييزه من الفرد العربي أو الأذربيجاني أو التركي الأرمني أو الفارسي، حتى لو لم يرتد الكردي زيه الوطني، مستندين إلى البحوث العلمية التي تشير إلى وجود أصناف متعددة من أشكال الرأس والشعر ولونه، إضافة إلى مميزات جسدية أخرى.

وهناك ملاحظات كثيرة حول تميز الأكراد وامتلاكهم صفات معينة، وخصائص محددة بين سكان المناطق المجاورة لهم من غير الأكراد، والتي تشمل معظم شعوب الشرق الأوسط على امتداد ٧٠٠ ميل من الشمال الغربي، إلى أقصى الجنوب الغربي من المنطقة الكردية.

وكما أن التاريخ الكردي موضوع نقاش وجدل بين الباحثين، كذلك اللغة الكردية، حيث تزدحم التساؤلات حولها، فيما إذا كانت ذات أصل واحد، أو أنها متألفة من لغات متعددة، أم هي مجرد لهجة متفرعة من الفارسية مما هيأ لها أن لا تقتصر على أكراد قطر معين، وبغض النظر عن المناقشات اللغوية التعليمية، يمكن القول إن اللغة الكردية لغة منفصلة، وفصيلة من الفرع الآري من مجموعة طبقات الهندو ـ أوروبية، تختلف عن اللغة الفارسية بقواعدها ومفرداتها وتركيبها، ويمكن توضيح فروق تلك اللهجات الحقيقية دون جهد، فاللغة الكردية في كرمنشاه في الجنوب، يحتمل أن تكون مفهومه للإيراني كما يفهمها الكردي من سكان المرتفعات الكردية.

وباستطاعتنا رسم خط فاصل بين هذه اللهجات المتعددة، توضح لنا أماكن سكنى الأكراد الشمالية والجنوبية الرئيسية، بواسطة الفوارق اللغوية التي توضع ما بينها، يقسم هذا الخط جمهورية مهاباد الكردستانية الصغيرة إلى نصفين، متسلقاً من مدينة "الرضائية" في الجنوب الغربي، إلى داخل الجبال بالقرب من "أوشنافية" مع مهاباد، الواقعة إلى الجنوب، والتي يتكلم سكانها لهجة شبيهة بلهجة سكان السليمانية(٩) في العراق، يعتبر التفسير الأدبي الأكثر سفسطائية للغة، بينما إلى شمال الخط يسكن "البرزانيون" العراقيون الأشداء، وقبائل الشكاك والهركي في إيران، والشعب الكردي في تركيا. إن التقسيم اللغوي تقسيم حضاري إلى حد ما، يميز لباس رجال العشائر الكردية الجنوبية المتكون من بنطلونات فضفاضة ضيقة عند الكاحل، عن أولئك الذين يرتدون الملابس الحريرية في الشمال.

وفي العودة إلى التاريخ الكردي الذي حدد القاضي محمد معالمه بعد ظهيرة أحد أيام كانون الثاني ١٩٤٦، تبرز هوية كردية واضحة، تبدأ مباشرة بعد الغزوات العربية التي حدثت في القرن السابع، تلك الغزوات التي حاول الأكراد عبثاً بتعاونهم مع الإيرانيين الآخرين في المرتفعات التصدي لها. ففي القرن العاشر بدأت سلالات كردية حاكمة تظهر على المسرح، ولكنها سرعان ما قبعت ثانية في الغموض، لتنهض مرة أخرى بظهور صلاح الدين الأيوبي العظيم، الذي ينتسب لعائلة كردية من تكريت وأربيل في العراق، ومع أن صلاح الدين كان كردياً، فإنه سيطر على دولة عربية ذات نفوذ واسع، وقاد المسلمين في معركة حاسمة[١٠] وأجرى المفاوضات مع خصومه الأوروبيين. وفي القرن الثالث عشر انحدرت جحافل

المغول من الشمال، ومن الشرق لإثارة الاضطرابات بين العشائر والسكان، بما فيهم الأتراك الذين واصلوا التسلل إلى أذربيجان، ليجاوروا الأكراد الذين كان عليهم أن يعايشوهم معايشة معادية، وقد احتل الإقليم الكردي في القرنين السادس عشر والسابع عشر مكانة رئيسية في المنافسة الشديدة بين فارس المنتعشة تحت حكم سلالة حاكمة شيعية (الأسرة الصفوية)، وبين الدولة التركية التي تحكمها الأسرة العثمانية السنية، ولكن معظم العشائر الكردية كانت منحازة إلى جانب العثمانيين السنة ضد جيرانهم الشيعة الأذربيجانيين والفرس، لينالوا نتيجة هذه الحروب الطاحنة بشهرة مؤقتة في القتال. وقد وافق كل من السلطان مراد الرابع في تركيا، الشاه عباس الثاني في إيران على المعاهدة التي أبرمت بينهما في عام ١٦٣٩م على خط حدود عتيد من منتصف شمال كردستان، وضامناً للقسم الكردي تراثاً مصيرياً، ولذا فقد أصيب الأكراد في كل من تركيا وإيران بردود فعل لانهيار امبراطوريات القرن السادس عشر العظيمة، بالإطاحة بالرجال الأقوياء والعائلات الحاكمة التي فرضت سيطرتها على القبائل، التي لا تزال أسماؤها خالدة، وكان أولئك القادة أصحاب المذهب الصوفي، حيث جذبوا إليهم أتباعاً كثيرين، وأحرزوا نفوذاً روحانياً مؤقتاً في المنطقة.

## القرن التاسع عشر

دخل الأكراد في مطلع القرن التاسع عشر الأساطير التي يرويها المبشرون، وعلماء الآثار والرحالة الأوروبيون من ذوي الأطوار الغربية، والذين كانوا سفراء بحث وتحرّ لحكوماتهم ذات الاهتمام

في الشؤون الداخلية للأمبراطوريتين العثمانية المنحلة، وفارس الساكنة، اللتين كانتا تحيطان بالمناطق الكردية وتاريخ هذه الحقبة الرومانتيكية الغنية بالتغلغل الغربي يعود إلى قيام "بكيروا وفريزر"، أما ذروتها فقد بلغتها قبل الحرب العالمية الأولى بقليل، عندما ازدهرت المدارس التبشيرية وعندما كان جيرترود (Gertrude) بل (Bell)وكومتدي تشوليت (Le Comt De Cholet) والسيدة بيشوب (Mrs Bishop) والسير مارك سايكس (Sir Mark Sykes)، يقطعون الأراضي الشرقية سيراً على الأقدام وعلى صهوات الجياد بين العواصف الثلجية والحرارة اللاهبة، وعندما تنكر آي بي سون (E.B.Soan)، وهو أعظمهم جميعاً، بزي فارسي، وانطلق من استامبول إلى بيروت، عابراً من الشرق نهر دجلة، وإلى وادي شهرزور الكردي الخصيب، وإلى حلبجه، بالقرب من السليمانية، حيث استخدمت عادله خانم[11] ذات الشفاه الحريرية، والثياب القطنية الأنيقة التي تحكم عشيرة الجاف العظيمة، سون كناسخ لها باللغة الفارسية. وليس هنالك ما يدعو إلى الدهشة أن ترسل قوات الاحتلال البريطانية في العراق، سون حاكماً سياسياً لها، عندما بسطت نفوذها على منطقة السليمانية وعلى كل حال، فلا يمكن المرور عبر القرن التاسع عشر بعجالة لدراسة التاريخ الكردي في هذا الركن المربع الصغير في مهاباد، وأول ما يطالعنا في تلك الحقبة الزمنية مذبحة فيلق الإنكشارية عام ١٨٢٦، مما دفع الجيش العثماني إلى اتخاذ الخطوات اللازمة لإعادة هيبة السلطان في المرتفعات الكردية، بينما كانت الأوامر السابقة هي التي جاءت ببدرخان[12] من دركلي إلى مركز مرموق في منطقة بوشان العشائرية، الواقعة في

جنوب تركيا وسط جزيرة (ابن عمرو) في دجلة العليا، وفي أثناء ذلك استطاع أمير رواندوز محمد منصور الملقب (محمد كورباشا) أن يفرض سيطرته على رواندوز وأربيل، وباختصار على الموصل في العراق. وقد أبدى الأتراك المنهمكون كلياً في أحداث مناطق أخرى، ولا سيما في مصر، التسامح مع مناطق كرديه واسعة متمتعة بالحكم الذاتي برغم وقوع حوادث همجية متطرفة من رجال القبائل الكردية كقيام بدرخان عام ١٨٤٢ و١٨٤٦ بنهب وذبح حوالي (١٠٠٠٠) من الآثوريين المسيحيين، الذين قويت شكيمتهم وروحهم الاستغلالية في وسط منطقته، وبالرغم من ذلك فإن بدرخان كان قائداً إقطاعياً عشائرياً نموذجياً فطالما تخللت أحاديثه مصطلحات المواطنة الكردية، وترديد كلمة الأمة الكردية ولكن مقاصده الحقيقية كما يبدو لم تكن واضحة أو معروفة مما صرف أنظار الدولة العثمانية، التي كانت تستطيع بقوة جيوشها ذات العدد الحربية والذخيرة العسكرية، إضافة إلى استخدامها الرشوات والمكائد العشائرية أن تقضي عليه قضاءً مبرماً، كما حدث بعد ذلك فعلا، حين استسلم بدرخان لأمر الجيش العثماني، لينفى بعد ذلك مع عدد من أفراد عائلته وعشيرته وحلفائه إلى جزيرة كريت، ومن ثم إلى الإقامة في دمشق حيث توفى عام ١٨٦٨.

لقد كانت الخطوة التي اتخذها بدرخان في آب ١٨٤٧ مؤهلة لتطبيقها ثانية كما حدث ذلك فعلاً، حين قام بها بعد مائة سنة بالضبط زعيم كردي آخر في الغرب والشمال الغربي الإيراني.

وعندما عاد نشاط الحزب الديموقراطي الكردستاني بعد الثورة العراقية عام ١٩٥٨، بدأت استمارات العضوية تظهر على كلا الجانبين من الحدود، حاملة صورة فوتوغرافية لخمسة رجال تركوا

بصماتهم في تاريخ الأكراد القومي وهم الشيخ عبد القادر، السيد رضا، الشيخ محمود من السليمانية، القاضي محمد، والملاّ مصطفى البارزاني. وكان أول هؤلاء الرجال الشيخ الصوفي الأكبر عبيدالله النقشبندي، وهو نجل السيد طه، الذي سلم الطريقة إلى رجل دين فقير ومطيع وطموح في آن واحد مقيم في قرية بارزان، المغمورة خليفة له في المنطقة، وتقع تلك القرية على نهر الزاب الكبير في العراق.

وفي عام ١٨٨٠ اجتاز الطبيب الأميركي المستر جوزيف ب.كوثران، الجبال من مستشفاه في أرميا (الرضائية) لزيارة القرى الأثورية النائية، بما في ذلك عدة قرى كانت خاضعة للشيخ عبيدالله في منطقة (شمزينان) في تركيا. وفي أثناء هذه الزيارة تطورت صداقة نموذجية بين الطبيب الأميركي وبين شيخ عشيرة كردية قوي، طالما أفزع هذا الشيخ المنطقة ونهب وذبح المسيحيين المحليين فيها، وقد قوبلت هذه الصداقة بالاحترام والتبجيل من قبل المبشرين. لقد ساعد (كوثران) على شفاء الشيخ من مرض ذات الرئة، وأنه سمع من شقيقه مقترحات بأن الأكراد سوف يفلحون إذا ما عمدت الحكومتان الأميركية والبريطانية للإطاحة بنير الحكم التركي والفارسي. والواقع أن الشيخ كان قد كتب رسالة إلى القنصل البريطاني عام ١٨٧٨ م مقراً أن الأمة الكردية شعب مستقل بنفسه، وممتنع عن الأعمال الشريرة التي تمارسها الحكومتان التركية والفارسية ضده وفي صيف ١٨٨٠ ارتكبت الحكومة الفارسية حماقة وجرائم أخرى ضد الأكراد داخل الإقليم الفارسي، مما جعل الشيخ عبيدالله أن يصمم على الأخذ بالثأر حيث اتخذ مع (حمزة آغا) من عشيرة مذكور على

الجانب الفارسي، وجمع فصائل فرسان أكراد بألبسة ممزقة من كردستان تركيا. ودخل فارس من الممرات الجنوبية والغربية من (أرميا) وبجيش قوامه (٢٠) ألف جندي مقاتل، وكان ابن الشيخ عبيد الله الأكبر قائد الجزء من هذه القوات، حيث احتل (صابلاخ) التي عرفت فيما بعد باسم (مهاباد)، والتي هي موضوع بحثنا في هذه الدراسة، وبعد ذلك تحرك إلى (ميان دواب) وذبح عدداً من سكانها الأذربيجانيين والأتراك، وعندها تقدم الأكراد إلى (مراغة)، حيث هزموا بعض فرسان الفرس، قوامهم كتيبة خيالة، فنشر وجودهم الفزع في مدينة تبريز، ومن ثم انسحب الأكراد إلى المرتفعات فوق أربا، وأصبحوا على أهبة الاستعداد للهجوم، وكما تهجم الذئاب على القطيع على حد قول المبشرين، هذا ولما كان موظفو المدينة يعرفون بأن الإمدادات العسكرية الفارسية ستصل إليهم، طلبوا من الطبيب كوثران أن يصعد إلى جبل اسمه (سه تبر) ليبحث مع الشيخ عبيدالله شروط الاستسلام.

ولقد فعل الطبيب الصالح، ذلك لحماية العدد الكبير من المسيحيين في المنطقة، بدلاً من أن ينهبوا ويسلبوا ويقتلوا في هجوم يقوم به رجال العشائر الكردية المهاجمة، وبهذا التأخير، فقدت حركة عبيدالله زخفها وحيويتها، حيث قام رؤساء العشائر المتحالفة بمعارضته على هذا العمل، وعندما وصلت الإمدادات الإيرانية بعد ذلك ببضعة أيام، أخطر الشيخ المقربين من رفاقه إلى التراجع إلى داخل الجبال التركية. وفي عام ١٨٨١ سلم الشيخ عبيد الله نفسه إلى السلطان، الذي توصل إلى عقد اتفاقية مع الشاه حول النزاعات البارزة، وقد نفي عبيد الله بعد استسلامه للأتراك إلى مكة

حيث توفي هناك عام ١٨٨٢.

وقد وجه الشيخ محمد صادق أحد أبناء الشيخ عبيد الله اللوم الشديد إلى الطبيب (كوثران) لما سببه في هزيمة والده بنصائحه الفاشلة، ومن هنا بدأ يخطط للثأر من المبشرين الأمريكيين، فأرسل نيابة عنه زوجته المريضة إلى مستشفى العين التبشيرية في أورميا، تراجع، حيث لاقت العناية التامة فيه. وقد قدم للطبيب مقابل هذه العناية هدايا من جملتها جمل من عسل الجبال المشهورة، وطباق من التبوغ الجيدة الممتازة. ولم يكن حظ حليفين كرديين إيرانيين من حلفاء الشيخ عبدالله كحظ ابنه، وهما (جليل آغا) المسؤول عن مذبحة (ميان دوب) و(حمزه آغا) زعيم (منكور)، حيث قذف الأول من فوهة مدفع ووقع الثاني في كمين فارسي في منطقة (سوجي بولاق).

جرد إبعاد الشيخ عبيدالله إلى مكة الجبال الكردية الاستراتيجية المركزية من قوتها العسكرية ووحدتها السياسية، ولكنه لم يقلل من احترام الحكومات ذات الشأن للقوى العسكرية الكردية، وفي العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر جذبت المداهنات والمشاورات الروسية إليها أعداداً من الرؤساء الأكراد ومن بينهم (جعفر آغا) رئيس عشيرة (الشكاك) وعبد الرزاق من عائلة بدر خان، والسيد طه حفيد عبيدالله.

وقد استدعى هؤلاء الرجال عام ١٨٨٩ لزيارة روسيا، وكانت الدعوة موجهة من نيقولاي الثاني، فزار هؤلاء الرؤساء (روسيا) وعادوا محملين بهدايا ثمينة ورسائل مشجعة أنعشت الآمال والطموحات الكردية. وإزاء ذلك قامت الحكومة التركية باتباع سياسة

جديدة نحو العشائر الكردية مرتكزة على تجنيد فرسان عشيرة الحميدية الذين حاربوا إلى جانب السلطان.

وفي عام ١٨٩٧، وبإيعاز من الحكومة العثمانية هاجمت هذه العشائر بعنف الأرمن الذين كانت الحكومة الروسية، أحياناً تشجع آمالهم الوطنية التي كانت تسطع أكثر من الآمال الضعيفة، وحين سادت موجة الإصلاح الأمبراطوريتين الفارسية والعثمانية قبل مواجهتها الحرب العالمية الأولى في عدد من الأماكن، جوبهت هذه الإصلاحات بمقاومة العناصر العشائرية الكردية، كظهور الاتحاد الملي (الكونفدرالي) لشمال سوريا، الذي نادى به رئيس عشيرة الحميدية المدرب ابراهيم باشا وكمساندة عشيرة (الكاهور) البكرة التي تسكن على بعد ٧٠٠ ميل في الجنوب الشرقي من كرمنشاه، للحركة العسكرية التي قام بها (سالار ضد الحكومة الدستورية في طهران عام ١٩١١ والتي أجهضت فيما بعد).

وبينما كان عدد من العشائر الكردية تساند تيار ردود الفعل، فإن جماعة المثقفين الأكراد، انطلقوا في تأسيس جمعيات سرية من الطراز الشائع آنذاك، وكان من بين هؤلاء عدد آخر من أبناء بدرخان الذين بدأوا في عام ١٨٩١ يصدرون جريدة كردية باسم (كردستان) وبعد إعلان الدستور التركي عام ١٩٠٨ تشكلت لجنة تدعى كردى تعاون جمعياتي، أي الجمعية التعاونية الكردية. وكذلك جمعية (هيوا) أي الأمل في القسطنطينية والتي قام بتشكيلها جماعة من الطلاب الأكراد، إضافة إلى مشاركة أفراد عائلة بدرخان وأميرين من بابان، من أهل السليمانية، بالقرب من الحدود العراقية الإيرانية.

ولم تستقبل هذه الفترة من الحرية بالترحاب من قبل عدد من

القادة العشائريين والدينيين الأكراد ممن اعتبروا الشباب الأتراك ملحدين وانقلابيين، حيث سرعان ما أوضح الشباب الأتراك أن الحرية لا تمنح الإجازات للحركات التي تسعى إلى تحطيم وانحلال الأمبراطورية العثمانية.

وما زال باستطاعة الأتراك أن يلعبوا دوراً حيوياً بين إخوانهم في الدين في كردستان الإيرانية بإرسال كتائبهم العسكرية وحلفائهم الأكراد إلى إقليم (سوجي بولاق) عام ١٩٠٧ وثانية عام ١٩٠٩ وفي عام ١٩١٣ كان النفوذ البريطاني والروسي حاسمين في تشكيل لجنة فارسية كردية للحدود التي نجحت في إقامة حدود وطنية واضحة تشمل كردستان من الشمال إلى الجنوب.

وهكذا في عام ١٩١٤ كان زعماء من العشائر الكردية وقادة الدين، من سكان الحضر ومن المثقفين يتفاعلون مع الحوادث لتحقيق مكاسب ذاتية محلية أو طموحات شخصية. وقد اتسعت هذه المطامح باتساع الأقاليم التي تسودها المنافسة العشائرية من غايات ومكائد سياسية دولية وصراع ديني أما الدافع لفئة ضئيلة منهم فهو إيجاد قومية كردية. وعندما أعلنت روسيا الحرب على تركيا في ٢ تشرين الثاني ١٩١٤ اعتبرها الأكراد حرباً مصيرية ضد المسلمين فانضموا إلى جانب المسلمين ضد المسيحية الكبيرة في الشمال وحلفائها من الأشوريين والأرمن المستوطنين بينهم وما أن وضعت الحرب أوزارها بعد أربع سنوات حتى أصبحت المناطق الجبلية الكردية الوسطى مقفرة وبرز فيها قادة جدد وظهرت مشاكل جديدة على المسرح.

وفي ٢٥ آب ١٩٤١ غزت القوات الروسية السوفياتية والبريطانية

إيران من الشمال والجنوب، حاولت مقاومتها إيران بادئ الأمر، ولكنها أذعنت أخيراً، لعدم استطاعتها الاستمرار، ولم يكن من بدّ لانتقال إيران من معصم رضا شاه الفاشي الحديث والاحتلال الأجنبي سوى الحرب العالمية الثانية، إذ تنازل رضا شاه عن العرش في ١٦ أيلول عام ١٩٤١ لولده محمد رضا بهلوي الذي كان شاباً ذا نزعة تختلف عن نزعة أبيه.

## الحرب العالمية الأولى

كان معظم الأكراد الذين تجمعوا في ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٦، قد اشتركوا بأنفسهم أو من خلال القصص التي رواها لهم آباؤهم في الحملات الواسعة والغزوات المحلية التي تميز بها الصراع التركي ـ الروسي في أذربيجان وشرقي تركيا، في فترة الحرب العالمية الأولى ومصدر تلك الاعتداءات هو وجود وحدات عسكرية روسية متعددة في إيران. فقد إنحازوا إلى جانب الشاه الرجعي الذي طرده الدستوريون الإيرانيون عام ١٩٠٩، ومنذ ذلك الحين احتفظوا بقوات كبيرة في شمال إيران، في أذربيجان خاصة. ولذا لم يكن هنالك ما يدعو للدهشة أن يرسل الأتراك قوات عسكرية إلى إيران، على الرغم من الموقف الحيادي الذي أعلنته الحكومة الإيرانية في ٢٩ كانون الأول عام ١٩١٤ إلا أن الأتراك احتلوا تبريز بعد عشرة أيام من ذلك، ومن ثم أُجبروا على تركها تحت ضغط القوات الروسية في ٣٠ كانون الثاني. وقد تحرك الروس بعد ذلك غرباً نحو المناطق الكردية على الجانب الآخر من بحيرة "أورميا" وجابهوا مقاومة بالقرب من مدينة خوى، على تخوم كردستان من قبل آلاف

الرجال من عشيرة الشكاك بقيادة اسماعيل آغا[١٣] سمكو، وعمرخان، فتغلب الروس على هذه المقاومة، وانسحب الأكراد المقاتلين إلى جبال تقع غرب البحيرة، بموازاة الحدود التركية. وفي ٢٥ أيار دخلت القوات الروسية أورميا ثانية، بعد أن دامت تحت الاحتلال التركي مدة خمسة أشهر، وهم ينشدون أناشيد الفرح وسط سرور المبشرين الأمريكيين والمسيحيين المحليين[١٤]، أما في إقليم مهاباد فقد أرغمت جماعات مسلحة من قبيلتي منكور[١٥] ومامش[١٦] بالطريقة نفسها على اللجوء إلى المرتفعات الجبلية بعد مناوشات مع الغزاة. وعندما أبرمت اتفاقية نزع السلاح بين روسيا البلشفية وتركيا في كانون الأول ١٩١٧، انهارت الحدود الروسية في أذربيجان وتركت المنطقة الواقعة غرب بحيرة أورميا، للمطامح المتضاربة للعشائر الكردية والقوات الآشورية والمسيحية المتحالفة، وانزل أدرمية الأذربيجانيين ووحدات من الجيش التركي.

وفي خريف ١٩١٥، قاد مار شمعون بطريرك الآشوريين وزعيمهم الديني العشائر الآشورية المقيمة في منطقة هكارى في جنوب شرقي تركيا إلى داخل إيران، حيث اتخذت من سهول سلامس وأورميا وسكانها المسيحيين ملاذاً موقتاً لها. وفي نهاية عام ١٩١٧ كان مار شمعون يقود حملة قوامها خمسة آلاف آشوري مسلحين بالبنادق التي كانوا قد تسلموها قبل وأثناء الاندحار الروسي، وقد حاول ممثلو الحلفاء في المنطقة تشجيع الآشوريين القلائل من الروس الباقين معهم على صيانة الجبهة ضد الأتراك وكان عدد الروس المتطوعين قليلاً إلا أن ٦ آلاف مسيحي مسلح كانوا على أهبة الاستعداد للقتال. وقد اعتبرت مثل هذه القوة المسيحية المسلحة بمثابة تهديد من قبل

مسلحي مدينة: أورميا: وزعماء الأكراد، وفي طليعتهم اسماعيل آغا، سمكو، زعيم عشيرة الشكاك، وكان سمكو شاباً وسيماً جريئاً، تربى على العنف، وعلى ذكرى حادثة اغتيال شقيقه الأكبر جعفر آغا، قبل عشرة أعوام، في وليمة رسمية في تبريز، حيث كان ذاهباً لاستلام منصب الحاكم على المناطق الكردية غرب بحيرة أورميا. وسنحت له الفرصة الآن، بعد أن أزيح الروس عن طريقه للأخذ بالثأر الذي كان يتعطش إليه، حتى وإن لم يكن الانتقام من قاتلي جعفر أنفسهم، فدعا سمكو مار شمعون إلى تناول طعام العشاء في قرية "كونه شهر" في سلامس، ليناقش معه موضوع إقامة تحالف كردي آشوري بأسلوب ودي أثناء تناول الطعام. وأعقب ذلك انهيار وابل من الرصاص على البطريرك ورجاله، بحيث لم ينج سوى واحد من حراسه فقط. وانتشرت الشائعات التي مفادها أن سمكو قد نال رشوة تركية للقيام بهذا الاغتيال. وكان من واجب شقيقة مار شمعون التي تحالفت مع القوى الآشورية أن تأخذ بثأر أخيها لطرد الأكراد خارج سهل (سلس)، وبمساعدة الجيش التركي: ولهذا فإن الأكراد سرعان ما عادوا للهجوم مجبرين القوات المسيحية على التراجع جنوب أورميا، حيث بدأت المناقشات التي أدت إلى تحطيم الخطوط الآشورية، وانقلب تراجع بقايا الآشوريين نحو الحماية البريطانية في همدان إلى كارثة نتيجة للهجوم العنيف الذي قام به الأكراد المطاردون، وعلى أيدي العشائر التي كانت موجودة في طريق تراجعهم. حتى أدى ذلك إلى إبادة الأمة الآشورية تقريباً.

كان عام ١٩١٩ بمواثيقه وعهوده الويلسنية حول حق الأمم في تقرير مصيرها، بشارة أمل بالنسبة للقوات غير التركية داخل

الأمبراطورية العثمانية ومن ضمنها العرب والأرمن وحتى الأثوريين. وكان الإنكليز في منطقة السليمانية العراقية متسامحين مع حكم الشيخ محمود الطموح، والذي تجاوز طموحه حداً كبيراً بلغ بذله المساعي المتواصلة ليصبح ملكاً على مناطق يتسع امتدادها باضطراد تبدأ من كردستان العراق، إضافة إلى أن بعض العشائر في الشمال كانت على أهبة الاستعداد للثورة أو التفاوض من أجل الحصول على رضى الأتراك والإنكليز، أو العرب العراقيين خلال السنوات العديدة، عندما كانت الحدود التركية ـ العراقية غير محددة وفي شمال غربي إيران، وهو الجزء الذي تعني به هذه الدراسة، كان "سمكو" قد ملأ الفراغ الذي تركته القوات الروسية التركية والآشورية المتقهقرة فهو كان المفاوض مع (كوردن بادك) القنصل الأمريكي في تبريز على إخلاء سبيل المبشرين الأمريكان بسلام لقاء دفع مبلغ قدره خمسة آلاف دولار من النقد الفضي ليتسنى لهم الخروج بأرواحهم تاركين أملاكهم وأموالهم عرضة للنهب. وكذلك اعترفت الحكومة الإيرانية بنفوذ وسيطرة سمكو على المنطقة وعينته حاكماً على المرتفعات الجبلية غربي البحيرة. ومع أن سمكو في ذلك الوقت كان يتحدث عن دولة كردية مستقلة فلم تكن لديه أية فكرة ناضجة عن محتوى نظام حكم معادي للحكم العشائري، وهذا ما دفعه إلى معارضة محاولات حكومة طهران للقيام بتعيين الموظفين في منطقته. ولم يقف عند ذلك الحد إذ قاد قواته عام ١٩٢١ لمحاربة مهاباد التي كانت تدعى آنذاك (جوهي سوج بولاق) وذبح هناك ما يقارب الستة آلاف من الجندرمة من بينهم مبشر لوثري أمريكي. ولم تتهيأ له تلك الفرصة لو لم يمرض خان شاه

الذي استطاع قائد جيشه القدير الجنرال عبدالله (طهماسب) بالتعاون مع عشائر شهفسان التركية الأذربيجانية بقيادة أمير أرشد إلى تجهيز حملة عسكرية لإيقافه عند حده، وفعلاً تم لها القضاء على غزواته، وهكذا انتهت أيام سمكو المجيدة، إلا أن تأريخه الشخصي لم ينته، إلا في يوم من أيام عام ١٩٣٠ عندما وقع في كمين نصبته له القوات الإيرانية في (أوشنافية) التي كان ذاهباً إليها لتسليم نفسه والتماس عفو الحكومة عنه.

## ما بين الحربين

نصت معاهدة سيفر التي وقعتها تركيا ودول الحلفاء في ١٠ آب عام ١٩٢٠ فيما يتعلق بالأكراد على ما يلي:

المادة (٦٢) تشكل لجنة تتألف من ثلاثة أعضاء، تضمّ حكومات بريطانيا وفرنسا يكون مركزها القسطنطينية، وتقوم بإعداد مسودة مشروع الحكم الذاتي الكردي المحلي، للمناطق الكردية الواقعة شرق نهر الفرات، وجنوب حدود أرمينيا الجنوبية، خلال ستة أشهر من تشكيلها، وفق ما سيتقرر بشأنها، فيما بعد، أو شمال حدود تركيا مع سوريا وبلاد ما بين النهرين... الخ.

المادة (٦٣) توافق الحكومة التركية بموجب هذه المعاهدة على قبول وتنفيذ قرارات اللجان المذكورة في المادة (٦٢) خلال ثلاثة أشهر من تاريخ تبليغها إلى الحكومة المذكورة.

المادة (٦٤) إذا ما ظهر في المناطق الكردية المذكورة في المادة (٦٢) خلال سنة واحدة أن اغلبية السكان في تلك المناطق ترغب بالاستقلال عن الحكم التركي، وإذا ما ارتأى مسؤولية المجلس

(مجلسة عصبة الأمم) أن تلك الشعوب قادرة على تحمل مثل هذا الاستقلال، وأوصى بأن تمنح لهم، فإن تركيا توافق بموجب هذه المعاهدة وتقوم بتنفيذ مثل هذه التوصيات وتتنازل عن كل حقوقها وامتيازاتها في هذه المنطقة.

إلا أن هذه المعاهدة ولدت ميتة منذ توقيعها، ولكن التاريخ كتب من قبل مصطفى أتاتورك في معاهدة لوزان عام ١٩٢٢، عندما أصبح واضحاً أن لا وجود لأمة أرمنية أو كردية ضمن إطار تركيا. أتاتورك لم يأنف من مساندة القوات الكردية في مساعيها لتحقيق الوحدة التركية من عام ١٩٢٠ ـ ١٩٢٣. ومن ثم وجه اهتمامه إلى جيوب المقاومة الداخلية، بما فيها المرتفعات الجبلية الكردية باتجاه الشرق. وفي عام ١٩٢٥ قاد الشيخ سعيد ثورة واسعة النطاق في كردستان تركيا الجنوبية، وبعد ذلك بسنتين نظم نوري بك مقاومة استمرت ثلاث سنوات في الشمال والشرق على سفوح آرارات، وقد أخمدت هاتان الثورتان على يد الجيش التركي بعد قتال مرير وتضحيات باهظة في الأرواح، وحين استتب الأمر للحكومة التركية، أخذت تمعن في تحطيم تلك العلاقات الكردية الإقطاعية القبلية التي أدت بالأكراد إلى شن الثورات، أو بمعنى آخر تأكيد حقهم في الاستقلال. فألغت الألقاب وأبعدت الزعماء القبليين، وهُجرت بعض القبائل وأصبح تعلم اللغة التركية، إلزامياً وأصبح الأكراد يعرفون باسم (أتراك الجبال) وفي هذه الفترة ذاتها كان نفوذ الدولة المنتدبة على العراق يلزم الحكومة العربية بالوفاء بتعهداتها تجاه الأقليات، ومن ضمنهم الأكراد الذين كانت نسبتهم (٢٠٪) من مجموع السكان، على الرغم من ذلك فقد برزت صعوبات جديدة

بسبب مطامع الشيخ محمود في منطقة السليمانية، وشيوخ برزان وأتباعهم في أقصى الشمال من تلك المنطقة. وقد استخدم المجندون الآشوريون في بعض الحملات التأديبية المتحدة ضد العشائر الكردية، إلا أن الحكومة العراقية لجأت عام ١٩٣٣ لأسباب جمة، إلى تنفيذ إجراءات عملية ضد الآشوريين، ذبح خلالها عدد كبير منهم، وبعد هذا نقل مار شمعون إلى قبرص، ومنها غادر إلى الولايات المتحدة. وفي إيران حقق رضا خان، وأصبح فيما بعد رضا شاه بهلوي وحدة وطنية زائفة، عن طريق العنف، إذ هزم عشيرة بعد أخرى بقوة السلاح والمكائد، وفرض على الزعماء البارزانيين الإقامة الجبرية في طهران، أو أماكن أخرى نائية عن مواقع عشائرهم، كما بذل كل المساعي لفرض اللغة الفارسية في كردستان، واستبدال الزي المحلي الذي تميز به الأكراد بالزي الأوروبي من الطراز الإيراني.

## ١٠ نيسان الإطار الدولي

كانت الحكومة الإيرانية، ومعظم دول العالم تتطلع خلال شهر نيسان بريبة، يشوبها الأمل نحو يوم معين في أوائل أيار حدد كآخر موعد لجلاء القوات السوفييتية من أذربيجان، ولقد بقي مجلس الأمن أثناء ذلك مشغولاً بالمسألة الإيرانية، رغم ادعاء السيد غروميكو والمندوب السوفييتي بأن حكومته كانت قد توصلت إلى تفاهم مع الحكومة الإيرانية بصدد أسس الشكوى الإيرانية، واستمر غروميكو على التأكيد على أن تعهد السوفييت بالجلاء عن إيران خلال خمسة أو ستة أسابيع اعتباراً من ٢٤ آذار، لم يكن مقترناً بأي

قيد أو شرط إلا أنه كان مفهوماً بوضوح في طهران بأن الجيوش السوفييتية الباقية في إيران كانت تستعمل كعتلة للحصول على امتياز نفطي سوفييتي من نوع ما في الشمال، ولتأمين اعتراف إيراني بوضع خاص لأذربيجان، كان اتفاق ٤ نيسان بين السفير السوفييتي في طهران ورئيس وزراء إيران قائماً إلى حد كبير، وتاريخ مغادرة القوات السوفييتية غير أكيد، لدرجة أن أياً من الطرفين لم يعمد إلى إثارة هذه المشكلة.

## النزاع الإقليمي الأذربيجاني ـ الكردستاني

لم يكن بالمستطاع في أثناء ذلك إعادة عقربي الساعة في كردستان إلى وضع ما قبل الحكم الذاتي. فكاكا آغا كان منهمكاً في تدريب جيش يحل محل القوات السوفييتية، بعد انسحابها من أذربيجان للمحافظة على المكاسب الكردية. وقد جرى تعمير وترميم الثكنات التي دمرت أثناء فترة الاحتلال السوفييتي سنة ١٩٤١، لكي يستعملها جيش الجمهورية، وفي أوائل شهر نيسان زود ١٢٠ بارزاني بأحسن البنادق والمسدسات والرشاشات والقنابل اليدوية من الشحنات المقدمة من قبل الروس.

كانت القدرة العسكرية للبارزانيين الحائزين على مهارة تكتيكية، مكتسبة خلال ثوراتهم في السنتين ١٩٤٣ و١٩٤٥ في شمال العراق، والخاضعين لضبط زعمائهم الصارم تفوق بكثير على مقدرة فرسان العشائر الكردية، الإيرانية الجنسية، أو المجندين المستجدين الذين تكوّن منهم جيش الجمهورية الفتي، وقد تحركوا جنوباً خلال شهر نيسان لاتخاذ مواقع لهم فوق سقز، حيث كانت حامية كردية

إيرانية قد عززت مؤخراً. وفي أثناء ذلك جرى تجميع رجال عشيرتي الشكاك والهركي من الجبال الواقعة غرب رضائية، ليتحركوا جنوباً ويساندوا جناح البارزانيين الأيمن، المستند إلى الحدود العراقية باتجاه الغرب.

وفي ذلك الوقت كان القاضي محمد يواجه تهديداً بقيام صدام دموي بين الأكراد المتمتعين بالحكم الذاتي والأذربيجانيين الحائزين على الحكم الذاتي، علماً بأن الأخيرين واصلوا الادعاء بأن كردستان يجب أن تبقى خاضعة لهم، فقد سيطرت القوات الأذربيجانية على عدة مراكز مدنية واقعة على الخط الفاصل بين شعبي القوميتين، وكانت تلك المراكز هي بلدة خوى الكبيرة (عدد نفوسها ٣٥ ألف نسمة) شمال غرب بحيرة رضائية، وأغلبية سكانها الساحقة أذربيجانيون يتاخمها من جهة الغرب سكان الجبال الأكراد، وشابور الواقعة على مسافة ثلاثين ميلاً إلى الجنوب، يزيد عدد سكانها الأتراك بمقدار (١٢٠٠٠) نسمة على عدد الأكراد، ورضائية الواقعة إلى الغرب من وسط البحيرة وعدد سكانها (٥٥٠٠٠) نسمة أغلبيتهم من الأتراك، مع أقلية مسيحية عدد أفرادها (٨٠٠٠) نسمة، ويعتقد بعض الأكراد أنها أصلح من مهاباد لتصبح مقر حكومة كردستان.

ومياندوب (٨٠٠٠) نسمة، الواقعة على بعد بضعة أميال جنوب شرقي البحيرة، وأغلب سكانها أذربيجانيون، إلا أن الأكراد يعتبرونها بلدتهم جزئياً على الأقل. ولما كانوا يسعون لتثبيت حدود جغرافية طبيعية، ادعوا بأن بحيرة رضائية البالغ طولها تسعين ميلاً، يجب أن تكون هي حدود مناطقهم، رغم أن بلدتي رضائية وشابور

يمكن تثبيتها ما لم يتحد أكراد تركيا والعراق مع أكراد إيران.

وقد تجاهلت الاتفاقية النهائية(١٧) في الواقع، جوهر النزاع الإقليمي، وفيما يلي نصوص الاتفاقية:

المادة (١) يعين ممثلون رسميون لأحد الفريقين في أراضي الفريق الآخر، كلما وجد الفريق ذلك ضرورياً.

المادة (٢) في المناطق الأذربيجانية التي يزيد فيها عدد الأكراد، على عدد الأتراك، يعين الأكراد في الدوائر الحكومية، والعكس بالعكس.

المادة (٣) تشكل الحكومتان لجنة اقتصادية مشتركة لمعالجة المشاكل الاقتصادية، وتؤخذ مقررات اللجنة بنظر الاعتبار من قبل رئيس الدولتين.

المادة (٤) عند الضرورة يُقام تحالف عسكري، وتقدم المعونة المتبادلة اللازمة.

المادة (٥) أية مفاوضات مع الحكومة الإيرانية يجب أن تجرى بموافقة كلتا الدولتين.

المادة (٦) تتخذ حكومة أذربيجان الخطوات للمساهمة في التقدم الثقافي واللغوي للأكراد القاطنين في أراضيها والعكس بالعكس.

المادة (٧) يعاقب كلا الشعبين أي فرد يحاول المس بالصداقة والتحالف التاريخيين بينهما، أو أي فرد يحاول تقويض وحدتهما الوطنية.

ذيلت المعاهدة بتواقيع جميع المندوبين المذكورين أعلاه. ومع أن الأكراد الذين وقعوا المعاهدة كانوا مستائين من موقف أصدقائهما

الروس، إلا أنهم لم يجدوا لذلك بديلاً، ولقد حدث استغراب في طهران عندما انتشر نبأ توقيع مقاطعتين إيرانيتين معاهدة تنص على التبادل الرسمي بين الممثلين، كما لو كانتا دولتين ذاتي سيادة.

الأكراد، وقوام السلطنة، تمكنا فيما بعد من استغلال رغبة الأذربيجان في تجاهل مضمون المادة (٥) لعقد معاهدة مع تبريز، افتقرت إلى الموافقة الكردية الكاملة. كما أن الحكومة الإيرانية استفادت من بقاء مسألة المطاليب الإقليمية للمقاطعتين معلقة، مما جعل حقد تبريز على الأكراد أشد من حقدها على طهران.

كان لإحدى مواد المعاهدة وزنها الخاص لدى قاطبي محمد، الذي رحب بها في وقت كانت الجيوش السوفييتية على وشك إزاحة درعها الواقي عن المنطقة.

كانت تلك هي المادة الرابعة التي دعت إلى التعاون العسكري المتبادل في حالة الحرب، فلدى عودته إلى مهاباد، دعا القاضي محمد جماعة من القادة العسكريين والمدنيين، وطلب منهم أن يقسموا على الدفاع عن أذربيجان إذا ما هوجمت. وكان يأمل مخلصاً أن يكون الأذربيجانيون من جانبهم مخلصين في تعهدهم لحماية كردستان لا لشجاعتهم وتفوقهم العسكري، بل لأنه كان يدرك بأن حكومة تبريز ذات القيادة الشيوعية، كانت أقرب إلى الاتحاد السوفييتي جغرافيا وإيديولوجيا. وعقد تحالف عسكري بين كردستان ودولة اعتقد أن بقاءها بفضل نفوذ دولة كبرى يشكل له سنداً قوياً.

## تلاميذ للاتحاد السوفييتي

كان نيسان أيضاً هو الشهر الذي أرسل فيه الطلاب الأكراد إلى

باكو. ويجب أن نتذكر أنه في شهر تشرين الثاني وصلت مهاباد ١٢٠٠ بندقية، وفي كانون الأول وصلت ووضعت موضع العمل المطبعة التي كانت الحاجة ماسة إليها، ثم بعد حوالي شهرين من إعلان الجمهورية، وصلت مهاباد ثماني ناقلات برية محمّلة بالتجهيزات العسكرية الخفيفة، ووصلت خمس ناقلات أخرى بعد ذلك بأسبوعين، وكان طلب الأكراد يتتابع مرة تلو أخرى للدبابات أو على الأقل للمدافع الضرورية لرفع نوعية قواتهم إلى مستوى قريب من مستوى نوعية الوحدات الإيرانية في الجنوب. لم يرفض الروس المطالب رفضاً تاماً، بل أعلنوا بأن ثمانية مدافع سترسل إليهم قريباً، إلا أنها لم ترسل قط. أما فيما يتعلق بالدبابات فإن الروس ركزوا على مزايا أنواع الدبابات الإيرانية القديمة، والأنواع المصنوعة في الولايات المتحدة التي لا تكشف هوية المجهز الروسي بوضوح. إلا أن هذه الدبابات أيضاً لم تصل، ولم تكن نتيجة وصولها لو تم حاسمة على أغلب احتمال، على أن المعونة المالية للجمهورية التي ذكرت في باكو لم تشر إلى أية مبالغ سوفييتية كانت في طريقها إلى يد الأكراد، ولم تتحقق المواعيد السوفياتية للجمهورية بصورة كاملة سوى واحد منها لما يتضمن من فوائد بالغة للمصالح السوفييتية بعيدة المدى، وهو تدريب الشباب الأكراد في الاتحاد السوفياتي، ونفذت أقوال باقروف حول ذلك بحذافيرها، والتي تتعهد بقبول أي عدد من الطلاب الأكراد في مدارس باكو، حيث كان بوسعه أن يكون كريماً جداً لعلمه، بأن دراسة الشباب الأكراد البدائية في موطنهم من شأنها تحديد عدد المؤهل منهم للدراسة في الكليات العسكرية الروسية أو الكليات الأخرى.

وفعلاً بدأ القاضي محمد في مهاباد يعاونه وزير التربية مناف كريمي خلال شهري آذار ونيسان في البحث عن ضباط المستقبل بين تلاميذ المدارس في المدينة. وسرعان ما خفضت المستويات الدراسية المطلوبة، بحيث أصبح أي واحد أكمل الصف السادس مؤهلاً للترشيح، وبموجب ذلك أصبح المجموع ٦٠٠ مرشح تقريباً.

عندما اختيرت في أواسط نيسان المجموعة الأولى البالغ عددها أربعين طالباً، وقد قابل آباء عدة طلاب أهملوا في عملية الاختيار كلياً بعدم الارتياح الذي عرض عليهم إلى المعهد العسكري العالي في تبريز. وصلت في أواخر نيسان المجموعة المؤلفة من أربعين طالباً كردياً إلى تبريز، بعد أن دفع كل منهم نفقات سفره إلى تلك المدينة، وبعد خمسة عشر يوماً تبعتهم مجموعة ثانية تتألف من عشرين طالباً. تسلم الروس هؤلاء الطلاب وسفروهم بالقطار إلى باكو حيث أدخلوا إلى ما سمي بكلية عسكرية، إلا أن ما قدمته لهم تلك الكلية التي كان آمرها مالجونوف والمشرف على طلابها من الأكراد العقيد حسين حاجيوف، كان عبارة عن دروس ابتدائية وثانوية وتدريب عسكري.

وقد وزعت عليهم البدلات العسكرية، وقسموا إلى صفوف حسب قابلياتهم وكانت نفقات معيشتهم تدفع من قبل السوفييت إلى جانب أرزاق إضافية. ولم يثقفوا علانية بالمبادئ الشيوعية، إلا أن منجزات الاتحاد السوفييتي، وإخلاص ستالين للأكراد شكلت جزءاً من زادهم اليومي، وكانت تتلى عليهم كذلك مبادئ القومية الكردية. ومع أن الأولاد كانوا يمتزجون امتزاجاً ودياً مع أذربيجانيي باكو، فإن العداء التقليدي كان يقلل من طيبة علاقتهم مع الـ(٢٥٠)

طالباً من أذربيجان ومن بين الستين طالباً الذين أرسلوا إلى باكو، قلة ضئيلة، لم تحسب وهم: سلطان أوتاميثي الطبيب حالياً في باكو وسيد كريم أيوبي الذي أنهى دراسته وبقي في باكو كجراح بلاستيك، ورحمن كرماني المقيم الآن في باكو، حسن حسامي وهو طبيب في العراق الآن، ورحيم سيفي القاضي، موجود الآن في الاتحاد السوفييتي، وشاب آخر اسمه كه لاويز (ومعناه بالكردية كوكب الزهرة)، وكان في سنة ١٩٦١ ينشر دعاية معادية لإيران باللغة الكردية من برلين الشرقية، وقد اختير صبي آخر اسمه حميد خوسرفي، وفتاة أخرى اسمها هاجر زندي من قبل (جعفروف) في رضائية، للتدريب على أساليب الاستخبارات، وكان ثلاثة طلاب من مهاباد من خريجي الدراسة الإعدادية قد حصلوا سابقاً على منح دراسية من جامعة باكو، من بين المنح التي قدمت من قبل سنة للحكومة الإيرانية. وكان هؤلاء رحمن خلافي وخسرو ذو الفقار، ومصطفى شلماشي الذي لا يزال في الاتحاد السوفياتي.

كان الطلاب الستون الذين رحلوا شمالاً في نيسان سنة ١٩٤٦ بمثابة الوجبة الأولى، تتبعها وجبات أخرى من الطلاب الأكراد، ينالون تعليماً روسياً ويعودون كوادر موالية للسوفييت، ليسيطروا على الخدمات المدنية والجيش الكردي. ولقد أعدت فعلاً وجبة ثانية، إلا أن تطور الأحداث حال دون وصولهم إلى الاتحاد السوفييتي. وكانت تشكيلة غريبة من الطلبة الأكراد ستتجمع في الاتحاد السوفييتي، ذلك لأن موظفي مهاباد قد قرروا أن يرسلوا كرهائن أبناء زعماء القبائل الذين كان ولاؤهم لجمهورية مهاباد بدأ يتناقص في بعض الحالات. إلا أن زعماء القبائل ابتدعوا أعذاراً

عديدة لتلكؤ أبنائهم في قبول الرحلة إلى باكو، كضرورة وجود بعضهم في أماكنهم لإدارة الممتلكات القبلية أو قصور بعضهم الآخر عقلياً، أو عدم استعداد آخرين غيرهم، إلا بعد انتهاء موسم الحصاد، وقد نجح القادة الأكراد والمتراجعون نسبياً للتطرف الأخير للجمهورية متحررين من الروابط مع السوفييت.

ومنذ ذلك الحين بقي الطلاب الأكراد الستون في باكو، وهم لا يشعرون بأن مناهجهم لن تؤدي بهم إلى نتيجة.

## قاراوة

في ٢٩ نيسان كانت الحماية الإيرانية المعززة في سقز مستعدة لاستعراض قواتها المسلحة، لبث الرعب والرهبة في نفوس أعدائها، ورفع معنويات القوات الإيرانية، وكسب تأييد عدة عشائر في المنطقة موالية للإيرانيين. أما الطريق من ميان دواب فيمتد باتجاه جنوبي غربي إلى مهاباد عبرا أراض جبلية، وإلى الجنوب منه يتبع طريق آخر وادي نهر تاتاهو مسافة أربعين ميلاً حتى بوكان، ثم يواصل امتداده جنوباً ثلاثين ميلاً آخر إلى سقز، ومنها يصل في النهاية إلى سنندج وكرمنشاه. وتقع على امتداد هذا الوادي الغزير المياه بين ميان دوب وسقز القرى الغنية التابعة لقبيلتي ايلخانيزاده وديبوكري من بوكان وفيزالله بكي القريبة من سقز.

في الصباح الباكر من يوم ٢٤ نيسان، بدأت مسيرة الكولونيل كسرى الأمر الإيراني في سقز وحوالي (٦٠٠) من عساكره، تساندهم الخيالة والمدفعية بالزحف شمالاً داخل أراضي العدو. سار الموكب على أنغام تعزفها جوقة موسيقى الحامية وقد قطع الجيش

الزاحف ثمانية أميال، حتى ظهر ذلك اليوم، حيث وصل قرية قهراباد الصغيرة التي (يسميها الأكراد قاراوة)، حيث تكون مياه جدول بارد جميلة خضراء محاطة بجبال جرداء، وفي هذا المكان ألقى الجنود بأحمالهم وبنادقهم، وجلسوا للاستراحة. وقد اعتبر البارزانيون عملية الإيرانيين الاستطلاعية تلك تهديداً لمواقعهم غرب الطريق فوق سقز، وحيث أن الزحف الإيراني كان علنياً فإن البارزانيين اتخذوا مواضعهم في كمائن، وفجأة انطلقت النار على الجنود الإيرانيين من جميع الجهات ومن مسافات قريبة وسرعان ما قتل ٢١ جندياً وجرح ١٧ وأخذ ٤٠ أسيراً، وطورد الآخرون، حتى أدخلوا سقز ثانية. وبعد ظهر ذلك اليوم، وعندما وصل الأسرى الإيرانيون إلى مهاباد في ناقلات مكشوفة، وجدوا أنفسهم وسط حفلة عامة، سرعان ما تحولت إلى احتفال عام كبير. فقد عوملوا معاملة طيبة من قبل الأكراد الذين اعتبروهم مغانم مرموقة ممقوتين، وبعد أيام من ذلك سلم الضباط إلى الأخوة المواطنين في سقز، وأرسل الجنود شمالاً إلى تبريز حيث أطلق سراحهم ليعودوا إلى طهران.

كان حادث قاراوة كميناً كردياً تقليدياً (كلاسيكياً) أكثر منه معركة. إنه لم يبرهن على شيء فيما يخص القوة العسكرية الحقيقية في المنطقة. إن القوة الإيرانية هزمت بسبب موقعها المكشوف لا لأنها كانت تخشى القتال، إلا أن النصر الكردي كان بمثابة دفع منشط لمعنوية الجمهورية الفتية.

# الفصل الثاني

# الحرب العالمية الثانية

## الروس، الأكراد، والحروب

كان الاحتلال السوفييتي لإيران في آب ١٩٤١ مبعث قوة للسلطة الإيرانية على الأكراد القاطنين في الشمال الغربي. فقد اندفعت الجيوش الروسية منذ البداية نحو الجنوب إلى سنندج، ثم إلى خط أوشنافيه ـ ميان دوب شمال مهاباد، إلا أن منطقة نفوذهم امتدت جنوب ميان دوب إلى سقزبانه وزردشت، ولكن هذا النفوذ لم يشمل تماماً القصبات الثلاث ومناطقها في حين أن النفوذ البريطاني تمركز في أقصى جنوب كرمنشاه، حيث عسكرت القوات البريطانية على الطريق الرئيسي المؤدي إلى العراق، وامتدت إلى الشمال داخل إقليم سنندج بشكل مشابه لذلك الذي كان عليه وضع مهاباد داخل المجال السوفييتي والتقت المنطقتان على امتداد خط سقز زردشت..

مع أن الاتحاد السوفييتي كان قد اطلع المانيا النازية سراً على مطامعه الإقليمية في الخليج قبل عام من هذا التاريخ، فإنه اتخذ من

الاحتياطات المشددة عام ١٩٤١ و١٩٤٢ لحماية مؤخرة الجيوش الروسية عند تراجعها نحو القوقاز وأذربيجان، وصيانة خط التموين الذي تسلكه الشاحنات الأميركية والدبابات من أعلى الخليج. وهكذا فإن السياسية السوفييتية أثناء العام الأول من الاحتلال كانت مطاطية تهدف إلى إنزال الضرر بأية صورة كانت بفئات معينة ذات نفوذ ومكانة رفيعة، ولكي لا تعطي للأكراد أي مبرر للاهتمام بعملاء المحور الذين كان يظن تدخلهم بشؤونها في تركيا.

وبالمقارنة بفترة ما قبل الحرب، فإن وضع الأكراد قد تحسن كثيراً بالنسبة لما كان عليه قبل ذلك، لما كانوا يغنمونه من المعدات والذخائر أثناء انسحاب القوات الإيرانية المبعثرة والضعيفة نحو الجنوب، كما ظفر الزعماء الأكراد والمنفيون بالسماح من رضا شاه، حيث استعادوا بسرعة نفوذهم المحلي وتضاعف حب العشائر لهم، لما أكسبهم اعتقالهم من ارتفاع الاحترام، فكان من الطبيعي أن يمتنوا للقوى الخارجية التي أعادت لهم مراكزهم وأخذوا ينظرون إليها بعين الأمل.

إن المفهوم الكردي للحرية في ذلك الحين قد ساد بأنقى مظاهره في الجبال الواقعة غرب الرضائية، حيث اقترن بقطع الطرق ومهاجمة القرى المنتشرة في السهل وفرض الضرائب على عبور الطريق، وقد نال الهركيون والشكاك ممن لم يخضعوا دائماً لزعمائهم قصب السبق في هذا المضمار، على عكس ما كانت عليه مهاباد الواقعة جنوب بحيرة الرضائية في الأيام الأولى من الاحتلال، بالرغم من أن عصابات صغيرة من عشيرة (ديبكري) كانت من وقت لآخر تجمع الضرائب على طريق مهاباد ـ ميان

دوب. وكان الأمن في مهاباد ذاتها سائداً بوجود القادة الدينيين المحترفين، الذين جعلوا مهاباد في مأمن من الغارات العشائرية أما اضطراب الأمن في مهاباد ـ ميان دوب، فقد تجلى بطريقة دراماتيكية في ٢٥ نيسان ١٩٤٦ عندما قتلت المراسلة الصحفية ليابارديت زوجة الصحفي الأمريكي وينستون بارديت في طريقها من مهاباد إلى تبريز، بإطلاق النار عليها عند توقف سيارتها بالقرب من مقهى في جنوب ميان دوب، في مفترق الطرق الواقع في السهل التركي المأهول بالسكان، وعند التلال الكردية، وفي يوم مصرعها كانت السيدة بارديت مدعوة لتناول طعام الغذاء في مهاباد على مائدة القاضي محمد الشخصية، ذات النفوذ المحلي، والذي أذهله نبأ مصرعها، الذي لم يكن له مبرر، ومع بقاء قصة الحادث الكاملة غامضة، فالملاحظ أن الهجوم كان موجهاً من قبل منافس لمجيد خان من بلدة ميان دوب، والذي كان ابنه مسافراً في سيارة السيدة بارديت. وقد حوكم القتلة في تبريز، ولكنهم لم يعاقبوا.

وعلى هذا النحو كانت مشاكل الأمن التي عجزت السلطات الإيرانية عن معالجتها بسبب منع الروس وحدات الجيش الإيراني من دخول المنطقة، لعجز الموظفين المعنيين في تبريز والرضائية وخوى، وفي مراكز أخرى عن ضبط النظام في تلك الفترة لقوة شوكة زعماء القبائل الذين كان الروس يستميلونهم إليهم، فالروس المسؤولون ضمناً عن صيانة الأمن لم يتساهلوا بسياستهم الهادفة إلى إدامة حسن ظن العشائر الكردية بهم، مما دفعهم إلى اتخاذ موقف متأرجح بين تشجيع المطامح الكردية من ناحية، وتلطيف طبائعها المتمردة على القانون وبذخ المبالغ المالية لهم من ناحية أخرى،

وأخيراً في ٢٥ آذار ١٩٤٢ سمح لكتائب الجيش الإيراني بالدخول إلى أذربيجان، وكانت مهمتهما الأساسية القضاء على الفوضى الكردية في منطقة الرضائية.

وكان على الوكلاء السوفييت السياسيين في سعيهم لإقامة نفوذهم في كردستان، أن يتغلبوا على التشكك الكردي التقليدي بنوايا دولية عملت مدة قرن على دفع حدود الإسلام إلى الخلف في القوقاز، وإقامة نفسها حامية للمسيحيين المحليين القاطنين بين أكراد تركيا وأذربيجان، إضافة إلى أن ذكريات الأعمال الوحشية التي مارستها القوات الروسية أثناء الحرب العالمية الأولى، والتي نالت منها كردستان نصيباً كبيراً خصوصاً منطقة كرمنشاه، وما تزال تلك الذكريات عالقة في أذهان الأغلبية من الأكراد. ولكن تغير الزمن وتغيير الحكومة السوفياتية جعل ثلاثين زعيماً بارزاً من زعماء الأكراد أن يستجيبوا بدون تردد للدعوة التي وجهت إليهم في أواخر ١٩٤١ لزيارة الاتحاد السوفييتي. وقد نقلت الوفود الكردية من الرضائية وميان دوب وبوكان ومهاباد بالسيارات إلى تبريز ومنها بواسطة القطار إلى باكو، يرافقها الجنرال سليم أتاكجيوف، الذي سيرد اسمه ثانية في هذا البحث. ومع أن الوفد الكردي ضم شخصيات متناقضة في الاتجاه، فقد شفع لها تركيبها الإقطاعي المحافظ بالتجانس النسبي، وممن شارك في هذا الوفد القاضي محمد من مهاباد، ومن ميان دوب مجيد خان، ومن ساكو جاء علي آغا سعد وابنه عمر اليار وحاجي بابا شيخ. كما مثل رشيد بك وزير وبك وطه مختلف العشائر وكان معهم سيد محمد صادق (الشيخ بوشو) ابن سيد طه الشمديناتي وكان من دواعي سرور عمر

خان شريفي الزعيم الأعلى للشكاك فيما بعد أنه قد تخلف عن الركب بسبب حالته الصحية، إلا أن حسن هونارا وحسن ييتلوى كانا ضمن الوفود. كما مثل موسى خان عشيرة زرزا القريبة من أوشنافية، ومثل حاجي قرني آغا وكاكا حمزه نالوس الزمرتين المعارضتين لعشيرة مامش غرب مهاباد، ومن هذا المكان نستطيع تقديم وصف موجز لعشائر كردية معينة في إيران.

## العشائر الكردية في إيران

بالمستطاع تمييز أكثر من ستين عشيرة كردية متفاوتة الحجم في كردستان الإيرانية، وأكبر هذه العشائر هي عشيرة الكلهور التي يبلغ مقدارها حوالى (١٢٠) ألف نسمة، وهي متعددة الفروع والبطون، وتتوطن جنوب غربي كرمنشاه. أما العشائر الصغيرة فتتوطن قريباً من (سهل روشة) ويبلغ تعداد الواحدة منها بضعة آلاف.

ولتجنب الارتباك غير الضروري في البيانات العشائرية، فإننا سنكتفي بذكر هذه العشائر لقيامها بمؤازرة زعمائها بأدوار مهمة في الأحداث الكردية عام ١٩٤٦، ففي أقصى الشمال الغربي، وفي ركن يقع عند الحدود السوفييتية التركية، تسكن عشائر الجلالي البالغ تعدادها نحو خمسة وعشرين ألف نسمة، وقد كان دور هؤلاء في الحوادث الأخيرة قليل لأهمية اجتياز معظم أفراد عشيرة الجلالي، الحدود إلى تركيا كلاجئين في الشرفيات، ولكن الانقسام الذي نشب بينهم أضعفهم كثيراً، وجعل الجيش الإيراني يوقع بهم ضربات متلاحقة أدت أخيراً إلى اعتقال رؤسائهم في طهران بعد الاحتلال.

وفي فترة الحرب العالمية، بقيت عشائر الجلالي تحت نفوذ عمر خان من الشكاك يجاورهم من الجنوب نحو عشرة آلاف من عشائر الميلان الذين يرأسهم عدد كبير من الشيوخ[١٨].

وكانت العشيرتان الجلالي والميلان، تستمدان العون من القنصل السوفييتي في الرضائية، وهو الذي نصحهما فيما بعد بمساندة الجمهورية في مهاباد، أما في الجنوب فكانت عشيرة الشكاك الكبرى التي هي ثاني عشيرة كردية من حيث الحجم، إذ يبلغ عدد نفوسها ٤٠ ألف نسمة في إيران بزعامة عمر خان، بعد مقتل سمكو على يد الجيش الإيراني في كمين نصب له عام ١٩٣٠. وقد نال عمر خان شهرة واسعة في بُعد نظره وحكمته وذكائه وحكمته كدبلوماسي وشخصية ذات منطق.

كان عمر خان مرتبطاً بفخذ آخر من عشيرته يدعى (الكاردار) المنافس لفخذ أبدوف الذي يقوده ابن سمكو، طاهر خان، وما بقي من أفراد عائلته، وكان هؤلاء يقفون موقف المتفرج الصامت المتحفز للاستيلاء على زمام القبيلة، إذا ما فشل عمر خان أو أصابه الضعف، وفي عام ١٩٤٢ كان معظم رجال عشيرة الشكاك لا يزالون يضعون على رؤوسهم قلنسوة بيضاء (يتيمزون بها) عالية مصنوعة من اللباد، وتحيط بقاعدتها عمامة تشبه غطاء الرأس الذي يستعمله سكان مدينة (بوسيبوليس) الأثرية.

ولم يقف إقليم الشكاك العشائري ضد بقايا الطوائف المسيحية في سهل سلامس، وحسب، أيضاً وقف معاديا ومتحدياً سكان أذربيجان الأتراك، وفي بلدة خوى الكبرى، التي أصبحت بعدئذٍ الحد الفاصل بين الجمهوريتين الأذربيجانية والكردية. وكان جنوب

منطقة الشكاك الفروع الإيرانية المستوطنة من عشيرة الهركي الكبيرة، كما أن لفروع القبيلة الأكثر عدداً قاعدة في العراق تحيا حياة البداوة والنادرة الوجود بين الأكراد، فتقضي فصل الشتاء في الوديان المنخفضة شمال شرقي أربيل، وتمضي فصل الصيف في المرتفعات الجبيلة الإيرانية، بالقرب من جبل دالانبار عند ملتقى الحدود التركية العراقية ـ الإيرانية. ويمر رجال الهركي العراقيون أثناء هجرتهم مرتين في كل سنة عبر الأراضي العراقية، تحت نفوذ شيوخ بارزان (كالجراد) كما علق عدد من المراقبين على ذلك، احتلّ الهركيون الإيرانيون وعددهم ٢٠ ألف من الرجال الأشداء وادي تركاور ومركاور، وهما يسيران بموازاة الحدود التركية غرب وجنوب غرب مدينة الرضائية. ومن بين زعمائهم العديدين والأكثر نفوذاً منهم رشيد بك، وهو رجل هادئ الطبع مرموق الشخصية يبلغ حوالي الأربعين من العمر، وزيرو بك بهادري الذي يعوزه الشعور بالمسؤولية والذي يرأس ضلعاً من السفاحين الممثلين لعدة قبائل، ومن هؤلاء الأتراك الأذربيجانيين، وبقي الهركيون المنتشرون على شكل قوس فوق الرضائية لعدة سنوات، كالسيف البتار المسلط على أعناق سكان المدن. وقد زحفوا خلال وبعد الحرب العالمية الثانية على خرائب القرى الآشورية المسيحية في وادي تركاور.

وكانت عشيرة البكزادة البالغ تعدادها ٥ آلاف نسمة بزعامة نوري بك، الذي يعيش محاطاً بأبناء عائلته وقبيلته الأشداء، وتقيم في وسط الهركيين في منطقة تقع غرب الرضائية والبكزادة، الذين يختلط تاريخهم مع تاريخ الهركي يعتبرون خطأ في بعض الأحيان فخذاً من أفخاذ القبيلة الأخيرة ولذا فهم ينكرون وجود مثل هذه

العلاقة مع الهركي إنكاراً تاماً، ويتفاخرون بسلالتهم التي ينظرون إليها على أنها فوق الجميع. وكان يتقاسم النفوذ مع السيكيين في وادي مركاور إلى الجنوب الغربي من الرضائية عائلة السادة النقشبنديين من شمزينان، وأحفاد الشيخ عبدالله الذي غزا إيران عام ١٨٨١. وعندما توفي الشيخ محمد صادق أحد أبناء الشيخ عبيدالله في شمزينان عام ١٩١١ تنازع شقيقه الشيخ عبدالقادر الذي شارك آنذاك في الحركة الثقافية الكردية في استانبول مع السيد طه بن محمد صادق، وقد فاز الأخير، لاتصاله بالروس في فترة الحرب العالمية الأولى. وفي عام ١٩٢٣ عينته السلطات البريطانية قائمقاماً لمنطقة راوندوز في العراق، حيث كان المتوقع منه أن يقاوم تجاوزات الحكومة التركية التي طردت عائلته إلى أقصى الشمال، وبعد أن نال العراق استقلاله الكامل(١٩) عام ١٩٣٤ دفعته أطماعه التي لا حدود لها للعودة إلى إيران، حيث فرضت عليه الإقامة الجبرية في طهران ولاقى حتفه نتيجة مرض غامض غير معروف عام ١٩٣٩.

أما الشيخ عبد القادر فقد قوبل بمعاملة أفضل نسبياً من قبل الحكومة التركية، لتعاونه معها بعد الحرب العالمية الأولى، كما أن لإسمه الآن احتراماً خاصاً بين أسماء الوطنيين الأكراد بسبب مقتله على يد الحكومة التركية عام ١٩٢٥، بعد أن اكتشفت نشاطه الوطني، وما كان يتخلله من نسج المؤامرات ضدها بمؤازرة رفاقه الوطنيين.

وفي بداية الحرب العالمية الأولى نصب الشيخ عبدالله الكيلاني نفسه كقائد ديني صوفي أعلى في كردستان شمال إيران، حيث امتد نفوذه إلى ما وراء الحدود داخل العراق وتركيا. ومع أن بعض الصوفيين الأكراد انضموا إلى الطريقة القادرية التي أسسها الشيخ

عبد القادر الكيلاني في بغداد في القرن الثاني عشر، إلا أن عدد كبيراً منهم لم يتبع الطريقة النقشبندية التي ازدهرت في تركستان في القرن الرابع عشر، ولقد استمد سادة شمزينان التركية نسبهم من الشيخ عبدالقادر الكيلاني، حيث حملوا لقبه. وفي مطلع القرن التاسع عشر ارتد الشيخ الحاكم إلى المدرسة النقشبندية بواسطة مولانا خالد صديق العظماء الرواقي وعدو الفاشلين.

وتعتمد مكانة ونفوذ الشيخ الصوفي أساساً على نسبه وتقواه وولائه للعرف، وحسن تصريفه للأمور وسمو صفاته التي لا حصر لها كالبر والإحسان، وكان عدد كبير من شيوخ شمزينان في القرن التاسع عشر يمتلكون مثل هذه الصفات، فاستغلوها للحصول على السلطة الاقتصادية والنفوذ السياسي الذي يتخذ أشكالاً روحانية واستبدادية. وامتلك شيوخ شمزنيان المدعومون من قبل حلفائم الهكاريين والبرادوست ورعاياهم المسيحيين سطوة البارونات الإقطاعيين، كما أنهم كانوا يعوّدون أتباعهم على الإذعان التام والطاعة العمياء لهم. كل ذلك أكسبهم قوة ومنعة يسوسون بها الناس بكل سهولة ويسر، حيث أن العلاقة التي تنشأ وفق ذلك بين الشيخ وتابعيه هي أقوى بكثير من علاقة أفراد بقية العشائر بزعمائهم القبليين.

عاش الشيخ عبيدالله أفندي في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية في العراق، حيث دخل ابنه الأكبر الشيخ عبد العزيز المدرسة الحربية في بغداد، ونال رتبة ولقباً في الجيش العراقي.

وفي عام ١٩٤١ اجتاز الشيخ عبيدالله الحدود إلى إيران مطالباً بأراض في وادي مركاور، مع أحد أبناء سيد طه واسمه سيد محمد رضا الذي يدعى باسم الشيخ (بوشو) تحبباً باسم الماريشال قوش

الذي كان موضع حب وتقدير والده. وقد نال بوشو في بادئ الأمر صداقة وثقة المحتلين الروس، ورافق العريف إلى باكو، إلا أنه أصبح لزاماً عليه فيما بعد أن يعود إلى العراق. وقد ترأس هؤلاء السادة أثناء وقوع أحداث هذه القصة اتباعاً يبلغ مقدارهم حوالى ٨ آلاف نسمة، وهو عدد مواز لقبيلة متوسطة الحجم، إلا أن نفوذهم كان وطيداً إلى أبعد الحدود، وإلى الجنوب من سهل ماركور وعبر جبال زودكوه إلى داخل سهل أوشنافية، حين ينعطف السائرون على الأقدام أو على ظهور البغال نحو الممر الجبلي كلشين، المؤدي إلى العراق يمين الزازا على الحدود اللغوية والثقافية التي فصلت لقرون مضت ما بين كردستان الشمالية وكردستان الجنوبية. وكان حاجي موسى ذلك الرجل القوي البنية الذي كان في الخمسين من عمره آنذاك، ويتزعم الزازا البالغ عددهم ٤ آلاف نسمة، والذي أعلن ولاءه أثناء فترة الجمهورية في مهاباد، واستعمل مكائده في الوقت نفسه ليحمي منطقته من نهب البرزانيين وأفراد قبيلة أخرى، وكانت تمر من أشنافية في طريقها من وإلى العراق.

وتقطن عشيرة غير كردية في سهل سولدز قرب الساحل الجنوبي الغربي من بحيرة ارضائية، وكبرى قرى تلك العشيرة (نكادي) التي وجدت نفسها مقتحمة بسبب موقعها الاستراتيجي في حوادث ١٩٤٦، وتلك العشيرة هي القره بباغ وقد دعيت بهذا الاسم نسبة للقبعات السوداء المصنوعة من جلود الخراف التي كانوا يرتدونها، وكانوا عند عبورهم (بصفتهم أبناء قبيلة شيعية)، يتكلمون اللغة التركية في الضفة الجنوبية لنهر آراس، وقد مكثوا في إيران بعد الانتصار الروسي عام ١٨٢٨ وإبرام معاهدة تروكمانجاي.

تنقسم هذه العشيرة "قره بباغ" البالغ عددها ٥ آلاف نسمة إلى فرعين، يتزعم الفرع الحاكم أمير فلاح، وصهره قولام (غلام) رضا وخوسرافي، لكونهم من المسلمين الشيعة ويتكلمون التركية، وسط بحر زاخر من الأكراد وقد تحتم على أبناء قره بباغ الاستماتة من أجل صيانة استقلالهم ووحدة أراضيهم، إلا أن هذا العبء خف عن كاهلهم بسبب مسايرتهم الجزئية لأصدقائهم وجيرانهم الأكراد، واتخاذهم موقف عدم الاكتراث تجاه الأتراك الأذربيجانيين، وتعاونهم مع وكلاء الروس السياسيين في المنطقة. وإلى الجنوب ثانية وداخل الجبال كانت عشيرة مامش المنتمية سابقاً إلى اتحاد بلباس الكونفدرالي قد انشقت إلى قسمين متنازعين، يبلغ تعداد كل منهما حوالى ١٢ الف نسمة. ويتزعم أحد هذين القسمين عبدالله قدري من جيلاديان. وقد تعززت قوة قبيلة مامش كثيراً منذ أن قضى مير راوندوز على بلباس سنة ١٨٣٠، وقد حكمت الظروف على الحاج آغا أن يزور باكو سنة ١٩٤١، في الوقت الذي كان منافسه كاكه عبدالله يقوم بالرحلة ذاتها، وفي ظروف مختلفة سنة ١٩٤٥. وفي الجنوب الغربي من مامش قريباً من الحدود العراقية تقع منطقة عشيرة بيران، وهي قبيلة صغيرة نسبياً أخذت مكانها بزعامة محمد أمين ومنافسه قرني آغا القليل الأهمية. إلى جانب الزمر المتنازعة لقبيلة مامش، والتي كانت في وقت ما قد ارتبطت بها ضمن اتحاد بلباس. وإلى الجنوب ينتشر أفراد مانكور القبيلة الثالثة في تجمع بلباس، وتمتد رقعتها الجبلية التي تتخللها أودية ضيقة من حدود العراق إلى مشارق مهاباد.

كانت زمر مانكور المتنافسة قد اختارت في سنة ١٩٤٦ مختلف

الأساليب السياسية، حيث كان علي خان وابراهيم سالاري يعارضان عبيدالله بايزيدي. وفي شرق وجنوب مهاباد تقيم مجموعة من الرؤساء ذوي النفوذ، المتحدر من موكري العظيم، وتعرف الآن اودية موكري التي حاربت بلباس في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ومنذ ذلك الوقت أصابهم التجزؤ، ولكن بقيت بينهم عدة شخصيات منها ثلاثة أبناء (لعلي آغا) حاجي علي خاني من بوكان، الذي امتدت قراه على طول واد خصيب وعلى بعد ثلاثين ميلاً شرقي مهاباد.

وكانت اثنتان من الأسر، قد اتخذت لنفسها لقب آل (ايلخانيزاده)، واختارت أسرة ثالثة لقب زاكيار، نسبة إلى علي آغا الذي زار باكو سنة ١٩٤٢ كما سكن في آخر من الديبوكوي في القرى الخصبة على طول (جومي سوج بولاقية) شمال مهاباد بزعامة كريم آغا، وقد تبنى أحفاد كريم آغا لقب (كريمي)، وقدموا للجمهورية . رئيس أركان جيشها جعفر كريمي. كما نجد أقساماً أخرى من ديبوكري، موجودة في مهاباد، بما فيهم عائلات العزيزي والبيروني والمعروفي والفتاحي، وإلى جنوب ديبوكري يسكن خمسة عشر ألف نسمة من عشيرة فيض الله بكي (فيزله بك) . عند حدود مهاباد يدورون في فلك سقز.

أما في الغرب، فإن الصورة العشائرية غامضة لكثرة العشائر الصغيرة، والتي أكثرها نفوذاً الفروع الثلاثة المنفصلة من الكورك (مهاباد . سردشت سقز إلى الغرب من الحدود العراقية. ويبرز من الكورك علي جوانمردي الذي اشترك في حركات حمه رشيد خان بانه، والتي أدت به إلى مشنقة الجيش الإيراني في سقز عام ١٩٤٤. وتقع مدينة (بانة) بين سقز وسردشت، حيث أقام فيها حمه رشيد

خان، حكومة بصورة مرتجلة، تلك الحكومة التي تبعتها جمهورية مهاباد بعد ثلاث سنوات. وقد خلقت هذه الحكومة لحمه رشيد مكاناً مشرفاً لدى السلطة الحاكمة للجمهورية (أي جمهورية مهاباد).

ينحدر حمه رشيد بن قادر خان من فخذ (يونس خاني) الصغير، وهو أحد العشائر الأربع المقيمة في الأراضي الوعرة حول مدينة (بانه)، بالقرب من الحدود العراقية، وكان قادته من البيكوات. ويعرفون بهذا الإسم على الدوام (بانه بك زاده). وعندما مرت القوات الروسية في آب ١٩٤١، من سقز في طريقها إلى جنوب سنندج، قبل أن يتراجع حمه رشيد الذي كان يبلغ الخمسين من العمر. إلى الشمال مغادراً قريته في الجانب العراقي من الحدود، وجمع حلفاءه العشائريين، أصبح زمام المبادرة بيده حيث أصبح أتباعه ذوي قوة مكينة، وبحوزتهم عشرة آلاف بندقية، استولى عليها لهم من مخافر الجيش الإيراني الأمامية وعندما عاد الجيش الإيراني ثانية إلى سقز عام ١٩٤٢، قام حمه رشيد بهجوم مفاجئ، قتل فيه القائد الإيراني الكولونيل أمين. وكان ينقض بسرعة على الزعماء الآخرين في المنطقة، ممن يحاولون مقاومة مطامع مغامر بانه وضيع الأصل كما ينعتونه، ولهذا فقد قتل عدداً منهم كعلي خان من قبيلة تيلوكوه الواقعة أسفل بلدة سقز. لقد حكم حمه رشيد من ١٩٤٢ إلى سنة ١٩٤٤ منطقة سقز بأنه خلف واجهة كونه (حاكماً معيناً) من قبل السلطات الإيرانية، إلا أنه تجاوز حده في السنة الأخيرة، وهاجم محمود آغا من كاني سانان القريبة من ماريوان، في الجنوب، وعندئذٍ طارده محمود آغا المدعوم بفرقة من القوات الإيرانية عبر

الجبال وأرغمه على اجتياز الحدود إلى العراق التي عاد منها ثانية سنة ١٩٤٥ عندما كانت جمهورية مهاباد على وشك الظهور.

وإلى الجنوب من سقز وبانه، توجد عدة عشائر أخرى تجاوز ماريغان والأورمان أو الهورمان وجفا نرود وسلاس جاف، التي تمتد مناطقها على طول الحدود العراقية، حتى الطريق الرئيس الذي يربط ما بين العراق والهضبة الإيرانية في كرمنشاه. وإلى الغرب من كرمنشاه يقطن السانجابيون الشديدو البأس والكوران الضالون (دينا)، معتنقوا مذهب أهل الحق، وتسكن القبيلتان شمال قبيلة كلهور الكبيرة سابقاً. وعلى مسافة أطول من الحدود العراقية باتجاه الشرق كانت القبائل الصغيرة العديدة المعرضة لقوة الحكومة المركزية وحضارة أهل المدن وتأثيراتها الملطفة. إلا ان هذه القبائل الواقعة ضمن دائرة النفوذ البريطاني، وخلف عدة سلاسل جبلية كانت بعيدة عن مخاض جو جمهورية مهاباد القومي، وعليه كان تأثيرها قليلاً على مجريات الأمور التي تلت المخاض.

## الزيارة الأولى إلى باكو

أمضى الزعماء الأكراد في باكو عدة أيام، قاموا خلالها بزيارة المصانع والمسارح ودور السينما، وفي إحدى الليالي وكانت الساعة تمام الحادية عشرة مساء، استدعوا لمراجعة جعفر باقروف[٢٠] رئيس وزراء أذربيجان السوفييتية الذي تحدث إليهم عن الشروط العامة للصداقة السوفييتية، وعن أخوة أذربيجان والأكراد، وهناك ظهر عدم الاتفاق بين أعضاء ذلك الفريق المتعدد الأشكال حول إذا كانت أو لم تكن الأماني القومية للأكراد موضوع مناقشة جدية

وصالحة بين الضيوف ومضيفيهم الأذربيجانيين السوفييت، غير أنهم كانوا متفقين على السماح للقبائل بالاحتفاظ بالبنادق التي حصلت عليها قبل وأثناء الاحتلال، والذي (هو أحد المطالب الكردية)، ولكن الرد السوفييتي بشأن ذلك كان غامضاً.

وبالاستناد إلى ما رواه بعضهم، فإن معاملة السوفييت للقاضي محمد كانت ذات احترام خاص، وكذلك ولده، كوري قاضي، البالغ من العمر ثماني سنوات، والذي أعطي مسدساً، إشارة لما سيظهر من أحداث على الساحة، ولكن تلك الإشارة غامضة كما تبدو، فالوكلاء السوفييت في ذلك الوقت ذاته يجدون لمعرفة عدد الأسلحة التي تملكها العشائر الكردية غرب الرضائية، وبالرغم من ذلك، فقد أهدى لكل واحد من الأكراد الآخرين سرجاً جلدياً، وستة أمتار من القماش القطني المزخرف، وقد اشترى عدد منهم الطلقات النارية بنقودهم الخاصة، وعلى الرغم من حذر السوفييت في مناقشة المطاليب الكردية فإن ضيوفهم عادوا إلى إيران، بعد أن أمضوا أسبوعين في أذربيجان السوفييتية، وهم يحملون انطباعاً جيداً عن وقوف الاتحاد السوفييتي إلى جانبهم. واستمرت العشائر الكردية في إيران على أعمال السلب والنهب، وخاصة في منطقة الرضائية. ففي أيار ١٩٤٢، اجتمع عدد من الموظفين السوفييت، ومن بينهم القنصل العام في تبريز في جانب البحيرة التي تقع عليها مدينة رضائية، برشيد بك وكامل بك هركي ونوري بك من عشيرة "بيكزاده" وعدد من الشكاك. وقد بحث الروس موضوع صيانة الأمن الذي تجب حمايته وحماية الموظفين، واحترام تعليمات الحكومة الإيرانية وإعادة البنادق المستولى عليها إلى الجيش

الإيراني، وقد أجاب الأكراد بما يلائم مصالحهم الخاصة، والمشتملة على تثبيت السماح لهم بحمل السلاح، غير أن بعض القرى الواقعة في السهول المجاورة للرضائية، سلمت أسلحتها إلى الجيش السوفييتي، ومن المطالب الرئيسية التي عرضها الأكراد التي يعتبرونها في أول قائمة مطاليبهم هي تدريس اللغة الكردية في المدراس على نطاق أوسع، وتمتعهم بالحرية التامة في مختلف شؤونهم الحياتية الخ... من المطالب الجريئة التي لم يتهيأ لها التحقق برغم مرور سنوات طويلة، وذلك بسبب مناورات السوفييت في أذربيجان، ولم يُسفر عن الاجتماع أية نتائج إيجابية سوى أن الإدراك السوفييتي قد تنبه إلى أن الصفة القومية الكردية قد بدأت تحتل الصدارة في مسائل الأمن، وعلى كل حال، فقد استمر الروس في محاولتهم دعم النظام، وفي الوقت نفسه الحفاظ على مظاهر السيادة الإيرانية. وكلاهما يتعارضان مع الأماني القومية والعشائرية لهؤلاء الأكراد. وهكذا أرغم ضباط الجيش والوكلاء السياسيون السوفييت الموالون لهذه السياسة على إقامة صداقة مع الأكراد، عن طريق تجهيزهم بالمواد التموينية النادرة كالسكر والشاي.

# الفصل الثالث

## مهاباد
## مخفر الشرطة

لم يكن النفوذ السوفييتي أثناء ذلك يمتد إلى مهاباد وضواحيها، حيث أن القاضي محمد وعدد من أصدقائه العشائريين آنذاك، ومن ضمنهم عبدالله بايزيدي من مانور والحاج قرني آغا أمير العشائر من مامش، منعوا العناصر العشائرية المتمردة من نهب المدينة والقرى المجاورة لها. وقد امتد الاحتلال السوفييتي رسمياً إلى الجنوب، حتى ميا ندوب بمسافة تقطعها السيارة في ساعة فقط، وفي الأيام الأولى من الاحتلال، لم يكن للمقيم الروسي الوحيد في مدينة مهاباد، والذي يرافقه عبدالله أوف جالب الخيول للجيش الأحمر، مهمة سياسية، سوى تسهيل الاتصال عند الضرورة بين أكراد المنطقة والموظفين السياسيين السوفييت في تبريز.

ولم يكن للسلطات الإيرانية سلطة في المدينة، رغم تعيينها للحاكم، وإشرافه على توزيع السلع النادرة كالسكر. وقد وقع حادث بسبب السكر كانت له نتائج مهمة في طمس آخر أثر للوجود الإيراني

في مهاباد. ففي أيار ١٩٤٣ تجمع حول مخفر شرطة بسيط في الجانب الشمالي من المدينة آنذاك سكان مهاباد. وكان الأهالي والموظفون قد اعتادوا أن يطالبوا بأرزاق أناس لا وجود لهم. وكان من وسائلهم الملتوية للحصول على المزيد من السكر الموزع بالبطاقات اختلاق قرى بأكملها على الورق، وهي خدعة من السهولة تدبيرها في المناطق العشائرية، حيث كانت أسماء القرى والمواقع تسير بخُطىً أسرع من تلك التي يسير بها رسامو الخرائط، أو موظفو مديرية الإحصاء الحكومية المشلولة، بسبب فوضى فترة الحرب. ولقد حدث أن السلطة المركزية ذعرت من هذا الازدياد الظاهري لعدد السكان، فقررت أن تحقق في موضوع توزيع السكر، كخطوة أولى سلمت القائمة الأولى المتضمنة أسماء الأشخاص والقرى التي تسلمت سكر التموين إلى شرطة مهاباد التي كانت موضوع ثقة السلطة، وكما كان متوقعاً فإن بعض الأفراد فوجئوا بهذا التطور، وسعوا في الحصول على القائمة. وفي ظهيرة أحد الأيام، وبعد أن دبت الحياة ثانية في المدينة وقت القيلولة كالمعتاد، اجتمع نفر من الناس في ساحة جوار جرا للإستماع إلى خطاب حول الثقافة الكردية والهوية القومية، يلقيه شخص اسمه عزيز خان. وبشيء من التحريض من قبل عدد من المتفرجين المعنيين تمت موافقة إجماعية على انتداب مينى خالندي للذهاب إلى مركز الشرطة لأخذ القائمة. وكان خالندي عنيفاً في تنفيذه للمهمة، التي أسندت إليه، فسقط تحت إطلاقات الشرطة التي لم تكن محكمة، فأثار هذا الحادث حمية الجمهور وهاجموا مخفر الشرطة وحطموه تحطيماً تاماً، وقتلوا سبعة من أفراد الشرطة الأتراك الأذربيجانيين، دون أن يتكبدوا أية خسارة في الأرواح. أما بقية الشرطة

ولحسن طالعهم لم يكونوا في الواجب، فقد سارعوا بالخروج، وإغلاق مخفر مهاباد نهائياً.

ولم يتوفر أي دليل على تحريض قومي مباشر للقيام بمثل هذا الشغب، رغم وجود حزب كردي كان يعمل منذ ثمانية أشهر في المنطقة. وعلى كل حال، فإن السكان قد أوضحوا أن ممثلي السلطة الباقية في طهران لن يكونوا موضع ترحيب فيما بعد في مهاباد.

## المدينة

تقع مهاباد على الضفة الجنوبية لنهر متعرج، تغذيه روافد تنحدر إليه من جبال مانكور، وهذا النهر يدعى محلياً باسم: جومي سوج بولاقية، أي نهر سوج بولاق، ومهاباد التي ما زالت تدعى سوج بولاق أو (سابلاغ) باللهجة المحلية المتعجلة. وحيث أن التسمية سوج بولاق مشتقة من اللغة التركية سوفوخو بلاغ، الربيع البارد (فليس ثمة داع لعدم ملاءمة تسمية مهاباد للسكان المحليين، وهي تسمية فارسية آرية أفضل من سابقتها، إلا أن التسمية الجديدة تستعمل من قبل المهاباديين في المناسبات التي يرون فيها دافعاً للتحدث باللغة الفارسية التي لا يجيدونها، كاللغة التركية الأذربيجانية تماماً، وكما استبدل اسم أورمية المدينة والبحيرة، برضائية، خلال عهد رضا شاه، كذلك تحول اسم سوج بولاق إلى مهاباد. ويبقى اشتقاق الاسم الأخير من اسم رجل ديني جليل غامضاً بالنسبة لسكان المدينة الذين لا يعيرون اهتماماً كبيراً للتسميات المفروضة من طهران.

كانت سوجي بولاق في القرن السادس عشر أقل أهمية وحجماً

من مدينة أخرى اسمها درياز إلى الجنوب من سوج بولاق بمسافة عشرة أميال. ويوجد الآن بالقرب من خرائبها مدفن واسع محفور في الصخر، يعتقد أن تاريخه يعود إلى العهد الميدي القديم. وفي النهاية دمرت درياز نتيجة للهجمات الصفوية التي شنت باسم المسلمين الشيعة ضد الأكراد السنة سكان المنطقة. وفي عام ١٨٣٤ وجد بيللي فريزر ساوجي بولاق، مدينة لطيفة واقعة على ضفاف نهر جميل، وأما في عام ١٨٩٠ فقد زارت إيزابللا بيرد بيشوب مدينة اسمها سوج بولاق يبلغ عدد سكانها ٥ آلاف نسمة يضاف إليهم، (١٠٠٠) جندي للمحافظة على استتباب الأمن بين الأتراك والأكراد. وعندما ضلت طريق الدخول للمدينة، وجدت نفسها سائرة بين مقابر لا نهاية لها . قبور تضم داخلها أجساماً مشوهة دفنت قريباً من السطح مما أثر على رائحة الجو، كما لوث الأحياء الموجودون فيها النهر، والواقع أن سوج بولاق لكونها المركز الديني والمدني للأكراد الموكريين، وبصفتها المستودع التجاري للمنطقة تراكم فيها الموتى عبر السنين الطويلة، في حين بقي الأحياء من السكان في مستوى المعيشة الذي تستطيع تحقيقه، مدينة تطورت عن قرية لا زالت تكل الظروف المؤثرة على حجم السكان حتى الوقت الحاضر. ولتجعل مهاباد التي كان تعداد سكانها (١٦٠٠٠) نسمة عام ١٩٤٥ (٢٢٠٠٠) نسمة سنة ١٩٦١ تقذف باستمرار إلى مسرح الحياة شبه العاملين وشبه المكتفين، ومع ذلك فإن لأهل مهاباد صفات جذابة، وعلى الرغم من أن كبابهم لا يضاهي في جودته كباب السليمانية المنافسة في الجانب العراقي من الحدود، فإن حسن ضيافتهم وطيب عنصرهم ونكاتهم تعوض هذا

النقص، وعلى كل تستحق مأكولات السليمانية ومهاباد كل ثناء.

## السكان

يسلك القاصد إلى مهاباد أحد طريقين يؤديان إلى داخل المدينة من الشمال على ضفتي النهر المتقابلتين ويربط أحدهما المدينة بتبريز وميان دوب شرقي البحيرة ويجمع الآخر المسافرين من رضائية وسهل صولدز في الغرب أما من الشرق والجنوب فلا يخترق الجبال سوى المسالك والدروب وأما في الجهة الجنوبية الغربية فيمر في محاذاة جومي سوج بلاقية طريق للسيارات يتجه إلى سردشت وحدود العراق أما في شوارع مهاباد التي كانت خلال الحرب العالمية الثانية مجرد أزقة فإن خليطاً من الناس كانوا يتجمعون فيها، من بينهم (الخيال) المتباهي وقد يكون ابن زعيم عشائري تتدلى فوق جبينه بشكل يدل على الزهو الحواشي الهفهافة للعمامة كما تتدلى جوانب سرواله الفضفاض على السرج تلقائياً. وقد تكون حياته الرئيسية قد قادته إلى الحلاق أو السوق أو المضيف حيث اجتمع أصدقاؤه من أبناء عشيرته أو من أبناء المدينة وشربوا الشاي. وفي حينه تجد على الدروب والطرق الترابية المؤدية إلى داخل المدينة من جميع الجهات قرويين من ذوي هيئة فوضوية يرتدون بقايا الملابس الكردية والغربية وتدل ملامح وجوههم التي لفحتها أشعة الشمس على التصاقهم بالطبيعة تراهم يسوقون أمامهم الغنم والماعز أو البغال المحملة بالجص أو الطعام والنباتات الشوكية المستخدمة للوقود ولم يزل إلى الآن الأطفال الذين يقاسون الشقاء جزءاً من الأجزاء المكونة بصورة الشارع وعدد هؤلاء

الأطفال كبير حتى في الأيام السابقة، عندما كانت نسبة الوفيات لدى الولادة، وخلال السنة الأولى من العمر ٥٠ بالمئة، وكان أباؤهم وإخوتهم الكبار يزدحمون في الشوارع وهم يرتدون أزياء تعكس حالتهم الاقتصادية من ضمنها اللباس الكردي أو الكردي - الغربي، أوالتقليد لطراز غربي. وكان بالإمكان رؤية الملامح الطريفة الجذابة للنساء في كل مكان لأنهن سافرات أو متحجبات جزئياً لدى مزاولتهن لأعمالهن البيتية، أو قيامهن بأداء مهامهن، ولا يجدن حرجاً من المتنزهين المتجمعين في منعطفات الشوارع، أما نساء مشاهير المدينة فنادراً ما ان يغادرن ساحات بيوتهن الفسيحة إلا على هيئة جماعات محاطة بالحرس، ولعلهن يخفين تحت عباءاتهن أنواعاً من الملابس المزركشة الحريرية والشالات التي يتزين بها أثناء قيامهن بالزيارات. وفي الوقت الذي كانت فيه نساء الطبقة العليا تتمسك بأزيائها التقليدية كان رجالها قد تحولوا إلى ارتداء اللباس الغربي، نتيجة لإصلاحات رضا شاه الإجبارية وقد ترددوا بادئ الأمر، ولكنهم وقعوا تحت تأثيره أخيراً حتى أصبح ذلك الزي علامة مميزة للمركز الاجتماعي، إضافة إلى دلالته على العصرية. غير أن الكثيرين منهم احتفظوا بارتداء العمامة ذات الحواشي المستندة فوق (كلاو) أو طاقية كآخر رمز كردي.

## الأقليات والدين

يعيش بين السكان الأكراد المتجانسين، بعض الأقليات التي لعبت دور الملح في إبراز نكهة هوية المدينة الكردية. منها خمسون عائلة يهودية تمتلك الحوانيت لبيع المشروبات الكحولية، أو تزاول

مهنة الصياغة، وقد ارتحل الكثير منهم إلى إسرائيل، وقليل من أتراك أذربيجان الذين يكونون جزء من طبقة العمال في المدينة، وفي عام ١٩٤٣ لم يبق من الأرمن سوى شخصين أحدهما مصور فوتوغرافي والآخر بائع خمور، كما أن أحد المبشرين اللوثرين - أمريكي - اسمه (ن.ل.و. خوصم) قد استوطن، مهاباد للبحث في إمكانيات العمل بين المسيحيين، واليهود القلائل في المدينة، والواقع أن هدفه الرئيس كان وضع قواعد نحوية كردية باللغة الإنكليزية، وكان مؤلفاً مفيداً ولكنه في الوقت الحاضر نادر الوجود.

وأسست بعد الحرب بعثة تعليمية وطبية، إلا أن اختيار وقت تأسيسها كان سيئاً، إذ جاء في وقت مهاجمة سمكو المدينة سنة ١٩٢٠ الذي قتل البروفسور باتشليان خلاله، ولجأت به النسوة إلى تبريز. ولكن البعثة لم تأل أن أغلقت أبوابها على أثر قيام رضا شاه بالقمع القومي للنشاطات التعليمية والتبشيرية الأجنبية. إن لوثربي مهاباد بعكس (البرسيتريين في أدرميا) الذين وصلوا عام ١٩٣٥، وشيدوا خلال المائة سنة التالية شركة من المدارس والمستشفيات، وشركة روحية من البعثة المسيحية الدينية، لم تسنح لهم أية فرصة لترك بصمات أصابعهم على نفوس السكان. وبالرغم من صحة ذلك بصورة عامة فقد حدثت استثناءات قليلة من التأثير منها أن أحد ممرضات البعثة الأميركية الآنسة واهل النرويجية بالولادة، قد تزوجت من رجل كردي ينتمي إلى أسرة مهابادية عريقة اسمه (حبيبي)، وقد كرست هذه الممرضة نفسها لعمل التوليد، وكان المذهب السني في المدينة ممثلاً بعدد من الملالي والفقهاء أو طلبة اللاهوت الذين كانوا يشاهدون في الشوارع وهم يسيرون جماعات

مثنى وثلاثاً ويلبسون العمائم البيضاء والمعاطف الزرقاء الطويلة والزي الكردي. وهذا لا يعني أن مهاباد كانت متعصبة أو متدينة تديناً بارزاً، غير أن واجبها يقتضيها تخريج ستة رجال دين يقومون بمهمة الملالي بأشغالهم المناصب الدينية ـ الشرعية في بعض القرى المحتاجة إليهم، ومع أن الناس من غير الأكراد يرون أن الدين ليس له جذور عميقة بين الأكراد بسبب وجود النزعات المنحرفة والميول الممتدة جذورها إلى قبل اعتناقهم الدين الإسلامي، ظاهرة في طبيعتهم، كما أن من الخطأ في الوقت نفسه الافتراض بعدم وجود قوة أو تأثير للإسلام في المنطقة، إذ لا يحتفظ الشيوخ الصوفيون في أي مكان آخر باتباع متعصبين تعصب اتباع الشيوخ الصوفيين الأكراد، رغم أن اتجاه العصر ليس في صالحهم.

كان الشيخ عبدالله أفندي، ومركزه في الجبال الواقعة جنوب غربي رضائية، أكبر شخصية ذات نفوذ في كردستان إيران الشمالية خلال سنوات الحرب، وعلى كل حال، فقد كان لمهاباد عائلاتها وشخصياتها الدينية المحترمة، ممثلة بأعضاء عائلة تسمى بوهران، وبشيوخ زاميل قرب بوكان، وليس ثمة دليل أبلغ على وجود تأثير الدين الإسلامي الكبير من مركز القاضي محمد، الذي كانت وظيفته القضاء، فهو ذو نفوذ كبير جداً، ومن عائلة أفرادها فقهاء، أقاموا العدالة الإسلامية في المنطقة جيلاً بعد آخر، وليس استخدام لقب القاضي قائماً على غير أساس متين، فهو يتضمن تسجيل الولادات والزيجات والوفيات وجميع أنواع المقاضاة المتعلقة بالميراث والنزاعات الواقعة تحت طائلة الشرع الإسلامي، وفي ذلك ما فيه من دلالات ذات فعالية في المجتمع.

أما في المراكز الحضارية الإسلامية، فإنه يمكن على وجه التقريب تقسيم وتصنيف سكان مهاباد إلى عائلات درجة أولى وعوائل درجة ثانية وعامة الناس. وبشكل عام يمكن القول إن حوالي عشرين عائلة مهابادية نالت الثروة والمكانة الاجتماعية الممتازة والنفوذ والتقاليد التي تضعها في المقام الأول، وعلى الرغم من أن المجتمع الكردي محافظ في الأساس فإن حركة الصعود والهبوط من مستوى إلى آخر تجري بشكل أسهل مما يتصور المرء.

وتشتمل عدة عائلات مهابادية من الدرجة الأولى على عدد كبير من الرجال والنساء والأطفال، يقيمون في بيت واحد، تحت أمرة شيخ وقور، وتستحوذ مهن وممتلكات ومنافذ نفوذ عائلة موسعة كهذه على عدة مجالات مختلفة. وعلى الخط الفاصل بين عائلات الدرجة الأولى وعوائل الدرجة الثانية توجد تلك العائلات الصاعدة الهابطة، والتي بسبب ثرائها الحديث، أو نفوذها السابق تختلط بسهولة مع عائلات الدرجة الأولى. وأما القسم الأعظم من عائلات الدرجة الثانية فهم أما تجار في السوق أو أصحاب دكاكين وحوانيت أو معلمون أو موظفون حكوميون ومهنيون من الصنف الثاني، ومن دونهم يأتي العمال والخدم والباعة الصغار وتجار الماشية والبناؤون والميكانيكيون وأصحاب البغال وشبه المستخدمين.

## القاضي محمد

في عام ١٩٤٣ لم تكن عائلات مهاباد من الدرجة الأولى على جانب عظيم من الثراء أو الإقطاع من النوع المعروف في أجزاء أخرى من إيران. لذا ارتكزت القوة والنفوذ إلى حد ما إلى الثروة،

كما ارتكزت أيضاً على مركز العائلة التقليدي، وحجم العائلة الموسعة وتحالفها مع العشائر عن طريق الزواج وسيطرتها على الخدمات الضرورية للمجتمع، ولم تكن أية عائلة من عائلات الدرجة الأولى نداً لعائلة القاضي محمد، وبطبيعة الحال، كانت هناك الجماعة الشافعية التي حكم رئيسها حاجي (رحمت) عائلة مكونة من حوالي ستين فرداً يسكنون بيتاً واسعاً، ذا باحات وأروقة يقع في الجانب الشرقي من المدينة. وقد اشتملت ثروته على عقارات ثابتة وأراضٍ زراعية خصبة على جانبي الطريق المؤدي إلى ميان دوب ولم يكن بوسع أي شخص أن يبلغ منزلة حاجي رحمت ورفعة شأنه وتفوق آل (القاضي)، ولما كانت المدينة تدفع نحو الانفصال الكردي بتشجيع السوفييت، أرغم الشافعيون على الصمت المرير وعدم التفوه بأي شيء. وكان القاضي محمد بن القاضي علي، بصفته القاضي الشرعي موضع تبجيل واحترام سكان مهاباد وحفيد القاضي قاسم. وكذلك فقد كان أقرباء له قضاة أيضاً، إلا أن والدته كانت من عشيرة فيض الله بكى من سقز، وكان للقاضي محمد أخ واحد يصغره بأربع سنوات، وله ثلاث أخوات. وفي طفولته درس القاضي محمد في أحد الكتاتيب الدينية تحت إشراف أحد الملالي، وكان ذلك الشكل الوحيد للدراسة الابتدائية في ذلك الحين. إلا أنه حصل على التعليم الحقيقي من والده من الكتب المؤلفة بعدة لغات، مما ضمها بيته الواسع. عمل محمد كمدير أوقاف لمهاباد قبل تعيينه قاضياً خلفاً لوالده، وقد ذاعت شهرته حين تسلمه منصبه كقاض، إذ كانت آراؤه الفقهية حاسمة، وكان وجوده يفرض احترام الناس له، وكان بيته بحكم التقاليد ملاذاً

للقتلة والمجرمين، أو ملاذاً لفتاة أو زوجة كانت قد وقعت في مشكلة. وقد ألقت عليه حمايته للنساء ذوات المشاكل الشبهات والريب والتشكك في دينه، مما قلل من مركزه ولم يستطع رفع هيبته في زواجه المتأخر بامرأة مطلقة، أخلصت له، وأسعدت بيته ولكنها لم تنجب منه إلا ولداً واحداً وسبع بنات.

وعلى الرغم من نواقص القاضي محمد الثقافية، فإنه كان عالماً بخفايا مهاباد، ولم تمنعه وظائفه الدينية من تبني النظرة التقدمية في العلاقات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وإضافة إلى ذلك، فهو ذو صفات عنيدة ديكتاتورية، بصرف النظر عن تواضعه في المواقف العلنية، وكان خطيباً ممتازاً بارعاً، بتضمين آرائه جملاً قصيرة بنبرة قوية صلبة، تتخللها فترات توقف قصير، بعد كل ثلاث أو أربع كلمات. ومن سماته المميزة أنه مهذب دائماً تجاه الأجانب الذي كانوا يزورون مهاباد في مناسبات متفاوتة. كما كان يسعى دائماً بصورة خاصة إلى صداقة الأمريكيين، ولهذا نظر إليه المبشرون اللوثريون والطبيب الألماني المقيم في المدينة نظرة الصديق، وعندما اشتدت الغارات العشائرية، وازدادت أخطارها عام ١٩٤٢ لجأت الآنسة داهل خانم الأوروبية الوحيدة المقيمة في المدينة آنذاك بولدها ليلا إلى بيت القاضي، لتجد الحماية تحت سقف بيته. وفيما بعد أصبح القاضي محمد أكثر حذراً، عندما بدأ أصدقاؤه الروس بإشغاله عن علاقاته مع الأوروبيين الغربيين والأمريكان. وبالرغم من نقائصه العديدة، كان من حسن حظ منطقة مهاباد الشرسة، أن يملأ الفراغ الذي تركته الجيوش الإيرانية والسوفييتية عام ١٩٤١ بشخصية القضاة المحترمة والقادرة على حكم المدينة

من وراء الستار، وحمايتها من أعمال النهب العشائري. كانت هذه الشخصية هي شخصية القاضي محمد[٢١] وكان (أبو القاسم صدري القاضي) شقيق القاضي محمد متعلماً تعليماً ابتدائياً، لم يؤهله لأن يكون معلماً أو قاضياً، ومع ذلك فإن أخلاق وملامح صدري القاضي كانت أكثر نقاوة من ملامح وأخلاق شقيقه. وإضافة إلى ذلك فإنه كان متزوجاً كالمعتاد في وقت مبكر من عمره امرأة من أشراف المنطقة، وكان محبوباً من أصدقائه وأهل مهاباد، وفي عام ١٩٤٣ كان المرشح القوي للنيابة في المجلس، وعندما نقل فجأة من كردستان الريفية إلى طهران المدينة العاصمة، وحين همس في أذنيه بعض مندوبين تودويين أي من حزب توده. جنحت ميوله السياسية، إلى ميول الروس في أذربيجان، فالتقى معهم على صعيد فكري واحد، وأظهر فيما بعد أن غلطته المميتة كانت خطبته في المجلس النيابي، تلك الخطبة الجريئة المؤيدة لحزب توده، والموجهة ضد الجيش الإيراني. وثمة عضو آخر أو ثالث من عائلة القاضي محمد، هو الذي ارتفع ثم سقط مع حكومة مهاباد، أما محمد حسين سيفي القاضي ابن عم القاضي محمد الذي منح والده لقب سيف القضاة، فقد كان سيفي قاضياً عام ١٩٤٥ إذا بلغ الثانية والأربعين من العمر، وكان طويل القامة بديناً، مهيب الشخصية، يملك ست قرى غنية بمواردها، تقع بالقرب من (ميان دوب) وكان مدمناً على تعاطي الخمور، ويشكو دائماً من عسر الهضم. وقد جعلته بدانته وعسر هضمه كثير التنقل بين الأطباء، حتى سافر آخر الأمر إلى باكو ثانية، ليعود منها ليلاً إلى مصيره المحتوم.

# الفصل الرابع

## الكومه له
## التأسيس

في الخامس والعشرين من شهر صفر ١٣١٢ . أو ١٦ أيلول سنة ١٩٤٢ بالتقويم الغربي، خرجت فئة قليلة من مواطني الطبقة الوسطى إلى خارج مدينة مهاباد عن طريق الرضائية الترابي، لتجتمع تحت أشجار حديقة حاجي داود بالقرب من (جومي سوج بلاوقية)، وكان أصغر الجماعة سناً شاب يبلغ التاسعة عشرة من العمر، ويدعى (رحمن صلافي) خريج مدرسة الرضائية الحكومية أما أكبرهم سناً في الخمسين من العمر فكان الملا عبدالله داودي، وكيل شراء وبيع التبوغ، وقد بلغ عدد أولئك المجتمعين خمسة عشر نفراً، خاضوا في مناقشة موضوع الأمة الكردية، لينتهوا بالتالي إلى تأليف حزب سياسي كردي. ولم يكن غرضهم بحاجة إلى إيحاء خارجي، إذ سبق لهم أن فكروا لسنوات خلت بطرقهم الذاتية الواضحة بتشكيل جهاز إعلامي لنشر القضية القومية، ومع نضج من الناحية السياسية للنصائح العملية التي كان حاملها ضابط كردي برتبة

رائد في الجيش العراقي اسمه ميرحاج[٢٢] مثل في ذلك الوقت جمعية كردية تشكلت في شمال العراق، خلال عهد الانتداب واتخذت اسم هيوا يعني الأمل باللغة الكردية.

كان القبول في عضوية هذه الجمعية محترماً، فقد سيطرت عليها عناصر مثقفة من أبناء المدن، وكان منهاجها كردياً وقومياً خالصين. وبالرغم من الاضطرابات العشائرية المتواصلة تقريباً في كردستان العراق خلال الانتداب في العشرينات من هذا القرن، وعهد الاستقلال (الشكلي . المترجم) الذي تلاه، لم يصبح أي حزب كردي منفرداً أو ائتلافياً عشائرياً منفذاً فعلاً لتيارات التطلع الكردي نحو هدف مشترك، ووجدت في هذه الفترة جمعية كردية تدعى (خويبون)، حاولت من مقراتها في بيروت أو دمشق أو باريس، حيثما كان يقيم (جلادت) أو (كاميران بدرخان) أن توجه الرأي العام الأجنبي إلى القضية الكردية مع أن (الخويبون) كان لها الحق بالادعاء انها تمثل كردستان ككل، إلا أن تلك الجماعة الصغيرة، لم تمثل أحداً في الواقع في كردستان، حيث لم تكن رسالتها معروفة بشكل واضح، وفي تركيا بقيت الجماعات التي كانت على اتصال (بخويبون) فعالة عن طريق سوريا خلال العشرينات من هذا القرن، إلا أنها فقدت نفوذها الضئيل خلال الفترة التي تلت ذلك.

وجلب ميرحاج معه إلى حديقة الحاج داود تحيات حزب هيوا الكثير الأهمية وتوجيهات عملية تتعلق بتشكيل منظمة ائتلافية سرية، وقد قرر أولئك الذين اجتمعوا في الحديقة أن ينتخبوا من بينهم لجنة (كومه له زياني كوردستان) أي لجنة حياة (انبعاث) كردستان[٢٣]. وفي غضون ستة أشهر منحت الكومه له عضويتها إلى

حوالي مائة مواطن في مدينة مهاباد. ومع أن قائمة مركزية كانت موجودة، فإن العضو العادي لم يكن يعرف سوى خمسة أو ستة من خليته ولذا فإن تزايد قوة الكومه له، لم تكن معروفة لسوى القليلين فقط، وقد فتحت هذه الجمعية أبواب العضوية أمام أي كردي، ومن هذا المنطلق كان الأكراد الشيعة والآشوريون المسيحيون الذين يعتبرون أكراداً من ناحية العنصر، يقبلون في العضوية. وقد استثنى من ذلك لإعتبارات عنصرية الأتراك الأذربيجانيين، وأفراد قبيلة قره باباغ، على الرغم من أن الآخرين كانوا يستطيعون تعلم اللغة الكردية، ومن يرتدون زياً كردياً، أدخلت عليه بعض التعديلات. وكانت عملية الانتساب تتسم بحلف اليمين على القرآن الكريم أمام ثلاثة أعضاء. وكان المرشح الورع النقي يتوضأ أولاً، ثم يؤدي القسم التالي في اجتماع سري:

١ . ان لا يخون الأمة الكردية.

٢ . أن يسعى لتحقيق حكومة ذاتية كردية مستقلة.

٣ . أن لا يفشي أي سر من الأسرار شفهياً كان أم خطياً.

٤ . أن يبقى عضواً مدى الحياة.

٥ . أن لا ينضم إلى أي حزب أو فئة أخرى بدون إذن من الكومة له.

٦ . أن يعتبر جميع الأكراد من رجال ونساء إخواناً له.

وضع هذا القسم الأعضاء المؤسسون للكومه له، بالتعاون مع الرائد مير حاج.

## اللجنة المركزية

في ذات يوم من شهر نيسان ١٩٤٣، صدرت الأوامر لحوالي مائة عضو من الكومه له للقيام بنزهة قصيرة إلى الجبل القريب من مهاباد، في مكان يدعى (خودابرست)، وسرعان ما التأم اجتماع الحزب، وتم انتخاب لجنة مركزية[٢٤] بطريقة الاقتراع العام، ولم يتطرق الشك إلى أن أسلوباً شيوعياً كان يستعمل فيما يختص باسم الهيئة التنفيذية، أن حقيقة قلة عدد الذين انتخبوا لعضوية اللجنة المركزية من بين الأعضاء والمؤسسين للحزب لدليل على تحول فئة المؤسسين الصغيرة إلى منظمة ديناميكية، ولم يكن للّجنة سكرتير ثابت، ولو أنه كان من المعروف أن رحمن زبيجي ومحمد ياهو، كانا الأكثر نفوذاً بين الأعضاء وكان من بين الأعضاء شاعران كرديان مشهوران مهمّان (هزار) و(هيمن)، وبعد اجتماع خودا برست تم الاتفاق على كلمة سر هي (من الصلاح عبادة الله) وباللغة الكردية (خودا برستن شتيكي جاكة).

## توسيع الحركة

عند حلول عام ١٩٤٤، حدد نشاط الدعوة للانضمام إلى عضوية (الكومه له) إلى جميع اتحاد كردستان الشمالية، في كل أماكن المنطقة المحايدة قرب مدينة (مهاباد)، وفي القطاع السوفييتي شمال (ميا دوب)، حتى الحدود الروسية. أما في جنوب سقز، فقد كانت الحركة محدودة ومقيدة بسبب وجود وحدات للجيش الإيراني هناك، ولحقيقة كون سنندج وكرمنشاه كانتا وراء المدار الاجتماعي والسياسي لمهاباد. وكانت عائلات قيادية عديدة في سنندج تسعى

لخنق المذهب الشيعي، وهي لعدة أجيال خلت، قد خدمت بالأخص العائلة الفارسية الحاكمة في كرمنشاه، حيث كانت أغلبية السكان الأكراد من مذهب أهل الحق الشيعي، وكانت ثقافتهم خليطاً من الثقافتين الكردية والفارسية، فلم تجتذب القومية الكردية إلا عدداً ضئيلاً من هؤلاء الأكراد.

أما في شمال سقز، فلقد كانت الحركة في أوج عظمتها، وكان توسع الحزب في المناطق العشائرية سريعاً وخاطفاً وكاملاً تقريباً. وقد نشط في بوكان بعض القوات (إيلخانزاده) في مناصرة القضية، ففي نغادة، ترأس حاجي قادر حريري مهمة الترشيح، فأصبح المسؤول عن قبول العضوية في الحزب وفي أوشنافية.

كان موسى خان من عشيرة زرزا عضواً فعالاً في الحركة، كما انضم للحزب الرؤساء الهركيون. أما الشيخ عبدالله أفندي، فقد اعتبر فوق السياسات الحزبية، واعتبر عضواً روحياً، نظراً لاستشهاد أبيه في تركيا من أجل القضية القومية الكردية. وكان عبدالله قادري من عشيرة (مامش) من أنشط الأعضاء، وإلى الشمال في منطقة الشكاك أصبح عمر خان شريفي صاحب الشأن الكبير عضواً في سنة ١٩٤٥، كما وأنّ جميع الزعماء والعشائريين الأكراد تقريباً، وعدد آخر من الناس البسطاء قد انضموا إلى الحزب لسبب أو لآخر، وعلى الرغم من أن عدداً قليلاً منهم أقدم على ذلك بدون شك، لمقتضيات الوضع، فإن حسن الظن بالانتساب متوفر بالتأكيد في الأغلبية، وعلى كل حال، فقد كان الزعماء العشائريون من بين أولئك الذين كانوا يدفعون اشتراكاتهم بانتظام.

# كردستان الكبرى

أرسلت الكومه له في آذار ١٩٤٤، محمد أمين شريفي إلى كركوك في العراق لبحث التعاون المشترك، وخطط المستقبل مع ممثلي حزب (هيوا)، ومنهم أمين راوندوزي وعزت عبد العزيز ومصطفى خوشنا والشيخ قادر من السليمانية، والسيد عبد العزيز كيلاني ورفيق حلمي. وبعد بضعة أشهر، وفي مطلع صيف ١٩٤٤، أرسل فرع الحزب في السليمانية اسماعيل حقي شاويس وعثمان دانش إلى مهاباد، رداً للزيارة، وتأكيداً للميثاق، وفي خلال السنة والنصف التالية، زار مهاباد كل من حمزه عبدالله ووردي من العراق، وقدوري بك حفيد جميل باشا من ديار بكر من سوريا، والقاضي ملا وهاب من تركيا، للاجتماع بإعادة الأتراك هناك، وليروا بأنفسهم مدى سيادة الحكم الذاتي القائم بسبب غياب سلطة الدولة السائدة في أحد أجزاء كردستان.

وفي آب ١٩٤٤ حدث تأكيد رمزي لوحدة كردية كبرى على جبل دالانبار، حيث تلتقي حدود العراق وإيران وتركيا، وكانت الوفود الكردية من ثلاثة أقطار قد اجتمعت هناك لتوقيع ميثاق (بي ني سي ستور)، أو ميثاق الحدود الثلاثة، والذي نص على المساندة المتبادلة والمشاركة في المصادر البشرية والمادية في مصالح كردستان الكبرى. مثل أكراد إيران قاسم قدوري من الكومه له ومن سكان مهاباد. ومن العراق جاء الشيخ عبيدالله من قرية زينو الغربية من الحدود، حيث عبر طريق السيارات الرئيسي العائد من راوندوز عند الحدود، وإلى داخل إيران فوق خانة، ومثلت تركيا من قبل القاضي ملا وهاب.

وفي هذا الوقت توفر تحديد قومي كردي (ولو أنه كان تجريبياً) لكردستان من الناحية الجغرافية. وقد راجت إشاعات مفادها أن الخارطة جاءت من مصدر بريطاني، إلا أنها كانت في الواقع قد أعدت في بيروت من قبل الجمعية الكردية التي كانت لعائلة بدرخان ونشطت فيها، ولقد استعان واضعوها بعدد من المصادر ليرسموا حسب إمكاناتهم أوسع مساحة لكردستان، وبما أن هذه الخارطة قد رافقت مذكرة إلى الأمم المتحدة، وظهرت في أماكن أخرى في المطبوعات الكردية، فإنها تستحق بعض الدراسة. كانت المبالغة وعدم الصحة واضحة جداً في حدودها الشمالية الغربية والجنوبية الشرقية اللتين ظلتا عند حد اعتراف واضعيها المتحفظين عليها، وكان مغرياً بطبيعة الحال أن توفر منافذ إلى البحر الأبيض المتوسط، والخليج العربي، إلا أن كردستان لا تمتد كثيراً جنوب كرمنشاه، ما لم يتوفر للورد وإقناع البختياريين بشكل أو بآخر بأنهم أكراد. وكذلك لا يمكن أن تشكل تلك القرى الكردية القليلة الواقعة شمال غربي حلب، ممراً إلى البحر، والمنطقة الثالثة المثيرة للجدل هي مدينة كركوك في العراق المقسمة بالتساوي تقريباً بين الأكراد والتركمان، في حين أن المنطقة المحيطة بها إلى الغرب والشمال الغربي حيث تقع آبار نفط كركوك الغنية، والمنطقة تحتوي على خليط من القرى العربية والتركمانية والكردية، وفيما عدا ذلك، فإن الخارطة تمثل موسع كردستان بضمنه المنطقة التي يكون فيها الأكراد أغلبية ساحقة، والتي يقطنها بموجب تقديرات تقريبية بين ٥ . ٦ مليون كردي وهم منتشرون بين تركيا (٢ . ٣) مليون وفي العراق (١,٢٠٠,٠٠٠)، وإيران (١,٥٠٠,٠٠٠) وسوريا (٢٠٠,٠٠٠) والاتحاد السوفييتي

(١٠٠,٠٠٠) كرمز للقومية، وكرمز للوجود القومي بالاشتراك مع أنصارها العراقيين صمَّم في ١ أيار ١٩٤٤ علماً مثلث الألوان الأحمر في الأعلى، والأخضر في الأسفل والأبيض في الوسط. أي شيء أسهل لتحقيق حكم ذاتي سريع، وهو قلب للعلم الإيراني على عقب؟ ثم وضع شعار للأمة الكردية يتكون من شمس تحف بها سنابل القمح وجبال وقلم في المؤخرة.

ولقد دلت هذه المواثيق والمداولات الكردية التي جرت في أثناء فترة الحرب، على أن فئات وأحزاباً كردية قومية في الأقطار المتعددة، كانت مستعدة للتعاون في جبهة قومية من نوع ما، وقد اشتملت هذه الجبهة على عدد من الشيوعيين، ممن لم يكن من السهل دائماً معرفة هوياتهم.

ففي العراق فعلت الاختلافات التي لم يبت بشأنها ما بين الحزب الشيوعي العراقي، الذي أراد استيعاب أكراد العراق، والحزب الشيوعي الكردي، الذي رغب في المحافظة على هوية متميزة، وفي بعض الأحيان ارتبط أعضاء الحزب الشيوعي الكردي بتآلف كردي عراقي، دعي (رازكاري كردي) أو التحرر الكردي. وكذلك استعملت أحياناً العبارة (رزگاري كورد) لاحق الجبهة الشعبية الأكثر اتساعاً والتي اشتملت بعد نيسان ١٩٤٤، الكومه له، والفئات الكردية العراقية، وكانت الأغلبية داخل الجبهة الكردية في الدرجة الأولى مهتمة بالحصول على الحقوق الكردية بتحديد منطقة يتجمع فيها الأكراد بالحكم الذاتي، أما الأعضاء اليساريون في الجبهة، ومن ضمنهم الشيوعيون فقد سمح لهم على كل حال، باحتكار صياغة المبادئ السياسية وجعل الحركة القومية تقبل بعدد من

الشعارات الموالية للشيوعية في مجال القضايا الخارجية خاصة.

## عضوية القاضي محمد

كانت الكومه له، حتى هذا الحد، تجمعاً يسوده نظام ديمقراطي ذو مفهوم كردي، فلم ينتخب لها أي زعيم، كما لم يحاول أي من أعضائها تكوين فئة مسيطرة داخل الحزب، وبما أنه لم يلتحق بالحزب أي ماركسي أو شيوعي، فإنه لم تحدث أية محاولات انقلابية يسارية. وهناك سؤال يفاجئنا حول العضوية، هل بقيت دون ضوابط خلال السنتين الأوليين من وجود الكومه له، والسبب الموجب لإثارة هذا السؤال هو فيما إذا كان يطلب من القاضي محمد المواطن الأول في مهاباد أن ينضم إلى الحزب أم لا، وعما إذا كان سيوافق أم لا يوافق لو طلب منه ذلك؟ وقد عارض عدد من بين أعضاء اللجنة المركزية قبول القاضي محمد، لأنهم خشيوا من سيطرة شخصيته المتنفذة على المنظمة. وآخرون عارضوا عضويته لأسباب شخصية. غير أنه لم يكن في نظام وتعليمات الحزب ما يعوقه عن العضوية، أو يحول دون الأعضاء الذين سعوا إلى الإرتباط بالحزب، والطلب منه لأداء القسم التقليدي. وهكذا حدثت دعوته في يوم من أيام تشرين الأول سنة ١٩٤٤ إلى بيت أحمد الهي، حيث تجمع ما يقارب من أربعة وعشرين عضواً حزبياً متوتري الأعصاب بسبب حالة التطلع السائدة بينهم. ولغرض عدم كشف هوية الجماعة بأكملها، تقرر أن يقوم اثنان منهم هما قاسم قدوري وقادر مرسي بالاجتماع بالقاضي في غرفة منفصلة، ويقترحان عليه وجوب انضمامه إلى الكومه له، فإذا ما رفض يغادر البيت، وإن

وافق يدخل عليهم ليلتقي بالأعضاء الآخرين، ويؤدي القسم، ولم يتردد القاضي، وأصبح فيما بعد مرشد الحزب وصوته على الرغم من انتخابه لعضوية اللجنة المركزية.

## الأوبرا الكردية

جاء مطلع عام ١٩٤٢ بسلسلة من الحوادث التي حملت الحركة الكردية خطوة فخطوة إلى نقطة اللاعودة. ففي آذار من تلك السنة قدمت جماعة من أعضاء الحزب الشباب الأوبرا دراماتيكية بعنوان (دايكي نشتيمان) (أم الوطن)، لا مثيل لها من حيث الشكل والتأثير، كانت تؤدى بلهجة مهاباد الكردية، وكانت تهدف إلى صفة القومية، الكردية، وتدور حول رسالتها، وتركز على معانٍ مثيرة للمشاعر منها أن الوطن الأم في خطر، ومكبل في السلاسل، مما يملأ عيون المشاهدين بالدموع، ويطلق الزفرات والحسرات من صدورهم، وتنتهي تلك الأوبرا بنهوض أبناء الوطن الأم لإنقاذه، واخيراً ينقذ الوطن الأم من قبل أبنائه، فتتعالى حينئذٍ هتافات الحاضرين، وقد قام بالدور الرئيسي الذي تطلب صوتاً غير منقطع صبي هو ابن (اغلمس داهل خانم) كورسن حبيبي، وبعد انتهاء الوبرا تريث الأولاد الكبار وعقدوا مؤتمراً سرياً لم يدع حبيبي الصغير للانضمام إليه، وبتأثير ذلك أصبح الجو مثقلاً بالأماني القومية، لأن دايكي نيشتمان تركت انطباعاً مميتاً بين الأكراد الذين شاهدوا لأول مرة محنتهم على شكل مسرحي دراماتيكي. وكان الغرض من عرض ذلك توفير جو لعقد اجتماع لأنصار النهضة الدينية. وقد ازداد عدد المنضمين إلى الدعوة القومية، ولاقت المسرحية شهراً بعد آخر إقبالاً

شديداً من جماهير مهاباد، ثم عرضت في أماكن أخرى، وتوغلت في تموز سنة ١٩٤٥ إلى القطاع السوفييتي في أوشنافية مما أثار اعتراض الضابط الروسي المسؤول على ما تهدف إليه الأوبرا المعادية للإيرانيين، وأمر بأن يصبح النازيون عناصر الشر بدلاً من الإيرانيين وبعد أيام قلائل نجح الروس في إجراء تغييرات بارعة في الحوار، ظهر بموجبها الاتحاد السوفييتي واقفاً مع أبناء كردستان لدى إنقاذهم الوطن الأم. وفي الوقت نفسه الذي كانت فيه الأوبرا تفوز بنجاح منقطع النظير، يكتب التقليد الشعبي لمهاباد، صبغة قومية. وكانت العادة في ذلك الوقت أن يعين شخص يتمتع بأكبر قدر من ضبط النفس (أميراً أو)، أمير ويلبس أفخر الملابس ويسير في الشوارع مع حاشيته ضمن المهرجان وكان بمقدور الأمير أن يتقدم بالتماسات إلى الناس، ويطلب منهم تبرعات إلى الفقراء، إلا انه عندما يتقدم في الشوارع يلجأ أهل المدينة والخبثاء المزودون بالعصي إلى كل ألعوبه من أجل حمله على الضحك، وإذا ما ضحك فإنه يضرب حتى الموت. إن أصل هذا المهرجان غامض، ونزعته أوروبية أكثر من كونها إسلامية وقد اتخذت أوامر الأمير عام ١٩٤٥ على كل حال أهمية خاصة لمناصرته للقضية القومية الكردية.

## أذربيجان وكردستان

كانت الأحداث في شمال مهاباد، وفي أذربيجان الشرقية بالذات في الجانب التركي حول بحيرة رضائية تسير وبسرعة تجاه الحل الإنفصالي لأذربيجان، وكانت القوات السوفييتية في هذه المنطقة موجودة منذ سنة ١٩٤١ وفي سنة ١٩٤٥ كان وكيلهم الرئيس في

أذربيجيان هو جعفر بشواري الشيوعي المخضرم، وكان أيضاً شخصية قيادية في الحكومة الذاتية التي أقامها السوفييت سنة ١٩٢١ في مقاطعة كيلان الإيرانية الواقعة على بحر قزوين، وعندما انهارت الحكومة الانفصالية، وفي السنة نفسها انضم بشواري إلى السوفييت المغادرين، ليعود ثانية خلال الحرب العالمية الثانية كقائد في حزب توده في أذربيجان، ولم يصادق على انتخابه لعضوية البرلمان الإيراني، عندما اجتمع المجلس في طهران سنة ١٩٤٤، ولذا بقيت مطامحه السياسية متركزة على تبريز، حيث كان هو وزملاؤه الأحرار يجدون في متابعة أغراضهم الشيوعية وسط الجو الملائم الذي وفره لهم السوفييت عن طريق إبعادهم قوات الجيش الإيراني عن المقاطعة إلى الشمال من أذربيجان الإيرانية مباشرة عبر نهر آراس إذ تقع أذربيجان السوفييتية التي جاءت منها فئة من المهاجرين لدعم حزب توده الهزيل في تبريز وفدائييه المحليين. ولا تزال الحركة الشيوعية فاشلة في جميع قوى الحركة. (الزخم) أذربيجان حتى صيف ١٩٤٥ عندما اقترنت خططاً اقتصادية واجتماعية بتذمر إقليمي قائم منذ زمن طويل ضد طهران، وإهمالها المزعوم للمقاطعة الشمالية الغربية الإيرانية.

وفي شهر آب أرسل توده فصائل مسلحة تحت حماية الاحتلال السوفييتي للاستيلاء على عدد من المباني الحكومية في تبريز. ولسبب ما قرر الروس أن هذه الخطوة الثورية كانت سابقة لأوانها، وانسحب الأذربيجانيون مؤقتاً.

كانت السياسة في كردستان السوفييتية واثقة أيضاً ففي الوقت الذي كانت مسألة الحكم الذاتي الكردي يتحدث بها علانية داخل

الكومه له، وكذلك في الأحاديث بين الأكراد القادة والوكلاء والضباط السوفييت السياسيين، لم يكن الموقف السوفييتي ثابتاً أو منسقاً تنسيقاً جيداً. ففي سنة ١٩٤٢ التقى الجنرال أتاكيجوف الذي كان مقره في تبريز بالشيخ عبدالله أفندي كيلاني الذي قبل به عدد كبير من زعماء القبائل كزعيم مفضل عندهم لكردستان إيران الشمالية، وأخبره بأنه سيعين حاكماً على المنطقة إلا أنه بعد وقت قصير أخبر أعداء الشيخ الروس بأنه وكيل للإنكليز ولا يمكن أن يكون موضع ثقة. وكان هذا كافياً لجعل الموظفين السوفييت يتوجهون إلى اماكن أخرى، ويبدو أنهم في مرحلة ما قد فاتحوا بالأمر عمر خان شريفي من عشيرة شكاك، ويحتمل أن لا يكون ذلك أكثر من محاولة لجس النبض. وكانوا على كل حال قد اختاروا في صيف ١٩٤٥ رجلهم القاضي محمد ووسيلتهم السياسية هي الكومه له.

وبالنسبة للقوميين الأكراد، ومن ضمنهم زعماء القبائل، فلم يكن هناك داعٍ تقريباً لتبرير الحاجة إلى التعاون مع الاتحاد السوفييتي، إذ أن الروس كانوا مسيطرين بحكم الواقع على المنطقة، وهم وحدهم الذين أبقوا الجيش الإيراني على بعد يدعو إلى الاطمئنان، وفي مناسبات لا حصر لها عبروا عن تعاطفهم مع الأكراد وكانوا قد أعطوا عدداً قليلاً من القوميين الأكراد من ضمنهم القاضي محمد انطباعاً واضحاً عن تسوية (أيام ما بعد الحرب) في إيران من أجل تحقيق الأماني الكردية القومية، وعليه، فلم تكن أكثر من خطوة طبيعية في الاتجاه المرغوب قبول جماعة من قادة (كومه له) من بينهم القاضي محمد ووهاب بلوريان ومناف كريمي، وكريم

أحمديان، اقتراح الجنرال الروسي أتاكجيوف، بوجوب مجيئهم إلى تبريز في ٣ أيلول لحضور احتفال مراسيم تبديل اسم حزب توده الإقليمي، إلى الحزب الديمقراطي الأذربيجاني، وكان السوفييت في تلك الآونة يبتعدون عن فكرة توجيه إيران بأكملها وجهة شيوعية علانية، بل كانوا يسعون إلى العمل من أجل جبهة شعبية إقليمية، وبدا لهم أن الوسائل متوفرة لفصل مقاطعة أذربيجان، لتكون عاملاً مساعداً لمزيد من التغلغل جنوباً وشرقاً. وفي أثناء ذلك كانت الأحوال في كردستان في وضع جعل الروس الذين كانوا يعملون من أجل إدخال أذربيجان الإيرانية في نطاقهم، ويؤمنون بإمكانية استيعاب مقاطعة ثانية واقعة في الاتحاد العام نحو الخليج، وقد أعدت البيارق على رقعة الشطرنج للحركة الكردية.

# الفصل الخامس

# الزيارة الثانية إلى باكو

في أواخر شهر أيلول سنة ١٩٤٢ أبلغ الجنرال أتاكجيوف الضابط السياسي الروسي الأقدم (في أذربيجان)، القاضي محمد إن الوقت قد حان لفئة من الأكراد البارزين لزيارة الاتحاد السوفياتي للاجتماع بالمسؤولين السوفييت ويستطيعون بحث مستقبل كردستان. وكان موقف السوفييت تجاه الأكراد قد تغير تغيراً كاملاً منذ الزيارة الأولى التي قام بها شيوخ العشائر سنة ١٩٤٢ إلى عاصمة أذربيجان السوفييتية. ففي عام ١٩٤٢ كان الاتحاد السوفياتي ضحية لحصار القوات النازية العدوانية، فكان يحاول أن يعزل النفوذ والدسائس النازية من المناطق الكردية خلف خطوط القتال. وفي عام ١٩٤٥ كان الاتحاد السوفييتي المبتهج بالنصر، يعد العدة للاستفادة فائدة كاملة من وضع ما بعد الحرب في تحقيق الأهداف الروسية التقليدية، وكان من المفروض أن وفداً كردياً ثانياً لا يتأثر بالقيادة الروسية فحسب، ولكن ليصبح بالمستطاع توجيهه لتولي قيادة حركية موالية للسوفييت ترتبط بالمجهود الشيوعي القومي في أذربيجان. وقد اختار القاضي محمد في هذه المرة، بعد أن تفاهم

مع مضيفيه الروس أعضاء الوفد ممثل مهاباد إضافة إلى القاضي محمد نفسه كل من، مناف كريمي وعلي ريجاني من بوكان حضر قاسم آغا الخانزاده، وانضم إليهم سيفي القاضي من ميان دواب ورؤساء عشائريون آخرون منهم عبدالله قادري وكاكه حمزه نالوس من مامش ونوري بك من بكزادة.

ودخل الفريق تبريز من غرب وجنوب البحيرة حيث كان بعض المندوبين قد أبلغوا بالاتصال بطبيب اسمه الدكتور صمدوف في المستشفى الروسي. وبعد ذلك إلتأم شملهم في دار ضيافة جاله الصغير، ومن هناك نقلوا بالسيارات إلى محطة القطار التي تكون النهاية الجنوبية لشبكة السكك الحديد الروسية، حيث أن شبكة السكك الحديدية الإيرانية كانت في سنة ١٩٤٢ تصل إلى نصف المسافة فقط بين طهران وتبريز. ومنها استقلوا عربة خاصة، وأبلغوا أن وجهة سفرهم هي باكو ومع ما لهذا من دلالة أولى على أن هدفهم يكمن في ما وراء تبريز فإن معظمهم أدركوا من السرية التي أحاطت برحلتهم؟ أن الاتحاد السوفياتي كان يقف على طرف الخط، ولم يعرف التفاصيل سوى القاضي محمد، وقد استقبلهم عليوف وأيوب كيملي، وقدمت لهم باقات الأزهار التقليدية في المحطة، وبعدها نقلوا بواسطة سيارة مسافة عدة أميال شمالاً إلى فندق في مصيف ميردكان.

وفي صبيحة اليوم الثاني اجتمع الأعضاء لوضع مسودة بعض المقترحات التي ستسلم إلى عليوف، لينقلها بدوره إلى الحكومة السوفييتية الممثلة في شخصية باقروف رئيس وزراء أذربيجان. وقد اختير قاسم إيلخانيزاده من بوكان لحسن خطه ليكتب ببطء رغبة

الأكراد في الاستقلال الذاتي، وحاجتهم إلى المساعدات السوفياتية من سلاح ومال. وسلم الطلب إلى باقروف قبل حفلة الاستقبال في الساعة ٦ مساء، حيث نقل الفريق للاجتماع برجل هزيل، طويل القامة، يبلغ من العمر حوالى الـ(٦٠) الستين، ولكنه يبدو أصغر سناً من ذلك، ولم تثر ملامحه ولحيته أي استغراب لدى أعضاء الفريق الكردي، إذ كان تركياً أذربيجانياً نموذجياً، تحدث إليهم باللهجة الكردية المشابهة للهجة الشائعة في تبريز، والمألوفة لدى معظم أكراد شمال إيران، وقد افتتح باقروف الجسلة بحديث طويل عن موقف السوفييت تجاه القوميات، موضحاً أن الشعوب ذات اللغات والحضارات المختلفة، يجب أن تكون لها حكومات منفصلة، وأن إيران تحتوي على أربعة شعوب من هذا النوع وهي: الفرس الذين يتكلمون اللغة الفارسية، والشعب الذي يتكلم اللغة الكيلاكية في منطقة جنوب بحر قزوين، والشعب المتكلم باللغة التركية في منطقة أذربيجان، والشعب الناطق باللغة الكردية في كردستان، وكل واحد من هذه الشعوب في الحقيقة يجب أن يتمتع بسيادة ذاتية محلية، وأعطى الأولوية بنيل تلك الحقوق لأتراك أذربيجان؟ أعلن بأن الحاجة تنادي الأكراد بالتعجيل لإقامة دولة خاصة بهم، إذ أن الحرية الكردية يجب أن تنتصر لصالح القوى الشعبية لا في إيران، فحسب، بل العراق وتركيا أيضاً، وأن دولة كردية منفصلة أمر مرغوب فيه ومأخوذ في نظر الاعتبار في المستقبل، لتمكين الأمة الكردية بأكملها للوصول إلى أمانيها القومية، كما يجب ابتداء تحقيق الأماني الكردية ضمن حكم ذاتي أذريجاني، ومن المحتمل أن لا تكون هذه هي المرة الأولى التي يتعرف فيها القاضي محمد إلى القبيلة الأذربيجانية، لذلك كانت

إجابته بأن أوضحت أن الأكراد كانوا مصممين على أن يتمتعوا بالحكم الذاتي المنفصل عن أذربيجان، ولقد بذل باقروف أقصى جهده لجعل مركز رفاقه الأذربيجانيين في تبريز، ولما خاب مسعاه، بذلك أصبح ملزماً بالإذعان بلباقة للمطالب الكردية فضرب قبضته على المنضدة، معلناً بأن الأكراد سيكون لهم استقلالهم ما دام الاتحاد السوفييتي موجوداً. فوقف القاضي محمد متأثراً عاطفياً بهذا التصريح الذي أدلى به مضيفه قائلاً: إن الأمة الضعيفة ترحب بكل يد تمتد نحوها، لا لتصافحها فقط، بل لتقبلها أيضاً. وبعد ذلك تغير مجرى الحديث في حفلة الشاي إلى موضع المتطلبات الكردية، فروى القاضي رواية القروي الفقير الذي أعطي كلباً سلوقياً جميلاً من قبل أحد الآغوات، وفي اليوم الثاني ذهب القروي إلى الآغا وشكره مرة تلو الأخرى بعبارات المتملق، مما جعل الآغا المندهش يسأل القروي عن سبب هذا الإطراء، في حين أن الهدية متواضعة جداً. فأجابه القروي قائلاً طالما أعطيتني كلباً جيداً، فإنني أعرف بأنك سوف تعطيني فرساً أركبها، وأستخدمها للصيد، وبعد أن تعطيني الفرس، فمن المؤكد أنك ستزودها بالعلف، وطبعاً فإن الفرس وفارسها سيمنحان المأوى، وبذلك فإنني سأصبح أكثر الناس قناعة. ولكي يتأكد القاضي محمد بأن باقروف فهم الهدف من الرواية، فإنه أوضح أنه ما دام الأكراد قد وعدوا بدولة خاصة بهم، فإنهم سيتوقعون توفر الوسائل المادية الضرورية للدفاع عنها، والعمل على ازدهارها ولم يفت باقروف الهدف من الرواية، فكان رده بالضبط كما كان يأمل مستمعوه من الأكراد. فقد أكد لهم وعده بشحن المعدات الحربية من دبابات ومدافع، ورشاشات وما تحتاجه

من مهارات، كما وعد بمد يد المساعدة المالية، وقبول أي عدد من الطلاب يرسلهم الأكراد إلى الكلية العسكرية في باكو، وأضاف بأنه سيطلب من بيشوارى أن يقبل ثمانين طالباً كردياً في الجامعة التي تقرر إنشاؤها في تبريز، كما أنهم سيرسلون مطبعة إلى مهاباد لإصدار المطبوعات باللغة الكردية.

ثم تحول باقروف إلى النواحي السياسية للحركة الكردية، فقال: إن الكومه له بشكلها الحالي لا تستطيع إنجاز أي شيء، وإن الحركة الكردية تستطيع أن تتقدم بانتصار الديمقراطية في العالم، وخاصة في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة والاتحاد السوفياتي تحت رايتها؟ فقط راية الحزب الديمقراطي الكردستاني. وأشار باقروف كذلك إلى ثورة الملا مصطفى البارزاني المسلحة القائمة منذ عدة أشهر في شمال العراق، والتي تدعي ارتباطها عن طريق رزكاري كورد بالحركة القومية الكبرى، فحذر باقروف بأن الملا مصطفى كان جاسوساً بريطانياً، ولذا يجب النظر إليه بتشكك، كما يجب أن يعامل بالحيطة والحذر. في صبيحة اليوم الثاني وعندما كانت الوفود الكردية تقوم بجولة في باكو، بلغتها أنباء من قبل كريم لي تتضمن أن الملا مصطفى وبرزانييه المسلحين على الحدود قرب ممر كيله شين، وأنهم يعدون العدة للعبور إلى إيران. وفي وقت لاحق من ذلك اليوم، أبلغت الوفود بأن رحلتهم التي يزمعون القيام بها إلى تفليس قد ألغيت، ولذا يمكنهم العودة فوراً إلى الوطن لاتخاذ الاحتياطات الضرورية. وفي أمسية ذلك اليوم وضع الوفد إكليلاً من الأزهار على ضريح غريزوف بالقرب من تمثال كيروف، ويذكر قاسم آغا إيلخانزاده الوقت بالضبط، لأن أحد أعضاء الفريق

أدى صلاة العصر عند قاعدة التمثال، وفي تلك الليلة أُقيمت للوفود الكردية حفلة ساهرة في الفندق الذي كانوا يقيمون فيه تكريماً لهم، اشترك فيها الموسيقيون الأذربيجانيون، وقد انسحب عدد من أعضاء الوفود إلى غرفة منعزلة بعيدة عن القاضي محمد، ليتمتعوا بارتشاف بضعة أقداح من الكونياك الجيورجي. وكان مثل هذا الحذر ضرورياً لأن المضيفين الشيوعيين، كانوا يحاولون أن يؤكدوا للقاضي محمد باحترامهم للتقاليد الإسلامية. كما أكد المندوبون أن السوفييت بالغوا بذلك الاحترام إلى حد تقديمهم لهم لحم ضأن، قام بذبحه مسلم تقي حسب الشريعة الإسلامية وفي صبيحة اليوم الثاني، وفي الساعة الثامنة صباحاً، استقل الأكراد القطار نفسه الذي جاء بهم إلى باكو، وقد حمل كل منهم صورة ذات إطار ثقيل ملون لجوزيف ستالين، كرمز للصداقة السوفييتية، ولم يشغل الفريق الكردي المغتبط أفكاره بنوايا الملا مصطفى، رغم تحذيرات باقروف، لأنه كان واثقاً تمام الثقة بأنه وأنهم أنفسهم كأكراد لا يمكن أن يكونوا إلا أكراداً. وأن الارتباطات والالتزامات الخارجية سوف تذوب عندما تتحقق الأهداف الكردية.

# الفصل السادس

## نبذة عن تاريخ البارزانيين

في أقصى شمال شرقي أربيل في العراق، وعلى الضفة اليسرى من الزاب الأعلى، وفي الجبال الشامخة يقطن أتباع شيوخ البارزانيين. إن قرية بارزان ذاتياً لا تملك أية ملامح بارزة، عدا الدور القوية المبنية بالحجارة الصلدة والعائدة للشيوخ، الذين غالباً ما كانت إقامتهم في هذه القرية مثاراً للمؤامرات والدسائس. وفي مطلع القرن التاسع عشر عين سيد طه (والد الشيخ عبيدالله) من نهري في شمزينان الواقعة إلى الشمال، رجلاً ذا ميول دينية فيها (أي في بارزان) خليفة له، بعد أن تسلم منه الطريقة النقشبندية، إحدى كبريات الطرق الصوفية في الإسلام. ولم يستطع هذا الشيخ الأول من برزان واسمه تاج الدين أن يدعي كشفيعه (سيد طه) الانتساب إلى الرسول ﷺ ولكن بإشرافه على الصلاة وترتيل السلسلة، حتى بلوغ درجة الذهول، والسلسلة بربط قوى الشيخ بقوى أسلافه من رجال الدين، فسرعان ما حاز النفوذ بين الناس البسطاء القاطنين في الوادي.

وعندما مر مارك سايكس في المنطقة سنة ١٩٠٦ وجد أن حسن

آغا من عشيرة زيبار، المقيمة في الجانب الأيمن من النهر، كان قد نهب الشروانيين الأكراد، في الوقت الذي كان فيه شيخ بارزان قد انتقل إلى عقرة، ليقدّم شكوى إلى القائمقام باسمهم.

إلا أن القائمقام الذي كان قد حصل على رشوة من الزيباريين حث أثناء ذلك(٢٥) رجال القبائل الهركيين الرحل على إحراق قرى الشروانيين، وباختصار كانت الأحوال طبيعية، ويبدو أن في مطلع هذا القرن كان أتباع بارزان محاصرين حقيقياً من قبل جيرانهم، إلا أن الحال لم تكن كذلك باستمرار، لأنه حتى في سنة ١٩٠٦ لاحظ مارك سايكس أن البارزانيين كانوا عشيرة مشهورة بمميزاتها القتالية. وكان تعدادها في ذلك الوقت ٧٥٠ عائلة فقط، بالمقارنة مع ١٠٠٠ عائلة زيبارية معادية و٣٠٠٠ عائلة من عائلات الهركيين الرحل. وبعد زمن قصير أصبحت العبارة بارزان تشمل قبائل إضافية تنظر إلى الشيخ بارزان على أنه سيدها ومرشدها الديني. وكان تعداد هذه القبائل كما يلي: الشروانيون الذين يبلغ عدد عائلاتهم ١٨٠٠ عائلة في عام ١٩٠٦، والمزوري العليا التي كان تعدادها ١٢٠ عائلة من البروش الصغيرة، والدولا مري المساوية لمزوري في تعدادها، وهكذا استطاع البارزانيون الصمود وحدهم أمام اعدائهم المعتدين الزيباريين والبروش في الشرق والهركى البدوية، وأحياناً كان حماتهم الأصليون سادة شمزينان الذين تأرجحوا بين موقفي التسامح والاغتباط من هؤلاء الشيوخ المنحدرين من أصل متواضع، والذين أصبحوا ينافسونهم في ميدان سيادة القوى المسلحة، وليس في عالم الثراء. وقد قدر عدد اتباع شيوخ بارزان عام ١٩٤٥ بحوالي ١٨٠٠ عائلة تحتوي على ٩٠٠٠ شخص تقريباً.

وقد تولى الشيخ الشاب عبدالسلام زمام الأمور في بارزان عام

١٩٠٨، متحدياً بذلك السلطات التركية، وعلى غرار سادات شمزينان، بدأ يتواطأ مع الروس الذين كانوا يستميلون إليهم القبائل الكردية دعماً لجناحهم المواجه للأتراك، إلا أن الشيخ وقع في أسر الأتراك، ونفذ فيه حكم الإعدام في الموصل عام ١٩١٤، فتبوأ منصبه من بعده الشيخ الشاب أحمد ذو الطبع اللامستقر. في عام ١٩١٩ وكان البريطانيون المنتصرون يحاولون بوسائل غير ملائمة، إقامة إدارة مدنية متينة، بدرجة تكفل إحباط المطامح التركية في لواء الموصل، الذي كان لا يزال موضع نزاع. بدأ الشيخ أحمد على طبيعته بمراسلة الأتراك لمقاومة البريطانيين، الذين مثلوا آنذاك السلطة المركزية التي تسعى بكل نشاط إلى الحد من الحكم القبلي الذاتي، وقمع الفوضى، وفي عام ١٩٢٧ سمح الشيخ أحمد الذي لم تردعه معتقداته الدينية والمتمتع بطاعة أتباعه العمياء، أن يدعي حلول الله فيه وقد آمنت بذلك عشائره مما أجج نار القتال العشائري، وألجأ قوات الشرطة إلى التدخل، وبذلك انهار ادعاء الشيخ أحمد بالألوهية رغم أن نفوذه استمر على حاله(*). وفي سنة ١٩٣١ استعدت حكومة بغداد التي كانت تتوقع انتهاء الانتداب في السنة التالية ببسط نفوذها على المنطقة، التي من ضمنها تلك المناطق العشائرية التي كانت قد تُركتْ وشأنها. وفي هذا الوقت بالذات طرأت للشيخ أحمد فكرة وجوب فحص مدى إخلاص أتباعه له عن طريق رفضهم أو موافقتهم إلى السير على هداه نحو الانحراف الديني. إذ كان أعداؤه قد اتهموه بالعمل على نشر الدين المسيحي. وفي الشرق في منطقة برادوست

(*) هذه إشاعات مغرضة أثيرت في حينها من قبل السلطات العراقية والبريطانيين وذلك للنيل من جماهيرية الشيخ أحمد بين البارزانيين وبين الأكراد بشكل عام.

بالذات، الواقعة قرب الحدود الإيرانية، أعلن الشيخ رشيد المخادع، وهو كذلك من أتباع النقشبندية، حرباً مقدسة ضد البارزانيين باسم العقيدة الصحيحة، ولم يكن واضحاً لأحد أنه كان محرضاً من قبل مؤثرات خارجية، إلا أنه على أية حال ضرب ضرباً مبرحاً من قبل أحد أشقاء الشيخ أحمد، وكان شاباً اسمه ملا مصطفى، وقد أرسل فوج من أفواج الجيش العراقي لإعادة النظام، فهزم شر هزيمة فاستدعى سلاح الجو المدني ليس للمرة الأخيرة، لإنقاذ الموقف. وفي ربيع ١٩٣٢، أرسلت حملة عسكرية تأديبية ثانية إلى بارزان، فلقيت المصير نفسه، ألا وهو الوقوع في كمين من قبل رجال القبائل المتفوقين في فنون الحروب الجبلية على الجنود المشاة من الأراضي السهلية. وللمرة الثانية قام سلاح الجو الملكي بقصف قرى بارزان بعد إنذارها بالقصف. وقد نجحت عملية القصف هذه، حيث وصلت القوات العراقية أخيراً إلى بارزان، واضطر الشيخ أحمد إلى التراجع إلى تركيا، حيث قبض عليه وسلم في عام ١٩٣٥ إلى العراق، حيث جرى اعتقاله في الحلة، ثم في السليمانية، وقد أمضى الملا مصطفى الفترة نفسها معتقلاً في المدينة الأخيرة.

## الحياة العشائرية

وعند انعطاف سيارة الجيب أو حصان الحمل أو طريق المشاة على الأقدام حسب الفصل الذي يسافر فيه شمالاً من طريق أربيل - راوندوز بالقرب من خليفان. فإن كل واحد من هؤلاء يلازم أرضاً مرتفعة يابسة، وغير مستوية بمحاذاة الطرف الشرقي لوادي الزاب الكبير، الذي تتبعه باتجاه معاكس بمجراه حيث مدينة بليه، المركز الذي تتحصن فيه قبيلة زيباري، وأحياناً الإداريون المراقبون. ومن

وراء المدينة لا يمكن بلوغ وادي بارزان عبر مسافة قصيرة في الطرف الشرقي لوادي الزاب الكبير، إلا على ظهر حصان أو بغل. ومن فوق الطريق، وإلى الشرق منه تمتد سلسلة جبلية تفصل الزاب وبارزان عن منطقة شيروان العشائرية المتمركزة في قرية ميركة سور. يعتبر قطع الأراضي البارزانية من أحد طرفيها إلى الطرف الآخر، إلا بالنسبة لرجال القبائل الخشنين شيئاً اعتيادياً، أما بالنسبة إلى فوج من الجنود، فإن الجبال تشكل حاجزاً ضخماً ولقد أنتجت أودية بارزان النائية نوعاً من الأكراد، يختلف عن أولئك الذين يقطنون في مراكز الوصول إليها، كشقلاوة وراوندوز واربيل والسليمانية. والبارزانيون يتصفون بأنه مرنون، بسطاء، شرسون، متحررون من الكثير من الحضارة، وتمتاز المقاييس الأخلاقية الشخصية بأنها عالية مبنية على دستور الشرف الذي يحكم العلاقات داخل العشيرة، ولكنه غالباً ما كان ينتهك عند التعامل مع الغرباء، وفي كثير من الأحوال ينفذ الانتقام سريعاً بإصدار حكم الإعدام الآني بواسطة البندقية، على أيدي عدد من الرجال مهما بلغ مقداره، والبندقية ملازمة لأكتاف أي فرد من البارزانيين، يستطيع حملها، كما أنها تعتبر أغلى واثمن شيء يملكه في الحياة، وكانت النزاعات الداخلية والعلاقات الخارجية تحسم من قبل الشيخ، ومن الخطأ البالغ أن يتساءل أحد أو يفترض بحب جميع الأتباع المطلق لشيوخهم، فطالما كمن الحقد العنيف وراء التعاون الظاهر، إضافة إلى أن الحقد الكامن جزء من الطباع البارزانية، من هذا نستنتج أن السيادة لديهم لا تعود إلى الاحترام أو الخوف، إذ أن كل رجل منهم يعتز بمنزلته، وهو على استعداد في أية لحظة للعودة إلى التقوقع داخل نموذج معين من الخضوع المطلق السائد لديهم، ومن سخريات

وراء المدينة لا يمكن بلوغ وادي بارزان عبر مسافة قصيرة في الطرف الشرقي لوادي الزاب الكبير، إلا على ظهر حصان أو بغل. ومن فوق الطريق، وإلى الشرق منه تمتد سلسلة جبلية تفصل الزاب وبارزان عن منطقة شيروان العشائرية المتمركزة في قرية ميركة سور. يعتبر قطع الأراضي البارزانية من أحد طرفيها إلى الطرف الآخر، إلا بالنسبة لرجال القبائل الخشنين شيئاً اعتيادياً، أما بالنسبة إلى فوج من الجنود، فإن الجبال تشكل حاجزاً ضخماً ولقد أنتجت أودية بارزان النائية نوعاً من الأكراد، يختلف عن أولئك الذين يقطنون في مراكز الوصول إليها، كشقلاوة وراوندوز واربيل والسليمانية. والبارزانيون يتصفون بأنه مرنون، بسطاء، شرسون، متحررون من الكثير من الحضارة، وتمتاز المقاييس الأخلاقية الشخصية بأنها عالية مبنية على دستور الشرف الذي يحكم العلاقات داخل العشيرة، ولكنه غالباً ما كان ينتهك عند التعامل مع الغرباء، وفي كثير من الأحوال ينفذ الانتقام سريعاً بإصدار حكم الإعدام الآني بواسطة البندقية، على أيدي عدد من الرجال مهما بلغ مقداره، والبندقية ملازمة لأكتاف أي فرد من البارزانيين، يستطيع حملها، كما أنها تعتبر أغلى واثمن شيء يملكه في الحياة، وكانت النزاعات الداخلية والعلاقات الخارجية تحسم من قبل الشيخ، ومن الخطأ البالغ أن يتساءل أحد أو يفترض بحب جميع الأتباع المطلق لشيوخهم، فطالما كمن الحقد العنيف وراء التعاون الظاهر، إضافة إلى أن الحقد الكامن جزء من الطباع البارزانية، من هذا نستنتج أن السيادة لديهم لا تعود إلى الاحترام أو الخوف، إذ أن كل رجل منهم يعتز بمنزلته، وهو على استعداد في أية لحظة للعودة إلى التقوقع داخل نموذج معين من الخضوع المطلق السائد لديهم، ومن سخريات

القدر أن يصبح البارزانيون البدائيون، منتظمين في إطار الإقطاع. وفقاً للطبيعة القومية الكردية اليسارية، لأن القوميين من سكان المدن كانوا يكرهون حياة القوة العشائرية ويسعون إلى هدم النظام الإقطاعي، وكانت مرتفعات بارزان شبه المعزولة ملائمة جداً لقطعان الماشية، وأوديتها التي تكثر فيها المياه الصالحة لزراعة كروم العنب وبساتين الفاكهة، على النقيض من مجاوريهم الزيباريين، وكان البارزانيون غير أكفاء، على الرغم من قوة أجسامهم لبذل الجهود المتواصلة اللازمة للزراعة الطويلة الأمد وغرس الأشجار والكروم. ولاختلال الأمن المزمن في المنطقة، وصعوبة الوصول إلى الأسواق، وصغر حجم المحاصيل التي تعود بالنقد، سارت حياة الناس هنالك ضمن نطاق الضروريات الأولية للمعيشة، فعناصر التغذية الأولية من قطعان الغنم والماعز والماشية كمنتجات الألبان والمنسوجات الصوفية، وأغطية القدم الجلدية المستوردة فوق الجوارب المحاكة بشكل متين وإن من أهم منتجات القمح والشعير الأرغفة المصنوعة على هيأة مسطحة انتشرت بالنسبة للكثيرين، إذ تغنيهم عن الحليب والجبن وأحياناً عن البيض. أما بالنسبة للأقلية الثرية فلقد توفر لها غذاء متنوع يتألف من الرز ولحم الغنم أو لحم البقر أو الدجاج، وكانت الثمار الطازجة أو المخزونة لفصل الشتاء متوفرة في سنوات المحصول الجيد. وكان الشاي والسكر يستهلكان من قبل الجميع، كل حسب إمكانياته المادية. أما النقد الفائض، فيجد طريقه عادة إلى أيدي الشيوخ، الذين يفرض عليهم التقليد المتوارث ومساعدة السيل المستمر من الزائرين، وكذلك كان الشيوخ يشرفون على شؤون البنادق والعتاد وهي مواد غالية الثمن، وعلى كل حال، فقد كانت حياتهم قاسية وخالية من

الكماليات ولو أن بيوتهم المبنية من الحجر مشيدة تشييداً جيداً، إلا أنها تتم بواسطة العمل من قبل أتباعهم، وكان بالإمكان تحويل هذه الرموز الدالة على المكانة المرموقة إلى أنقاض بواسطة القنابل المتفجرة. وفيما يتعلق بمساكن القرويين المتواضعة المبنية من الطين والحجر غير المنحوت، فإن قيمتها تقدر بحجم العمل الذي يتطلبه إنشاؤها، وكلفة أعمدة الدعائم التي استعملت في سقوفها، وكان البارزانيون بعد كل قصف جوي، يعيدون وضع الأحجار فوق بعضها البعض، ويجمعون عدداً كافياً من جذوع الأشجار لإقامة سطح من القصب والطين عليها. بعد ذلك كانت الفُرش تعاد إلى مواضعها، وكذلك تعاد الصناديق الخشبية الصغيرة والآنية القليلة العدد والجرار الفخارية من الجبال إلى البيوت الجديدة وتستأنف الحياة ثانية كما كانت عليه.

## عودة الملا مصطفى

في عام ١٩٤٣ كان الملا مصطفى لا يستطيع بموجب مستواه المعيشي أن يسد نفقاته الحياتية، إذ كان يعتمد في معيشته على المنحة الحكومية الضئيلة التي كانت تقدم له أثناء فترة اعتقاله في السليمانية، وبعد أن تم صرف القطع الذهبية التي كانت على أغطية رؤوس زوجاتهم، واستنزاف جميع موارده استنزافاً تاماً، صمم على الهرب وفعل ذلك في صيف ١٩٤٣، وعبر الحدود سيراً على الأقدام إلى إيران، ثم عاد إلى العراق، حتى وصل إلى بارزان، على بعد حوالي ١٢٠ ميلاً إلى الشمال الغربي. وبعودته للوطن أصبح موضع اهتمام لدى اتباعه وشيوخ العشائر المجاورة وموظفي الحكومة العراقية، الذين أرادوا اعتقاله، وعدد من أعضاء الحركة القومية

الكردية، ومن ضمنهم بعض ضباط الجيش، الذين كانوا يصغون لأي شخص ذي مقدرة مؤكدة على قهر السلطة المركزية. وكان الملا مصطفى معتدل القامة، ذا شخصية تفرض الاحترام على الآخرين عيناه براقتان، تزيد من متانة الخطوط الثابتة لقسمات وجهه ينطق بالقوة والذكاء، ورغم عدم تزوده إلا بتعليم أولي على يد ملا القرية، فله مقدرة على الاستيعاب بسرعة حقيقية، أي وضع من الأوضاع وعلى ممارسة الدهاء الدبلوماسي والعسكري لتحقيق أهدافه.

وعلى الرغم من مغالاته بثقته بنفسه وعناده، فإنه كان يدرك نقصه الثقافي ويبدي إعجابه بأولئك الأكراد الذين أهلتهم دراستهم لمراكز عالية، يخدمون فيها بني جلدتهم، ومن هنا يتحدد موقفه تجاه الطلبة الأكراد الذين ألحوا في وقت لاحق في الانضمام إلى صفوف القوميين الأكراد المقاتلين، حيث أبدى لهم نصائحه بالاستمرار على دراستهم، كما أن منشأ احترامه للقاضي محمد، ينطلق من هذا الموضوع ذاته، ومن صفاته التي لا تروق للناس كثيراً أنانيته وانتهازيته وقصر نظره(*) وشدة حماسه، ومن شأن مثل هذه الشخصية المعقدة أن تثير مختلف العواطف والآراء المتناقضة بين أولئك الذين كانوا يعرفونه أو الذين اضطروا إلى التعامل معه.

لقد جمع الملا مصطفى، لدى عودته إلى بارزان قوة مسلحة من رجال العشائر، وبدأ بمهاجمة مراكز الشرطة الحكومية. واتصل بالسفارة البريطانية، وتفاوض بشكل مراوغ مع حكومة بغداد،

---

(*) أخطأ الكاتب هنا في تعريفه لشخصية مصطفى البارزاني، لو كانت له هذه الصفات لما استطاع قيادة شعب وحركة وحزب عصري لعقود من الزمن.

وأرسل الرسل للحصول على مساندة العشائر المجاورة وسعى إلى تحريض بعض ضباط الجيش الأكراد، وكان مصير فوج من الجيش العراقي المرسل لاستعادة النظام في منطقته بالهزيمة المنكرة، والفشل الذريع، وقد اتسع في نهاية ١٩٤٣ مخزون السلاح وحجم القوات الموجودة تحت تصرف الملا مصطفى اتساعاً كبيراً بحيث لم يعد ممكناً تقليص نفوذه بحملة تأديبية ضيقة النطاق فعمدت الوزارة الجديدة برئاسة نوري السعيد إلى التفاوض على استعمال القوة فأرسلت إلى الشمال ماجد مصطفى الوزير الجديد بلا وزارة وكان في حوالي الخامسة والأربعين من عمره تعاون بعد الحرب مع الشيخ محمود في السليمانية، ثم أصبح بعد ذلك موظفاً حكومياً، محتفظاً بهويته كقومي كردي معتدل، ونشر مجيء الوزير الجديد لإقراره معظم مطالب الملا مصطفى الأمان في كردستان، فثبط الهمم، وبعث في النفوس الاطمئنان، ببذله الوعود على أن بغداد ستغض النظر عن استعادة أجزاء أخرى من سلطتها من قبل أولئك الذين نذروا أنفسهم للقضية الكردية وهكذا أثارت مفاوضات ماجد مصطفى مع الملا مصطفى أنانية الملا، وجعلته يشعر بالغرور مع أعوانه من القوميين الأكراد للحصول على تنازلات أكثر، وكان رئيس الوزراء نوري السعيد يميل إلى بحث عدة نقاط، إلا أن الأغلبية من زملائه سحبوا تأييدهم، عندما شعروا بأن وحدة الأراضي العراقية مهددة، فسقطت الحكومة، وخلفتها وزارة كانت مستعدة لبحث المظالم الكردية، ولكن غير مبالية بالوصول إلى حل وسط حول جوهر الموضوع، إلا أن الملا مصطفى استمر على اتصالاته المفتوحة مع بغداد، في حين واصل الإغارة على مراكز

الشرطة والاستيلاء على الممتلكات الحكومية، وخلال هذه الفترة الطويلة من تمرد البارزانيين، جرى نوع غريب من الاتصال مع حكومة بغداد من قبل عدد من ضباط الجيش الأكراد، الذين اعتبروا أهلاً للسعي إلى تقارب كردي مع الحكومة، عن طريق الحل الوسط بسبب تأثر حياتهم بمزيد من العوامل اللغوية والثقافية، وفي مقدمة هؤلاء الضباط الرئيس الأول عزت عبد العزيز من العمادية، الذي كان في وقت من الأوقات مرافق الوصي الشخصي، وكان قد تمكن بطريقة أو بأخرى من نيل ثقة العرب والأكراد والإنكليز. وكان الضابط الآخر المقدم أمين راوندوزي الذي كان بصفته قائمقام راوندوز، على اتصال رسمي مع الملا مصطفى، نيابة عن الحكومة، وثالثهم الرئيس عبد العزيز كيلاني، الذي ذكر سابقاً باعتباره ابن الشيخ عبدالله أفندي، الزعيم الصوفي الكبير في كردستان إيران الشمالية إلا أنه لم يتضح إلا فيما بعد مدى مناصرة الأكراد للقضية القومية الكردية، وعلى الرغم من كل المغريات المتوفرة في بغداد العربية. كما أن جميع نشاطات حزب (هيوا) الذي ارتبط به هؤلاء الضباط، لم تكن معروفة لدى السلطات العراقية. وفي فترة رئاسة وزارة نوري السعيد عين أربعة ضباط ارتباط إضافيين في منطقة بارزان بموجب نصيحة ماجد مصطفى. وكان هؤلاء القوميون الأكراد المعروفون، من الذين سبق لهم أن أسسوا الكومه له في مهاباد، ومن هؤلاء الرئيس ماجد علي، وفؤاد عارف (استوزر ١٩٦١) من السليمانية. وقد أدت المفاوضات التي جرت عن طريق هؤلاء الضباط إلى إطلاق سراح الشيخ أحمد في اوائل سنة ١٩٤٤، وعودته إلى بارزان، حيث استأنف زعامته الدينية

في حين بقيت السيطرة السياسية والعسكرية الفعالة بيد الملا مصطفى القديرة.

## ثورة ١٩٤٥

صدر مرسوم في آذار ١٩٤٥ بالعفو عن الملا مصطفى، والأكراد الآخرين المتهمين باشتراكهم في أعمال مناهضة للحكومة العراقية قبل شباط ١٩٤٤. ولم يكن الملا مصطفى العنيد واتباعه البارزانيون الأشداء، المعروفون بمآثرهم القتالية وامتلاكهم للسلاح الوفير، وانبعاث القومية الكردية في جميع أرجاء شمال العراق، مستعدين نفسياً للاعتراف بسلطة أعلى من سلطتهم في منطقتهم. وهكذا حدث في نيسان سنة ١٩٤٥ أن ذهب أحد زعماء البارزانيين واسمه أولي بك إلى مخفر شرطة يقع فوق ميركة سور، لتسلم الشاي والقمح، فحدث خلاف، تطور بسرعة إلى قتال، سقط فيه أولي بيك، كما سقط عدد من الشرطة، وحوصر المركز على أثر الحادث واحتل من قبل البارزانيين واضطر الملا مصطفى الذي كان في ذلك الوقت يحسم نزاعاً عشائرياً إلى الغرب من المنطقة البارزانية، إلى العودة إلى موطنه، ليوجه الحملة، وبانتشار الثورة تبنى الملا مصطفى بشكل متزايد موقعاً قومياً، وحتى أدى دعم الحكومة البريطانية، له على الرغم من التحذير الواضح من الموظفين البريطانيين، من أنهم كانوا يؤيدون حكومة بغداد، ومرة أخرى كان فوج عراقي مرسل إلى المنطقة على حافة الهزيمة المعهودة، عندما بدأت طائرات القوة الجوية تلحق الخسائر بالممتلكات والمعنويات البارزانية، وفي الوقت نفسه استعادت الحكومة بمساعدة جيران

ومنافسي الملا مصطفى، وفي مقدمتهم الزيباريون والبرواريون والدوسكيون وأكراد شرف بياني، وعناصر من المهاجرين المخلصين للعديد من أبناء السيد طه من شمزينان وكان يقود الأخيرين ضابط شاب اسمه عبد الكريم قاسم. ولم يبق أمام الملا مصطفى في نهاية أيلول إلا إختيار واحد، وهو الانسحاب إلى حدود آمنة، ونظراً لمقدرة الجيش التركي وموقفه المعروف، كان اختياره يقع باتجاه الحدود الإيرانية فقط، حيث كان يعلم بأن حركة قومية قد أرست قواعدها في المنطقة المحيطة بمهاباد التي لا تحتوي على أية جيوش سوفييتية وإيرانية، ولا يزال من المعتقد أن الملا مصطفى البارزاني، كان قد اتصل سابقاً بالروس، لغرض توفير الدعم لدولة كردية ذات سيادة في إيران. إلا أن سجل تسلسل الحوادث في باكو، يشير إلى عكس ذلك، لأنه لم يكن الوفد الكردي إلى باكو ضحية خديعة، فيجب اعتبار تحذير رئيس الوزراء باقروف من كون الملا مصطفى جاسوساً بريطانياً أصبح الآن أمراً لا بد من إمعان النظر فيه. ويجب أن نتذكر أنه في مناطق الشرق الأوسط التي كان فيها نفوذ البريطانيين في زمن ما ظلت صورة قوة بريطانيا الخفية، والواقعة، عالقة بأذهان الناس أمداً طويلاً، بعد زوال واقعها، لذلك كان الروس وبعض العراقيين الأكراد مستعدين للشك في أية حركة تقوم في العراق، سواء كانت صادرة من البارزانيين أو حزب هيوا الكردي، أو كانت إغارات حمه رشيد خان باعتبارها موحى بها من الإنكليز، وعلى كل حال، فقد وجد الملا مصطفى فرصة كافية فيما بعد لكشف موقعه الحقيقي تجاه كل من جمهورية مهاباد، والوجود السوفياتي المجاور لها.

# الفصل السابع

## مقدمة للجمهورية (بنادق)

عندما عادت الوفود الكردية من باكو، وجدت أولئك الذين تخلفوا، متلهفين لاتباع طريق القومية الكردية المحفوف بالمخاطر. وكان رجال العشائر وسكان المدن الأكراد قد تزودوا بالسلاح طوال السنوات الأربع التي تلت الاحتلال السوفييتي لأذربيجان، وكان النقص في السلاح موجوداً في مهاباد، إذ كان لكل عائلة تقريباً بندقية واحدة على الأقل، فوضع القاضي محمد الترتيبات اللازمة عن طريق وكيل التجارة السوفييتي في مهاباد المسمى بانايون للحصول على مزيد من البنادق للحزب الديمقراطي الكردستاني (ح . د . ك)، وفي ذات ليلة من شهر كانون الأول، وبعد استيلاء القوات الأذربيجانية على مركز الجندرمة في رضائية عدة سيارات روسية قرب جسر يروى سور المبني فوق جومي سوج بولاقية، جنوب غربي مهاباد على الطريق القديم المؤدي إلى رضائية، وكانت تلك السيارات مطفأة الأضواء، وعلى ذلك خرج من أزقة مهاباد الضيقة أعضاء الحزب لتسلم (١٥٠٠) بندقية، كانت في حوزة الجندرمة كما أفرغت شحنات وفيرة من العتاد والذخيرة

بإشراف ضابط روسي. وهذه الشحنة السوفييتية الأولى إلى الأكراد، هي عملية مكتومة، إلا أن أولئك الذين كانوا قد قابلوا باقروف في باكو، أخبروا أصدقاءهم بأن تجهيزات عسكرية أخرى بما فيها الدبابات والمدفعية، ستكون في طريقها إليهم سريعاً.

## البارزانيون وعوائلهم

بعد وقت قصير من عودة الوفود من باكو، انحدر الملا مصطفى مع عدد من أتباعه المسلحين من الجبال إلى أوشنافية، ثم مروا بأراضي قره بباغ، إلى قرية قسم قله، الواقعة على بعد عشرة أميال إلى شمال مهاباد على طريق رضائية. واصطحب معه الشيخ أحمد الذي لا زال الشخصية الدينية البارزانية، أخاه الأصغر، الذي تسلم بصفته القائد العسكري القيادة الحقيقية للعشيرة وكان عدد البارزانيين وعائلاتهم عند دخولهم إلى إيران عشرة آلاف شخص من ضمنهم النساء والأطفال، وكان حوالي ثلاثة آلاف منهم قادرين على حمل السلاح، ومن بين هؤلاء ألف ومائتا رجل موال للملا مصطفى موالاة شخصية، إضافة إلى أن أتباع شيوخ بارزان (الشيروانيين والمزوريين والبروشيين والدولاماريين)، وقوات متنوعة أخرى، قد انضمت إلى الحركة، من ضمنها الضباط العراقيون وهم ميرحاج ومصطفى خوشناو وخيرالله عبد الكريم وعزت عبد العزيز ونوري أحمد طه. وكان الرئيس عبد العزيز كيلاني بصفته الإبن الأكبر للشيخ عبدالله أفندي الذي يكفل عائلة بإمكانها منافسة القاضي محمد على زعامة الأكراد. وبعد وقت قصير من وصول عزيز إلى مهاباد، أختير لمواصلة دراسة عالية في الاتحاد السوفييتي، وكان ذلك حلاً يحتمل أن يكون مرده المنافسة بين عائلته، وعائلة القاضي

محمد. وأصبح لدى الروس بعد ذلك ما يجعلهم يتوقعون تعاون الشيخ عبدالله، وكان العديد من العناصر العشائرية الكردية العراقية غير البارزانية التي انضمت إلى الملا مصطفى في إيران، كل ما تبقى من الائتلاف الكبير للزعماء الذين كانوا قبل بضعة أشهر قد أقسموا على القرآن أن يساندوا بقوة السلاح، قيام حركة قومية كردية شاملة. ومن بين هذه العناصر القليلة ذوي العزيمة القومية كل من وهاب محمد علي آغا من جنديان والقرى المجاورة لرواندوز، واثنان من صغار أبناء سيد طه من شمزينان، والسيد محمد والشيخ (جيتو) من قرية باناس، اللذين استقرا مع حوالى خمسين من المهاجرين من تركيا في منطقة نفادية، حيث تزوج أحمد ابنة أغنى رعاة قرية بباغ وأعظمهم نفوذاً. وضع الملا مصطفى في أول لقاء له مع القاضي محمد رجاله المقاتلين تحت تصرف القضية الكردية، كما اتفق على أن يسكن أتباعه وعائلاتهم في عدة أماكن في منطقة مهاباد على أن تستوعب مهاباد، ثلاثة آلاف شخص منهم. وعلى الرغم من أن التفاصيل المتعلقة بهذه الفترة من سيرة الملا مصطفى، لا تزال غامضة، فمن المحتمل أنه سعى بسرعة باحثاً عن الموظفين الروس محاولاً تبديد شكوكهم المعروفة المقلقة بعلاقاته واتجاهاته السابقة.

## الحزب الديمقراطي الكردستاني

في هذه الأثناء كانت الاستعدادات تجرى بخطوات حثيثة للاستفادة من نصيحة باقروف لتحويل الكومه له إلى الحزب الديمقراطي الكردستاني، وقد استغرق ذلك حوالي عشرين يوماً،

ففي أيلول ١٩٤٥ افتتح هاشموف القنصل السوفييتي في رضائية مركزاً للعلاقات الثقافية في مهاباد. وبما أنه لم يكن للكومه له بصفتها منظمة سرية أي مكان للاجتماعات العامة حتى ذلك الوقت، فإن جماعة مكونة من حوالي ستين من زعماء القبائل والمدن، الذين دعوا من قبل القاضي محمد في ذلك اليوم من تشرين الثاني ١٩٤٥ اجتمعوا في المركز الثقافي، وبالرغم من كون الاجتماع من وحي السوفييت، فإن الموظفين السوفييت ظلوا خارج المركز، تاركين الإجراءات للأكراد. وقد استعرض خطاب القاضي محمد الذي ألقاه ببطء، وبمنطق وقوة الرحلة إلى باكو، ثم تناول نصيحة باقروف حول وجوب تبديل الكومه له لاسمها، وظهورها بشكل علني، والعمل تحت راية الديمقراطية وأعلن قائلاً إنّ إخواننا الروس يساعدون الحزب الجديد، ثم استفسر فيما إذا كانت أسئلة أو تعليقات حول ذلك، وكان الصمت أبلغ جواب على عدم وجودها فاعتبرت القضية منتهية بالشكل الذي أراده.

كما أنه لم يذكر أي شيء معين حول تشكيل حكومة كردية ذاتية، إلا أن العديد من الحاضرين كانوا متيقظين لوعود باقروف في باكو، وكذلك لم تصاحب خطوة تبديل اسم الكومه له أية تغيرات أساسية في تنظيم الحزب، ولم يغير تكوين اللجنة المركزية فوراً. ولم يكن القاضي محمد عضواً في اللجنة المركزية القديمة، ولم ينل مثل ذلك المنصب في الحزب الديمقراطي الجديد، وكل ما حدث أنه استمر في السيطرة على الحركة الكردية، مسترشداً بالنصائح السوفييتية من وراء الستار، كعادته منذ أن انضم إلى الكومه له، وكان للحزب الجديد برنامج، وقد تضمنت إحدى نسخه ما يلي:

١ ـ يكوّن الشعب الكردي في إيران حكومة ذاتية في مجال إدارة شؤونه المحلية.

٢ ـ تكون اللغة الكردية الرسمية، وتستعمل في التعليم.

٣ ـ ينتخب فوراً مجلس إقليمي في كردستان بموجب الدستور الإيراني، ويمارس صلاحيته في السيطرة والإشراف على جميع الاجتماعات الشعبية.

٤ ـ يكون جميع الموظفين الحكوميين من الأكراد.

٥ ـ تنفق الواردات التي تجمع في كردستان داخل كردستان.

٦ ـ يبذل الحزب الديمقراطي الكردستاني جهوداً لإقامة أخوة كاملة مع شعب أذربيجان، والأقليات السكانية هناك.

٧ ـ يسعى الحزب من أجل رفع مستوى الأخلاق والصحة والأحوال الاقتصادية للشعب الكردي، بتطوير التعليم والصحة العامة والتجارة والزراعة.

وهكذا نجد أن الحركة القومية الكردية باتخاذها طابع الديمقراطية، كانت في الواقع تعطي الصيغة القانونية للاتجاه من خلال السنة الماضية، بعيداً عن روح الزمالة والحوار المفتوح المميزين لفترة نشأة الكومه له، وسائرة نحو تنظيم أكثر كفاية وفعالية وسطوة من توجيه نصائح وخبرة السوفييت.

وكان للحركة السياسية الجديدة قائدها الشعبي الذي كان من ذلك الطراز الذي لا غنى عنه في تلك الأيام الستالينية وكان القائد هو القاضي محمد، الذي فرض شخصيته الآمرة الناهية على الحركة القومية، محققاً بذلك مخاوف الأعضاء الأولين للكومة له، وقد

خصه الروس بالتأييد والعناية، وكان مقتنعاً شخصياً بأن الطريقة الروسية مهما إلتوَت أو التفت، ستضمن النصر النهائي للشعب الكردي، ولكنه بالرغم من قبوله بالوصاية الروسية، بقي قومياً كردياً ثابتاً نزيهاً، ولم يتمثل به، وبموقفه سوى حفنة من إخوانه في العقيدة.

وقاسم آغا إيلخاذيزاده عن بوكان أحد المرتابين، كان عضواً بارزاً من قبيلة دي بوكري. ولقد لبى دعوة الجنرال أناكجيون لزيارة باكو، على اعتبار أنها قد تؤدي إلى دعم القضية الكردية، إلا انه رأى في مخططات باقروف لاقتسام إيران بسطاً للنظام السوفييتي باتجاه الجنوب، وليس خلقاً لشعوب حرة. ووجد في بوكان أن كاكه حمزه نالوس من عشيرة مامش يشاركه مخاوفه. وعندما عاد قاسم آغا من باكو، لم يأخذ مكانه في جو مهاباد المضطرب، بل سافر إلى تبريز حيث أمضى عدة أسابيع، وبث مخاوفه بين عدد كبير من الناس، مما جعل الروس يكتشفون مصدر تسرب المعلومات عن اجتماع باكو، وهكذا أصبح قاسم آغا موضع اتهام في مهاباد. ولم تكن تلك الشكوك بدون مبرر لأن زعماء آخرين لعشيرة دي بوكري من بوكان أقاموا في وقت لاحق اتصالاً مع الجنرال هما يوني، الذي قاد وحدات الجيش الإيراني التي حاصرت الجمهورية من الجنوب. واعتبر قاسم آغا في ذلك الوقت شاذاً، إذ أن الجيوش الروسية كانت قد انتصرت في أوروبا، وبدا النفوذ السوفييتي قوياً في شمال غربي إيران، ولا يمكن استبدالها بقوة أخرى في المستقبل المنتظر. وكان الروس في ذلك الوقت قد نجحوا في إقناع الجميع ما عدا قلة بكون الحرية الكردية جزءاً لا يتجزأ من السيادة السوفييتية.

## الحكم الأذربيجاني الذاتي

كان التاريخ يكتب في أذربيجان الإيرانية أيضاً، حيث عززت في شهر تشرين الأول سنة ١٩٤٥ قوات الاحتلال السوفييتية، لتؤكد بوجودها المفزع بنجاح الحركة الشعبية. وفي منتصف شهر تشرين الثاني، انطلق بجد انصار مسلحون ومن بينهم مهاجرون من أذربيجان السوفيتية، ليتولوا الإشراف المدني والعسكري على المقاطعة، وأجبروا وحدات الجيش الإيراني على الانسحاب من تبريز، وهوجمت مخافر الشرطة والجندرمة وجردت من السلاح، واحتلت المباني العامة في تبريز وقطع اتصال المدينة بطهران، وفي الوقت الذي كان الموظفون السوفييت يعاملون الموظفين الإيرانيين في أذربيجان بلطف، كانوا في الوقت نفسه يشجعون ويسعرون حركة الثورة التي لم تبلغ السيادة في المنطقة، لو أن القوات العسكرية الإيرانية لها القدرة على دخولها. ففشلت محاولات طهران بتعزيز مكانتها في المنطقة بواسطة قوات الاحتلال السوفييتية، وفي ١٧ تشرين الثاني، طلبت الحكومة الإيرانية من السفارة السوفييتية في إيران، إشعار السلطات العسكرية السوفييتية بعزمها على إرسال قوات عسكرية إلى تبريز، إلا أن مقدمة تلك القوات المتكونة من فرقتين أوقفت من قبل القوات السوفييتية في قزوين البعيدة جداً عن حدود أذربيجان، ورفضت الاحتجاجات الإيرانية كما أن هناك محاولات قام بها المستر بيرز والمستر بيفن في موسكو في شهر كانون الأول ١٩٤٥، لوضع خطة للمشكلة الأذربيجانية في إطار إصلاح عام، يشمل جميع المقاطعات في إيران، رفض أخيراً من قبل ستالين، الذي أعلن بأن إيران لم تكن إحدى مواد جدول

الأعمال[٢٦]. كانت حركة الحكم الذاتي الكردية من خلال هذا الوقت، تسير وراء أهدافها، وهي لا تكاد تشعر أنها بالمقارنة مع أذربيجان، التي كانت مجرد ربيبة للاتحاد السوفييتي، وقد وفى الروس بوعدهم، إذ وصلت إلى مهاباد مطبعة في شهر تشرين الثاني، وكانت الوجبة الأولى من المعونات الروسية الموعود بها في باكو. ومع ذلك فقد كان الروس حذرين، فألحوا على إخفاء الهدية بجعلها صفقة تجارية تمت بموجب وصل بمبلغ (١٠٠,٠٠٠) توماناً، حوالى ٢٢,٠٠٠ دولاراً، المدفوع ثمنها للمطبعة. وبعد ذلك بقليل بدأت المطبوعات الكردية تظهر، من ضمنها جريدة كردستان، وقد ساعدت جميعها في تشديد الضغوط المتجمعة وراء الحركة، وخاصة في صفوف الشباب من أعضاء الحزب.

وأصبح جعفر بيشواري، وزملاؤه السوفييت في تبريز، مستعدين أخيراً للعمل، ففي ١٢ كانون الأول افتتحت رسمياً جمعية وطنية متكونة من ١٠١ مندوب مختار من قبل فرقة أذربيجان الديمقراطية. ومن الناحية الفنية فقد ادعى بأن ذلك لم يكن استقلالاً، بل حكماً ذاتياً، ضمن الدولة الإيرانية، وبموجب ما يسمح به الدستور الإيراني، الذي ينص على إقامة مجالس مقاطعات. ولقد أعطيت الضمانات لأصحاب الممتلكات في أذربيجان، ولكن في الوقت نفسه محت سلسلة من المراسيم الثورية البنوك، ودعت إلى توزيع الأراضي، واشترطت استعمال اللغة التركية المحلية في الأغراض التعليمية والرسمية، ومع أن الموظفين السوفييت حاولوا التقليل إلى أدنى حد ممكن من أهمية هذه الأعمال، إلا أن الحوادث كانت تشير إلى عكس ذلك ببلاغة، ولم يحدث إلا القليل في أذربيجان

مما لم يكن قد أوحت أو سمحت به السلطات السوفييتية، أرسل القاضي محمد خمسة مندوبين ليمثلوا الحزب الديمقراطي الكردستاني، ومنطقة مهاباد في جمعية تبريز، وكان هؤلاء الخمسة هم: سيفي القاضي ابن القاضي محمد، وحاجي مصطفى داودي، ومناف كريمي، وكريم أحمديان، ووهاب بلوريان. وكان الأكراد الخمسة في تبريز أقلية تشعر بحرج ذلك لأنهم انضموا إلى الجمعية، لا بصفة كونهم ممثلي كردستان القائمة بذاتها، بل مجرد مندوبين من دوائر انتخابية معينة كما كان جميع المندوبين الآخرين، وسرعان ما شعروا بأنه بموجب الترتيب الجديد سيكون لكردستان مجلس بلدي فقط، ومكانة ثانوية بالنسبة لمكانة مجلس المقاطعة في أذربيجان. ومع أن الأكراد كانوا قد ارتابوا بأن جيرانهم الأذربيجانيين قد يلجأون إلى مثل هذه المناورة، إلا أنهم وافقوا على إرسال ممثلين إلى تبريز، لتجنب إثارة غضب أصدقائهم الروس. وعلى كل حال عاد الأكراد الخمسة، بعد أن عقدت الجمعية ثلاثة اجتماعات ليعلنوا استياءهم في مهاباد.

## الحكم الذاتي الكردي

كان باقروف قد ربط نفسه بتعهد في باكو بقيام حكم ذاتي كردي، ولم يكن في المستطاع تأجيل تحقيق ذلك، فالتزم القاضي محمد جانب الاعتدال ونصح بالتمسك بالحذر احتراماً لرغبات مستشاريه السوفييت، الذين كانت نواياهم الحسنة ضرورية لمستقبل الأكراد. ولكن حدث أن تغلب الحماس في ١٧ كانون الأول على التروي، وتحول اجتماع أعضاء الحزب إلى مسيرة، توجهت نحو

آخر أثر من آثار السلطة الإيرانية في مهاباد، وهو دائرة المحكمة، وطالب الجمهور إحراق البناية، إلا أن كفة الاعتدال رجحت، وبدلاً من إحراق المحكمة، رفع الشعار الإيراني من واجهة المحكمة ورُفع العلم الكردي على سطحها.

وفي أواخر كانون الأول، خول القاضي محمد كلا من عبدالرحمن زبيحي وعلي ريحاني، صلاحية مفاتحة القنصل البريطاني في تبريز، حول إمكانية قيام نوع من العلاقات الرسمية بين كردستان المستقبل المتمثلة بالحكم الذاتي والمملكة المتحدة، ودول غربية كبرى. وكان رد القنصل غامضاً وغير مرضٍ من وجهة النظر الكردية. وزار القاضي محمد نفسه تبريز، ليبحث الأماني الكردية مع بيشوارى والموظفين السوفييت، وعندما عاد إلى مهاباد، أدرك حقيقة مشاعر الناس، وبدلاً من إضافة مركزه القيادي في الحركة القومية، استعد بهدوء لليوم المعين لإعلان الحكم الذاتي الكردي رسمياً، وكان ذلك اليوم هو اليوم الثاني من الشهر الكردي ريبندان المصادف ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٦.

وبعد ذلك بأيام قلائل بحث القاضي محمد، مشاريعه مع الملازم نيماز لايوف، وكان آنذاك الضابط السياسي السوفييتي في ميان دوب، ومع المقدم مير ماكوف، الذي عمل كضابط ارتباط مع الموظفين السوفييت في تبريز، ولم يعارض أحد منهما خططه. وفي ١٧ كانون الثاني انتشر خبر في المدينة وبين العشائر مفاده أن اجتماعاً مهماً سوف يعقد في جوار جرا في اليوم الثاني من شهر ريبندان، وفي اليوم السابق للاجتماع الكبير، اجتمع عدد من الأكراد البارزين في مهاباد في أكبر جامع في المدينة، لبحث الحكم الذاتي

الكردي، ومنهاج اليوم التالي. وحرص فيه على السرية بدرجة أن الذين حضروا ذلك لم يتجاوزوا عشرين شخصاً فقط، وعرف في اليوم التالي بالتفصيل إلى أي مدى سيذهب المتحدث باسم أبناء الشعب الكردي ليحقق المطامح القومية المنشودة.

# الفصل الثامن

## تشكيل الجمهورية ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٦

مع أن الثلج قد تساقط في اليوم السابق، إلا أن صبيحة اليوم الثاني والعشرين من كانون الثاني ١٩٤٦، أقبلت بشمس مشرقة ودفء نسبي، قياساً بالمناخ المألوف في أواسط الشتاء، في مكان يبلغ ارتفاعه ٤٥٠٠ قدم عن سطح البحر، ويقع على خط عرض ٣٧ شمالاً، وما ان انتصف الصباح، حتى تجمع جمهور غفير من أبناء المدن والضباط والعشائر الزائرة في ميدان جوار جرا. وقد ازدان الشارعان الوحيدان المستقيمان في المدينة والمؤديان للميدان بالأعلام الكردية والرايات الحمراء والبيضاء والخضراء. ومن بين هؤلاء تجمع وفد من أبرز الشخصيات، ساروا غرباً مسافة ١٠٠ يارده إلى دار القاضي محمد الواسعة المبنية بالطابوق، والمطلة على جومي سوج بلاوقيه ومن هناك جاء القاضي محمد، يحف به أعضاء الوفد، إلى الساحة، حيث اعتلى المنبر الخشبي المنشأ في طرفها الشمالي الغربي، وكانت أمامه مجموعة زاهية من الرجال والأطفال الأكراد، ومن سطوح ونوافذ البيوت القريبة تمكنت بعض النسوة مراقبة الساحة، والمحافظة في الوقت نفسه على عزلتهن،

وقد كان أكثر الناس نفوذاً في تلك الفترة، والذين لم يبدوا بمظاهر جذابة كالآخرين، هم أعضاء اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكردستاني ومعظمهم من الشباب المتوسطي الأعمار، المنتمين للطبقتين الوسطى والعليا في مهاباد، والمرتدين للملابس العربية دون اهتمام بالأناقة، ولقد ارتدى البعض منهم العمائم أيضاً، كما مثل تمثيلاً كاملاً زعماء قبائل منطقة مهاباد، وقبائل مامش ومانكور وكادور وزرزا من المنطقة الواقعة تجاه الحدود العراقية مرتدين زي الرجال الجنوبيين، وكان هناك أيضاً عشائر هركي، وبكزاده، وبارزان بزيهم الشمالي المصنوع من قماش محلي خشن لونه أزرق خفيف.

وقد ارتدى بعضهم كوفيات عربية من العراق، حمراوات وزرقاوات، ومن أقصى الشمال جاء الشكاكيون والجلاليون المرتدون لبنطلونات الركوب القوزاقية، وسترات متعددة الأشكال، وقبعات بيضاء عالية من اللباد، وتشكيلة واسعة من العمائم ولم يقف مع الجمهور أفراد روس، إلا أن برماكوف من تبريز راقب الإجراءات من سيارة جيب قريبة من الساحة. اعتلى القاضي محمد المنصة وبصوته البطيء المؤكد دلل أن الأكراد شعب قائم بذاته يعيش في أرضه الخاصة به، ويتقاسم مع شعوب أخرى حق تقرير المصير، ومضى قائلاً إن الأكراد استيقظوا وكان لهم أصدقاء أقوياء، ثم أعلن أن الجمهورية الكردية ذات حكم ذاتي، قد شكلت منذ لحظات إلقاء هذا الخطاب، وشكر القاضي محمد وسط هتافات اللجنة المركزية للحزب، وسكان كردستان لاختيارهم إياه لقيادة الأمة الجديدة، ثم نزع معطفه الطويل الذي لم يلائمه، ووقف أمامهم معتدلاً أنيقاً معمماً بعمامة بيضاء خاصة بالشخصيات

الدينية، مرتدياً بدلة عسكرية من الطراز السوفياتي، فصلت له آنذاك في تبريز، وتفيد مصادر عديدة أن القاضي محمد كان قد نوى ارتداء قبعة عسكرية إلا أن أصدقاءه أقنعوه بأن العمامة أكثر ملاءمة لمركزه الديني، واستمر بعد ذلك على ارتداء العمامة، أما لباسه الآخر، فإنه كان يرتدي جبة القضاة الطويلة حيناً، وحينا آخر الزي العسكري السوفياتي، الذي ظهر فيه هو وحده في ذلك اليوم من كانون الثاني، والذي استعمل فيما بعد من قبل الزعماء العسكريين، وكثيراً من الزعماء المدنيين للجمهورية.

ولم يستغرق خطاب القاضي محمد أكثر من خمس عشرة دقيقة، إلا أنه تمكن خلاله من شكر الاتحاد السوفياتي لدعمه المعنوي والمادي، وتهنئة إخوانه الأذربيجانيين، الذين نالوا استقلالهم والذين سيساعدونه، وعندما هبط من المنصة، تعالت الهتافات مختلطة بأزيز الطلقات التي انطلقت من ثلاثمائة بندقية زودت كل منها بخمس طلقات، إذ أنّ أي احتفال أو عرس كردي لا يكمل إلا بصوت البنادق.

ولم يرد أحد إفساد المناسبة السعيدة بالاستفسار عن مدى صدق ما أعلنه القاضي محمد عن الأخوة الكردية الأذربيجانية، إلا أن عنصراً آخر من عناصر الانقسام جاء، ليبدد لحظة الصمت الذي خيّمت عليهم جميعاً، وقد صعد المنصة بعد هبوط القاضي محمد العديد من زعماء العشائر ومدنية مهاباد الذين هنأوه، وهنأوا شعب كردستان بالمناسبة السعيدة، وعندما نهض زيرو بيك هركي، ليتكلم كان المفترض أن تكون كلماته كالكلمات السابقة ملائمة للمناسبة، إلا أنه بدلاً من ذلك هاجم الشيخ عبدالله أفندي كيلاني الذي زعم أنه فاتر في تأييده للحركة الكردية القومية، وبأنه ربما سيكون أداة بيد دولة أجنبية كبرى،

وهي بريطانيا العظمى، فدهش الجمهور لوقاحة زيرو بيك وقلة ذوقه، وخرج من بين الجمهور السيد عبد العزيز، الشاب الذي كان قد ترك الجيش العراقي، ليلتحق بالحركة الكردية، ونهض الآن ليدافع عن أبيه، وتلاه بعد ذلك القاضي محمد مرة أخرى، ليتحدث مدافعاً عن الشيخ عبدالله، مفنداً اتهامات زيرو بيك باعتبارها صادرة عن أغراض شخصية وفيها ارتاب بعض الأكراد بأن زيرو بيك قد شجع من قبل الرئيس نيماز اليوف من ميان دوب المعروف بعدم ثقته بالشيخ، وارتيابه بكونه ذا ميول موالية للبريطانيين، واستمرت الأفراح في شوارع مهاباد طيلة ذلك اليوم، وعمت الدبكات الكردية التي رقص فيها الناس على إيقاع الطبول والمزامير الساحرة، وعندما تلاشت الضوضاء في آخر الأمر، كان بإمكان مؤسسي الجمهورية أن يتأكدوا بثقة تحقق هدفهم، ودوام جمهوريتهم بتأييد الاتحاد السوفييتي لها.

## الوجود الروسي

بعد إعلان الجمهورية بيومين، وقع في مهاباد حادث من حوادث الاغتيال السياسي النادرة في تلك الأوقات بعد أن تسلم الشيوعيون زمام الأمور في تبريز في شهر كانون الأول، قادوا حركة الحكم الذاتي الأذربيجاني، وأقاموا حكماً فيها غير كاف ومتميز بطابع الإرهاب في منطقتها، فانتشر رجال الأمن والتحري والمخبرون في كل مكان، ليضمنوا عدم تدخل الرجعية في تقدم الجماهير على النمط الشيوعي، وعاون فرقة أذربيجان الديمقراطية (حزب توده سابقاً) في مهنته الثورية (المهاجرون) من أذربيجان السوفيتية، وكان الكثير من ملاكي الأراضي الأثرياء في تبريز قد هربوا قبل ذلك إلى طهران، أو في مهاباد، فلم

تكن هناك أية ثورة اجتماعية أو أية حركة جديدة نحو توزيع الأراضي، أو أي تثقيف ماركسي، أو أية شرطة سرية، أو أية كوادر روسية التدريب، وعلى أية حال كان النفوذ السوفيتي موجوداً هناك، وقوته متناسبة مع مدى اعتقاد الزعماء الأكراد بأن قضيتهم ناجحة، إذا ما راعوا رغبات السوفيات، وأطاعوا إرشادات الموظفين السوفييت، ووسع الأكراد نطاق تعاونهم مع السوفييت، وذلك باستعمال المصادر الروسية لدى كتابة المقالات في الجرائد، وإطراء القادة السوفييت، وتمجيد القوات السوفيتية المسلحة، وتعليق صور ستالين في أكبر عدد من البيوت والدوائر الحكومية.

وفي ٢٤ كانون الثاني أخبر الرئيس تيماز اليوف، القاضي محمد أن كردياً اسمه غفار محموديان الوكيل السابق لبيع أجهزة الراديو الهنغارية والروسية في رضائية وتبريز ووكيل الحكومة الإيرانية لبيع السكر في مهاباد، ظهر أنه مخاتل يقدم المعلومات للموظفين الروس والإيرانيين في آن واحد واقترح نيماز اليوف التخلص من خائن خطر كغفار فاستجاب القاضي محمد، وأصدر أوامره بوجوب توقيف غفار محموديان وجلبه إلى مخفر الشرطة، وفي طريقه إلى هناك قتل المقبوض عليه رمياً بالرصاص من قبل ثلاثة من الشرطة الروسيين، قرب البيت الذي كان يقيم فيه نيماز، وكان مقتل محموديان حادثاً استثنائياً توجهت بعده معظم الضغوط الروسية إلى كبح جماح الأكراد، لا إلى تحريضهم على العنف. ولتحقيق أغراضهم كان الروس قد عينوا في أذربيجان وكردستان عدداً من ضباط الجيش الموظفين المدنيين، الذين عالجوا كلياً أو جزئياً شؤوناً كردية. ومما هو جدير بالذكر أن العديد من الضباط

السوفييت ساهموا في الإعداد للمرحلة الأولى للزعماء العشائريين الأكراد إلى باكو سنة ١٩٤١، ومن بينهم كان الجنرال سالم أتاكيوف، الذي تقلد منصباً سياسياً عالياً في أذربيجان، طيلة مدة الاحتلال الروسي في شمال إيران. ومن الضباط الناشطين في سنة ١٩٤١ كان العقيد اليانوف، أحد الأكراد السوفييت القلائل المتصلين بأكراد إيران. ومنهم أيضاً مصطفى يوف، الذي كان ملحقاً بالقنصلية في رضائية، الذي رافق الوفد الكردي الأول إلى باكو. ولم يكن لهذين الضابطين الآخرين وجود في المنطقة سنة ١٩٤٥، عندما دخل مخطط السوفييت في أذربيجان وكردستان مرحلة أكثر فعالية.

وكان الجنرال أتاكيوف سنة ١٩٤٥ لا زال ذا مركز مرموق في تبريز، ولقد بقي هناك حتى انسحاب القوات الروسية من أذربيجان في أيار سنة ١٩٤٦. كان أتاكيوف وهو أذربيجاني من باكو في حوالي الخمسين من عمره، وإن بدا أصغر سناً مملوء الجسم، يرتدي عادة الملابس المدنية، وقد لاحظ أصدقاؤه ومرافقوه الأكراد أنه ذكي وماكر في وقت واحد.

وكان غالباً ما يأتي إلى مهاباد في الصباح، ويعود إلى تبريز في اليوم نفسه، وفي أغلب الأحيان كان الأكراد ممن لهم قضايا مهمة يريدون عرضها على الحكومة السوفييتية، يذهبون بأنفسهم إلى تبريز لمواجهة أتاكيوف، أو أي موظف آخر أدنى منزلة منه. والغريب حقاً أن يكون أحد الأشخاص السوفييت الذين يتصل بهم الأكراد طبيباً متوسط العمر يعمل في المستشفى الروسي، الواقع في شارع بهلوي، بالقرب من حديقة كولستان العامة، واسمه أسادوف، كما كانت زوجته الجميلة طبيبة أيضاً، مختصة بأمراض العيون، وفي

المستشفى الروسي، تجمع عدد غفير من أعضاء الوفد الكردي الثاني قبل إرسالهم إلى باكو من قبل أتاكيوف وطبيب آخر اسمه فوليوف، كان يتصل به أحياناً في غياب أسادوف، إلا أن مهامه السياسية بقيت غير مهمة، ولم يكن أمره اعتيادياً، إذ يجيب الدكتور أسادوف بنفسه على الأسئلة، أو يعالج قضايا مراجعيه الأكراد. إلا أن بعض تلك القضايا كانت تحال إلى موظفين من مراتب أعلى كأتاكيوف، الذي كان يرفعها بدوره إلى باكو، أو أحياناً إلى موسكو، وقد بقي الطبيبان في المستشفى حتى أواخر أيام جمهورية أذربيجان.

وكان الوكيل الرئيس للسيادة السوفييتية تجاه الأكراد وفي منطقة رضائية شخص اسمه هاشم يوف وهو تركي أذربيجاني، متوسط العمر، ملحق بالقنصلية الروسية في تلك المدينة. وقد وصل قبل إعلان الحكم الذاتي الأذربيجاني، وبقي في رضائيه حتى سقوط جمهورية مهاباد. وكان عمله يتطلب منه زيارة مهاباد، حيث كان يتعامل مع القاضي محمد وموظفين آخرين، وكان هاشم يوف رجلاً طويل القامة متين البنية، ودوداً ذا دراية واسعة بالعشائر والشخصيات الكردية، ولعله كان في سنة ١٩٤٦ أكثر الموظفين السوفييت إسهاماً بشكل مباشر في تنفيذ سياسة الروس الكردية.

وفي مهاباد ذاتها، كان الروسي الذي ترك أعمق انطباع هو الرئيس صلاح الدين كازيموف، الملقب بكاكا آغا تحبباً، والذي أرسل إلى المدينة في آذار سنة ١٩٤٦، كمستشار عسكري للجمهورية، ولقد اشتهر هناك كضابط ذكي مثابر، وهو إضافة إلى ذلك بسيط، قليل الاختلاط مع أهل المدينة، على الرغم من أن حياته السابقة في أذربيجان زودته معرفة باللغة التركية المفهومة في مهاباد.

وكان الضابط الروسي الآخر، المعين بصورة دائمة في مهاباد هو الممثل التجاري أسادوف وعمره خمسة وأربعون سنة، الذي وصل في شباط وبقي حتى نهاية الجمهورية، وعندما التحق بموظفي القنصلية الروسية في رضائية، وسبق أسادوف في إشغال المركز التجاري حاجيوف ومن ثم بابيلوف. وكان لا يخصص للأعمال التجارية إلا اليسير من وقته، إذ أن مهمته الرئيسية كانت العمل كمستشار سياسي روسي لإتمام الوظائف العسكرية لـ(كاكا آغا)، وفي ميان دوب كان الوكيل السياسي السوفييتي الرئيس نيماز اليوف المذكور سابقاً. وكان تركياً أذربيجانياً في الخامسة والثلاثين من عمره معروفاً بتكتمه، وهو أقل شعبية بين الأكراد الذين يتصلون به من أغلب الموظفين الروس الآخرين، ومع أن مكان إقامته في ميان دوب، فهو يمضي قسماً يسيراً من وقته في مهاباد، التي لم تكن تبعد عن البلدة السابقة أكثر من ساعة بسيارة جيب. وعين في تبريز إضافة إلى أطباء المستشفى الروسي والجنرال أتاكيوف المقدم برماكوف الذي كان اسمه الرمزي الرقم الهاتفي (احد عشر) وقد غادر المقدّم برماكوف إيران مع قوات الاحتلال السوفييتية في أيار سنة ١٩٤٦، كما غادر ثلاثة ضباط روس آخرون بدورهم في أيار، وكان المقدم غفاروف المتخصص بشؤون أكراد شمال إيران، من ضمنهم كذلك الشكاك، والرئيس سادوف المعين في نقادية والرئيس ناتللايوف الذي كان في أوشنافيه.

## الوزارة

انهمك موظفو الحزب الكردي بعض الوقت بعد اجتماع ٢٢

كانون الثاني بالمهمة الشاقة . مهمة إنشاء الدوائر والخدمات الأساسية للدولة الجديدة.

وكان الشيخ محمود قد واجه بعد الحرب العالمية الأولى صعوبات، مماثلة في محاولته إقامة وترسية كيان حكومة كردية في السليمانية في العراق، إلا أن طموحه المتزايد، أدى إلى إسقاطه، قبل انجاز أي شيء. وكان المهم في نظر الحزب الكردي في مهاباد، تأمين سلامة الدولة وإعداد العدة لإتساع رقعتها باتجاه الجنوب، وراء قطاع النفوذ السوفيتي، ولهذا أرسل القاضي محمد مبعوثين إلى جميع انحاء كردستان إيران، من عشيرة جلالي على الحدود السوفييتية إلى أودية عشيرتي أوروماني وجفانرودي المنعزلتين شمال غرب كرمنشاه، قرب الحدود العراقية. وكان لوجود القوات الإيرانية المسلحة أسفل خط سقز . سردشت، أثر كبير في الحد من نشاط الدعوة للجمهورية الكردية، وأما شمال ذلك الخط فإن تقاعس أي شخص متنفذ عن الانضمام إلى الحزب، يعرض لمخاطر جسيمة باستثناء النشاطات القومية للحكومة له، ومن بعدها الحزب الديمقراطي الكردستاني.

وسوى ذلك فالتحرك الآخر الوحيد خلال زمن الحرب، الذي أدى إلى اقتطاع رقعة كردية، تتمتع بالحكم الذاتي هو استيلاء حمه رشيد خان على منطقة سقز بانه، وذلك بعد الانهيار الإيراني سنة ١٩٤١، وطابع هذه الحركة عشائري نموذجي، إذ ملأت فراغاً سياسياً بالقوة، ولكنها فشلت بتوفير الأمن، أو الأسس الضرورية للحكومة وفي سنة ١٩٤٤ طرد حمه رشيد من منطقة نفوذه إلى داخل العراق، إلا أنه عاد مرة أخرى سنة ١٩٤٥ مع ٢٠٠ خيال مسلح، وقفوا على مسافة مفصولة عن الجيش الإيراني، وقد جلب حمه رشيد جنوده إلى مهاباد

في صيف سنة ١٩٤٥، ثم سار بهم مرة أخرى جنوباً نحو سردشت. بعد اعلان الجمهورية بزمن قصير، وزار مرة اخرى عاصمة الدولة الجديدة، ليبحث مع قادتها دوره في الحركة، ثم عاد ثانية نحو الجنوب، مع تأكيدات فحواها أنه لن يهمل، إلا أن حمه رشيد كان شخصه مشبوهاً في نظر السوفييت، كما كان الأكراد العراقيون (الذين يقعون كما يفترض تحت النفوذ البريطاني) فإنه من المتوقع أن تكون فائدته لنظام الحكم الجديد محدودة.

وعلى الرغم من أن زعامة القاضي محمد اعترف بها من قبل أهالي مهاباد في ٢٢ كانون الثاني، فقد بقي على المسؤولين، تنصيب رئيس الجمهورية، واختيار الوزارة. ولذا دعا القاضي محمد في أوائل شباط، عشرة من أعضاء اللجنة المركزية إلى دار التجارة السوفييتية الكردية، حيث سألهم عن وجهة نظرهم حول تشكيل وزارة على فرض أنهم أنفسهم كانوا مرشحين محتملين، وبعد المداولة وضعت قائمة حملها القاضي محمد معه إلى بيته. وبعد ستة أيام، في ١١ شباط بالذات نُشرت القائمة بدون تبديل، في جريدة كردستان، وأقسم الوزراء مع القاضي محمد بصفته رئيس الجمهورية يمين الولاء والإخلاص، ويلي منصب رئيس الجمهورية، منصب رئيس الوزراء الذي تولاه حاج بابا شيخ من بوكان. كان حاجي بابا شيخ سياسياً قضى معظم سنوات حياته البالغة ٦٥ سنة في النشاطات السياسية وهو أحد أفراد عائلة السادة المقيمة في زابني بالقرب من بوكان، وكان قصير القامة، نحيف البنية وقد أسبغت عليه لحيته البيضاء ونظارته، سيماء الرجل العالم رغم أنه لم ينل أي تعلم مدرسي.

وكان في السابق صديقاً لرضا شاه ومؤيداً، لا يتزحزح وبعد نفي

رضا شاه مال، نحو حمه ريشيد خان من بانه، الذي كان مسيطراً آنذاك على منطقة سقزبانه. وأصبح الآن من أنصار الجمهورية، وكان حاجي بابا شيخ محبوباً من قبل سكان المنطقة، لم يكن عضواً فعالاً في الكومه له، إلا أنه انضم في أواخر عام ١٩٤٥ إلى الحزب الديمقراطي الكردستاني، وربط مصير طموحه بمصير القومية الكردية. ولم يكن متقرباً إلى القاضي محمد، وكان هناك شك لدى بعض الناس مفاده أنه إنما عين رئيساً للوزراء لمجابهة نفوذ جيرانه (عائلة إيدخان زاده) من بوكان، وعلى الرغم من علو منصب علي بابا شيخ فإنه لم يكن في أي وقت من الأوقات شخصية قومية في الحكومة.

ولقد أختير محمد حسين سيفي القاضي من ميان دوب، وابن عم القاضي محمد وزيراً للخزينة، كما عين صدر القاضي نائباً لرئيس الجمهورية، إضافة لمنصبه كوزير للحربية، كما اختار القاضي الشاب مناف كريمي من مهاباد، والذي كان من أوائل أعضاء الكومه له، والشخصية الثانية في لجنتها المركزية. وكان مناف كريمي رغم حداثة سنه، الذي لم يتجاوز الخمس والعشرين سنة، شخصية شعبية معروفة في مهاباد، وهو من الناحية الاجتماعية ينتسب إلى عائلة عريقة، على الرغم من دخله المتوسط. وأما منصب وزير الداخلية الذي كان في تلك الأيام من أيام حكومات الجبهة الشعبية في أوروبا. يعتبر المنفذ الرئيسي للتغلغل الشيوعي، فقد عهد به القاضي محمد إلى محمد أمين معيني من مهاباد.

وكان بصفته صاحب كراج في مهاباد، قد طور في الأيام الأولى للحرب علاقات وثيقة مع التجار الروس في تبريز، وعندما اتخذت الأهداف السوفيتية وجهة سياسية أصبح محمد أمين حلقة اتصال

ومتعاوناً موثوقاً، إلى حد كبير.

وعين القاضي محمد السيد محمد أيوب بابان في منصب وزير الصحة، وكان شاباً في حوالي الثلاثين من عمره، ومن عائلة غنية، بدرجة أن وجدت لها مكاناً في الطبقة العليا، ولم ينل السيد محمد إلا القليل من التعليم المدرسي، إلا انه كان قد ثقف نفسه بنفسه، وأشرف على أكبر صيدلية في المدينة، تعود ملكيتها إلى أبيه، وكان قد انضم إلى الكومه له، بعد أكثر من سنة على تأسيسها.

وكان وزير الخارجية عبد الرحمن إيلخان زاده أمين حاجه بايزيد آغا، وعين ابن عمه اسماعيل آغا إلخان زاده وزيراً للمواصلات. وكان هذان النائبان لفرع بوكان من عشيرة ديبوكري، المنافسة عائلياً لآل القاضي، ضرورة سياسية لأمراء فيها. يدعي إيلخان زاده إياه، الآن أنهم وافقوا على ضم اثنين منهم إلى الوزارة، بضغط موجه من الملا مصطفى، الذي كان قد نزل آنذاك في بوكان مع فئة من أتباعه البارزانيين وكان عبد الرحمن آغا قد نال ثقافة دينية، ومن الأعضاء المبكرين، في الكومه له وأما اسماعيل آغا فثقافته مدرسية ضئيلة، ولم ينضم إلى الكومه له، حتى عام ١٩٤٤. وكان كلاهما في سن الخامسة والثلاثين.

وعين أحمد إلهي وزيراً للاقتصاد، وكان في سن الأربعين ومن إحدى عائلات الدرجة الثانية في مهاباد، التي تتخذ من العمل في التجارة المصدر الأساس لثروتها، ولم يكن هو ذاته ثرياً، إلا أنه كان متعلماً ومدركاً لأساليب التجارة الكردية، وكان عضواً مبكراً في الكومه له وفي بيته أدى القاضي قسم الحزب.

وأما وزير العدل فهو خليل خوسروي من عائلة مهابادية قديمة.

هبطت إلى المرتبة الاجتماعية الثانية، والمركز الاقتصادي المتوسط، والتحق بالكومه له بعد أربعة أشهر فقط من تأسيسها.

وأما كريم أحمديان، فقد تمَّ تعيينه وزيراً للبريد والبرق والهاتف والبالغ من العمر ٤٠ سنة من عائلة معروفة، ولكنه كان ضعيف الشخصية والنفوذ، وكان على أية حال، من أقرباء زوجة القاضي محمد، وحاجي مصطفى داودي وزيراً للتجارة في سن الخامسة والأربعين، وكان من إحدى العائلات الكبيرة المرموقة، وفي حديقته أسست الكومه له سنة ١٩٤٢، ولكنه لم ينضم إليها إلا بعد مرور سنة.

وكان الملا حسين نجدي وزيراً للعدل من أكثر ملاكي مهاباد علماً، وموضع احترام، ومع انه لم يمض على انتمائه للحزب غير بضعة أشهر فإن شهرته الدينية والشرعية جعلته مرشحاً قوياً لوزارة العدل، وكان محمود آغا إيزاده أصغر الوزراء سناً وعمره (حوالي ثلاث وعشرين سنة)، وقد تخرج من معهد الزارعة العالي في كرج قرب طهران، ولذا اعتبر مؤهلاً لتولي منصب وزير الزراعة، وهو من إحدى عائلات الدرجة الأولى وانضم إلى الكومه له سنة ١٩٤٣، وبشكل عام، فإن الحكومة الكردية كانت تمثل الطبقة العليا في مهاباد والمناطق المحيطة بها، وكانت ميولها السياسية والاقتصادية محافظة كما يتوقع من جماعة من ملاكي الأرض، إلا أن نظرتها الاجتماعية والثقافية كانت معاصرة نسبياً بالمقاييس الكردية، بالرغم من أن الوزارة مثلت تمثيلاً لا بأس به الحركة الكردية القومية المنظمة ومنطقة مهاباد، إلا أنها تركت منطقة رضائية المهمة في الشمال، ومنطقة سقز سردشت إلى الجنوب، وإنها لم

تشمل بطبيعة الحال أي مندوبين من كردستان الكبرى، خارج حدود الجمهورية. وإن فشل الوزارة في ضم بعض العناصر العشائرية المهمة، لم يعن أن فريقاً صغيراً من أهل المدن الكردية في مهاباد، كان يفرض إرادته بشكل كيفي على الكل، إذ أنه على الرغم من وجود فكرة انتخاب جمعية ممثلة للشعب فيما بعد، كنت ترى أثناء ذلك أن زعماء القبائل الذين كانوا يسيطرون على مناطقهم، بتدخل قليل أو بدون تدخل من العاصمة الكردية. وبالإضافة إلى ذلك فإن القاضي محمد والوزارة لم يتخذوا قرارات مهمة ذات طبيعة عسكرية أو سياسية بدون استشارة الزعماء البارزين من أمثال عمر خان أشكاك ورشيد بك هركي والملا مصطفى البارزاني. وهكذا نجد أن القوى التنفيذية للجمهورية، كانت في الواقع، إن لم تكن نظرياً غير مركزية ومتشعبة، ومقوماتها العشائر والشخصيات ذات النفوذ التي بقيت على توازنها في رئاسة القاضي محمد القائمة على نفوذه وشخصيته وتمتعه بالتأييد السوفييتي. وإن حقيقة أداء هذا الكيان المقام على عجل لمسؤولياته بمثل تلك الكفاية والمساواة مردها بشكل رئيس إلى قيادته القديرة المتحمسة، بشكل خاص قيادة القاضي محمد، الذي أظهر تعقلاً عندما ترك السيطرة الإقليمية للعشائر.

# الفصل التاسع

## ٩ آذار
## القضية الإيرانية

لم يمض وقت طويل بعد الغزو الروسي البريطاني لإيران في آب ١٩٤١، وتنازل رضا شاه عن العرش في أيلول، حتى بدأ السير ريد ريوبولارد، السفير البريطاني في طهران بمفاوضة الحكومة الإيرانية، لوضع معاهدة تقيم الأساس الشرعي للاحتلال المزدوج[٢٧]، ولقد حمل معه لهذا الغرض مسودة معاهدة أعدتها وزارة الخارجية البريطانية، ووافقت عليها الحكومة السوفييتية، وبعد عدة تعديلات للمحافظة على المصالح الإيرانية، صودق أخيراً على المعاهدة من قبل المجلس فوقعت في ٢٩ كانون الثاني ١٩٤٢[٢٨]. وقد نصت المعاهدة على أن وجود الجيوش الحليفة في إيران لم يشكل احتلالاً عسكرياً، كما أنها سوف تتجنب إلى أقصى حد ممكن المس بالإدارة وقوات الأمن الإيرانية والحياة الاقتصادية للبلاد وتنقلات السكان العادية، وتطبيق القوانين والأنظمة الإيرانية، إلا أنه خرقت بعض الأعمال خلال فترة الحرب في أذربيجان وكردستان،

بشكل واضح، هذا الجانب من المعاهدة، إلا أن أحد البنود مكن إيران من تقديم شكوى إلى مجلس الأمن في ربيع سنة ١٩٤٦، وقد تضمن ذلك البند التأكيد على خروج جميع القوات العسكرية الأجنبية من الأراضي الإيرانية قل ٢٢ آذار سنة ١٩٤٦. وحيث أن الجيوش السوفييتية لم تبد حراكاً في ذلك التاريخ، قامت الحكومة البريطانية في ٤ آذار بتقديم شكوى رسمية إلى الاتحاد السوفييتي، وبعد يومين اتخذت حكومة الولايات المتحدة إجراءاً مماثلاً. وبعد ذلك بقليل أخذت تتوارد على العواصم العربية تقارير بأن القوات السوفييتية في أذربيجان، بدلاً من الانسحاب كانت تعزز بألوية مدرعة، تتمركز على الطرق المؤدية إلى طهران والحدود المراقبة التركية. وقد بعثت مذكرة إلى موسكو (في ٩ آذار) عكست قلق الولايات المتحدة الشديد، إذ بدأ الناس يدركون المسؤولية الرئيسية لصد التوسع السوفييتي الذي انتقل من لندن إلى واشنطن، وأن تصلب الموقف الأميركي ظاهر في نيويورك أيضاً، حيث أن مجلس الأمن على وشك الانعقاد، وكان السفير الإيراني حسين علاء يسعى إلى تأييد واسع النطاق لبلاده. وعندما سارت الأحداث على هذا المنوال تراجع الاتحاد السوفييتي فجأة عن موقفه وأعلن غروميكو في ٢٦ آذار أن القوات السوفييتية، ستغادر إيران خلال خمسة أو ستة أسابيع، ما لم تستجد ظروف غير معلومة، وفي ٤ نيسان عقد قوام السلطنة رئيس وزراء إيران والسفير السوفييتي أي جي سا. دجيكوف اتفاقاً أكد فيه تصميم السوفييت على سحب قواتهم قبل ٦ مارس وأعلن شروط اتفاقية لإنشاء شركة نفط إيرانية سوفييتية مشتركة سترفع إلى الدورة الخامسة عشر للمجلس للتصديق عليها

خلال سبعة أشهر، اعتباراً من ٢٤ آذار، وفيما يتعلق بأذربيجان، نظراً لأنها مسألة إيرانية داخلية، فإن ترتيبات سلمية ستوضع من قبل الحكومة الإيرانية وشعب أذربيجان(٢٩).

باستثناء عدد قليل من الأذربيجانيين، حيث أن أهالي أذربيجان وكردستان لم يدركوا آنذاك أن الاتحاد السوفياتي، قد قرر مصيرهم بشكل معاكس للتأكيدات الخاصة المقدمة خلال السنة الماضية، مقابل إمكانية الحصول على امتياز للنفط.

ولم يكن مشروع النفط السوفييتي سوى نسخة جديدة من مخطط قدم في خريف سنة ١٩٤٤، عندما طلبت الحكومة السوفييتية حق التنقيب في معظم مناطق شمال إيران، والحصول على امتياز باستثمار النفط في رقعة واسعة جداً، إذا ما رغبت ذلك فكان رد الحكومة الإيرانية إشارتها إلى قرار وزاري يمنع رفض أي طلب للحصول على امتيازات نفطية، حتى انتهاء الحرب، إلا أن الوزارة تعرضت لتهجم شديد شنته عليها الدعاية السوفييتية، الأمر الذي أدى إلى استقالة رئيس الوزراء، وقد صادق المجلس الذي أفزعته حملة الدعاية السوفييتية فوراً، على قانون يمنع منح أية امتيازات نفطية لدول أو شركات أجنبية، أو البحث معها فيه. وقد تحول السوفييت الذين سد في وجههم طريق الامتيازات النفطية عام ١٩٤٥، إلى الحركتين الإنفصاليتين الأذربيجانية والكردية، ثم عادوا ثانية عام ١٩٤٦ إلى امتيازات النفط التي كانت في نظر السوفييت مجرد طرق من نوع آخر تؤدي إلى الهدف نفسه، وهو باتجاه عام نحو الخليج، لعل قوام السلطنة اخترق نصوص القانون الإيراني بذكر النفط في اتفاقه مع ساد جيكوفالا أنه أمن مقابل تعهده

الغامض التعابير التخلص من أداة النفوذ السوفييتي في إيران، والمتمثلة في الاحتلال الفعلي لأجزاء حيوية من البلاد.

## في تبريز

في آذار ١٩٤٦، كان لا يعرف إلا بالكاد أن أذربيجان هي مركز الاهتمام في واشنطن ولندن ونيويورك وموسكو، تضم فيما ادعته لنفسها من أراضٍ لدولة كردية صغيرة في طرفها الجنوبي والغربي. إلا أن الأمور في مهاباد تسير على كل حال، أسرع مما توقعه الروس، بعد تشكيل الوزارة بزمن قصير، ألح الدكتور أسادوف العامل في المستشفى الروسي على عضوين كرديين حزبيين بارزين هما محمد أيمن شريفي وخليل خوسرفي، أثناء وجودهما في تبريز، في مهمة شخصية وحزبية، أن يفسرا سبب إعلان الأكراد واستقلالهم وتكوينهم حكومة، بدون أخذ إذن السوفييت مقدماً، وقد طلب الروس الذين لم يقتنعوا بالرد من القاضي محمد أن يحضر إلى تبريز لمقابلة بيشوارى. وفي تبريز ذهب جعفر بيشوارى رئيس الحكومة الأذربيجانية إلى (غراند أوتيل)، ليتحدث إلى رئيس الجمهورية الكردية وكان دفاع القاضي محمد بسيطاً، علماً أن برماكوف الممثل السياسي السوفييتي من تبريز مطلع على النوايا الكردية قبل ٢٢ كانون الثاني، وعلاوة على ذلك رؤيته مراسيم إعلان قيام الجمهورية من سيارة الجيب، الواقعة بالقرب من ساحة جوارجرا. وكان برماكوف قد أنكر سابقاً تخويله أية جهة صلاحية إنشاء دولة كردية، إلا ان حجج القاضي محمد كانت مقنعة، لدرجة أنها أرضت الجنرال أتاكجيوف وأسكتت بيشوارى في وقته، وبعد

ذلك عاد القاضي محمد إلى مهاباد، ليسير قدماً في ترسيخ كيان الجمهورية، الذي كان من أهم عناصره تكوينه قوة عسكرية يسودها الضبط.

ولم يمض وقت طويل بعد تشكيل الوزارة، وفي أواخر شباط ١٩٤٦، حتى وصلت إلى مهاباد شحنتان تتألفان من (٥٠٠٠) قطعة من الأسلحة السوفييتية من ضمنها البنادق والرشاشات ومسدسات من ماركة برنو وكولد. ولم تسلم أية دبابات أو مدافع ميدان، رغم الوعود السابقة، إلا أن الروس بدلاً منها، زودتهم بأسلحة مضادة للدبابات، وقناني البنزين المزودة بالفتائل. وقد خزنت معظم هذه الأسلحة مؤقتاً في مهاباد، في مستودعات دائرة التبغ وبانتظار تشكيل الجيش الكردي. ثم وصلت هدية سوفييتية أخرى بعد شهر، وكانت عبارة عن طاقم كامل من الآلات الموسيقية لعزف المارشات والسلام القومي الكردي، الذي وضع كلماته قبل ذلك بزمن قصير الشاعر (هزار)، ولحنه اثنان من الوزراء هما مناف كريمي ومحمود إيلخاني زاده. وكان اللحن مزيجاً من النغم الإيراني - الكردي والإيقاع الغربي. تضمن البيت الأول الذي كان اللازمة (أو المذهب حسب التعبير الموسيقي) في الوقت نفسه التمجيد المتوقع للوطن الأم - والعلم والقائد (بيشوا)، القاضي، إلا ان بيتاً آخر أثار الانتباه لإعلانه مطامح الجمهورية الإقليمية:

نفطي ماء الحياة
سعرت ومن كرمنشاه
بابا كركر (كركوك) تعلم
اننا نملكه في الموصل أيضاً

# الفصل العاشر

## البارزانيون في مهاباد

كان قسم كبير من الجيش الكردي آنذاك مهيأً، ومع أن القادة البارزانيين كانوا قد زاروا مهاباد عدة مرات منذ دخولهم إيران في تشرين الثاني عام ١٩٤٥، إلا أن القسم الأعظم من رجالهم ونسائهم وأطفالهم قد نزلوا في المنطقة الواقعة شمال غربي المدينة الممتدة نحو الحدود العراقية من خانه إلى أوشنافيه، في حين أن طليعة منهم كانت قد استقرت في مدينة قم قله الديهبوكريه، الواقعة على جومي سوج بولقية، على بعد عشرة كيلو مترات شمال مهاباد.

وفي أوائل آذار جلب الملا مصطفى القسم الأكبر من رجاله المقاتلين مع عائلاتهم إلى مهاباد إلى أن تجمع فيها حوالى (٣٠٠٠) شخص. وبعد ذلك أسس مقره العسكري في مكان يستعمله الآن فندق جهان نوما، وكان أحد بيوت المدينة التي أشغلها البارزانيون مسكن البعثة التبشيرية الأمريكية، التي تركته بعدها خالياً والمس (داهل خانم) حبيبي التي كانت قد انتقلت مع عائلتها إلى طهران في آب سنة ١٩٤٥، عندما لاحظت اتجاه القومية الكردية الموالي للروس

وشعرت بأن وجودها في مهاباد، قد يسبب إحراجاً للقاضي محمد.

وفي مهاباد كان سلوك الـ(٣٠٠٠) بارزاني سلوكاً حسناً، ولم يختلطوا كثيراً بالسكان المحليين، لعدم وجود صلة مشتركة واسعة، بينهما في مجال اللغة والثقافة، وفي أثناء ذلك أقبل الملا مصطفى على إقناع الروس، بتبديل نظرتهم إليه، واعتباره من مؤيديهم. ومع أنه كان حريصاً على عدم مس مشاعر القاضي محمد، إلا أنه تحدث مع قليلين من أصدقائه، عن اعتقاده بأن رئيس الجمهورية كان يكيد ضده عند الروس. ويذكر بعض الذين كانوا هناك في ذلك الوقت أن الملا مصطفى كان يدعي بدهاء أن التأييد السوفييتي ضمن وجود جمهورية كردية. ومع أن شخصاً أو شخصين لا يشاطرانه اعتقاده إذ يعتقد بأن الولايات المتحدة وبريطانيا لن تعترفا ببقاء دولة كردية واقعة تحت النفوذ الروسي، إلا أن الملا مصطفى بقي غير مقتنع، وبعد أشهر قليلة أظهر أنه كان يدرك أين وكيف تقرر في الواقع مصير الجمهورية.

## تبريز مرة أخرى

قد يكون من المفروض أن محادثات القاضي محمد مع بيشاورى في شباط قد أقرت حق أكراد أذربيجان في الحكم الذاتي، إلا أن الأتراك الأذربيجانيين، تمسكوا برأيهم القائل بأن الأكراد يجب أن يتمتعوا بحكم شبه ذاتي فقط، ضمن حكمهم الذاتي، وفي أواخر آذار أرسلت المصادر الروسية في تبريز إشعاراً إلى القاضي محمد بوجوب مجيئه مع زعماء أكراد آخرين إلى تبريز، إلا أنهم لم يخبروا بأنهم قد دعوا لمقابلة ميرزا ابراهيموف وزير التربية في أذربيجان السوفييتية.

والجنرال قوليوف من باكو. ولذلك وجد رئيس الجمهورية القاضي محمد، ورئيس الوزراء حاجي بابا شيخ، ووزير الحربية، وسيفي القاضي وزير التربية، ومناف كريمي، ووزير الصحة ،وسيد محمد أيوبيان، وعبدالله قادري، زعيم عشيرة مامش، وقدري وكاكه سوار، من مانكور، وكاكا حمزة أمير أشايري من مامش، أنفسهم في تبريز، حيث تلا عليهم ابراهيموف موعظة عن فوائد اتحاد الأكراد مع أذربيجان إلى الوقت الذي يصبح فيه ممكناً تحرير الأكراد في العراق وتركيا، لفسح المجال أمام تكوين دولة كردية أكبر حجماً وأرسخ كياناً. وتساءل ابراهيموف قائلاً: من أعطى الأكراد إذناً بتأسيس حكومة خاصة بهم؟ وكان الجواب السابق بأن القضية قد سويت مع برماكوف، إلا أن الروس كانوا مصرين على رأيهم لدرجة أن القاضي ضعف وأعلن أخيراً بأسلوبه المجازي المعتاد بأنّ الرجل المريض يجب أن يفعل ما يقرره الطبيب. ولم يوافق سيفي القاضي وحاجي بابا شيخ على ذلك، وكان ردهما منطقياً، حين قالا: أنتم الروس أكثر منا تقدماً ولذلك أطعناكم، أما إذا ألححتم على تسليمنا إلى أناس يسبقوننا في مضمار التقدم فإننا لا نجد مبرراً إلى إطاعتكم. وإذا كانت المسألة مسألة أكراد ينضمون في حالة ضعفهم إلى دولة أكبر فلماذا لا نتحد مع إيران؟ وطلب الروس من الوفد أن ينتظروا أربعاً وعشرين ساعة، ليحصلوا خلالها على تعليمات من باكو. وجاء الرد في الموعد المحدد، متضمناً أن بإمكان الأكراد أن تكون لهم حكومتهم، وخلال هذه الزيارة إلى تبريز أهدى الروس إلى القاضي محمد سيارة سوداء من صنع روسي. ولم يمض وقت طويل على هذا الاجتماع حتى اضطر إلى الإسراع من مهاباد إلى

ميان دوب، لمنع تطور وتحوّل اصطدام حدث بين أكراد عشيرة شيخ اغاي وأتراك أذربيجانيين محليين، إلى صراع على نطاق واسع. ولم يكن هذا آخر نزاع بين أنصار الجمهوريتين، كما لم تكن رحلة ابراهيموف إلى تبريز آخر مرة يمارس فيه الضغط السوفييتي لصالح التوحيد والمفاوضة.

## جيش مهابادي

بعد تعيين سيفي القاضي وزيراً للحربية، بقليل، اتخذت الخطوات لتنظيم جيش كردي إلى جانب البارزانيين والمجندين العشائريين الإيرانيين، الذين كان من المفروض أن يكونوا مستعدين للدفاع عن الجمهورية، ومن الصفات الدائمة للحركة الكردية القومية أن تلك العناصر الحضرية التي تمارس النضال عن طريق تنديدها بالحكومات المركزية، ومطالبتها بشتى الأمور، هي أقل الفئات الكردية قدرة على تحدي الحكومات، وانتزاع التنازلات منها في حين كانت للعشائر أحياناً وسائل الثورة والانفصال متمكنة من الوصول إلى نتائج مهمة، إلا أنها برهنت على كونها غير مستقيمة وغير موثوق بها فيما يتعلق بولائها القومي. لذلك كان قادة الجمهورية الكردية مصممين على تكوين قوة عسكرية خاضعة لنظامهم، وواهبة نفسها للقومية والدولة حسب مفهومهم عنها.

وكان القاضي محمد نفسه مع سيفي القاضي قد عين ذوي الرتب من ضباط الجيش الجديد المعتمدين بصورة رئيسية على المدينة والمقاطعة المجاورة لها، كما نال الزعماء العشائريون رتب شرف، وبقيوا مع رجالهم لا يقبضون إلا الرواتب، ولا يعترفون بسلطة

مهاباد العليا، وأصبح في جيش مهاباد (في أوج قوته) ٧٠ ضابطاً في الخدمة الفعلية يعاونهم ٤٠ ضابط صف و١٢٠٠ جندي، ونسب الكثير من الضباط للقيام بمهام إدارية في الحكومة، وكان مع قوات مهاباد (وبعد ذلك مع البارزانيين في الجبهة) اثنا عشر شاباً، كانوا في الجيش العراقي[٣٠] الذين رافقوا الملا مصطفى، أو بمعنى آخر، انضموا إلى الجمهورية الكردية والعديد من هؤلاء بارزانيون، والآخرون كانوا ضباط ارتباط، عينوا من قبل نوري السعيد وماجد مصطفى ليبحثوا المطالب الكردية في شمال العراق، من بينهم العقيد مصطفى خوشناو والرئيس محمد محمود اللذان عملا كمستشارين لشؤون التدريب، في حين عمل الآخرون كقادة للقوات الكردية على الجبهة الجنوبية. وقد وصل إلى مهاباد في شهر آذار الرئيس صلاح الدين كازيموف من الجيش السوفييتي، ليساعد على تنظيم وتدريب الجيش الكردي القومي، وسرعان ما عين عقيداً في الجيش الجديد، ولقبه أصدقاء الأكراد بلقب (كاكا آغا)، وكان التدريب في مهاباد بدائياً ومتنوعاً، فإضافة إلى التدريب العادي واستعمال البنادق والرشاشات والتعليمات حول استعمال القنابل اليدوية، علم بعض المجندين كيفية قيادة سيارات النقل الكبيرة، وكان عشرة منها من صنع سوفييتي، جلبت من وكالة التجارة السوفييتية في تبريز وعشرة سيارات نقل حمولة أخرى، كانت وسائط نقل مصلحة عائدة لجيش الولايات المتحدة وعشر سيارات جيب تبرع بها الروس.

وفي اليوم الأخير من شهر آذار، أعلنت جريدة كردستان تعيين أربعة جنرالات هم محمد حسين سيفي القاضي وعمر خان شكاك وحمه رشيد خان بانه والملا مصطفى البارزاني. وكان الملا مصطفى

أكبر هؤلاء الأربعة شأناً، بسبب القوات التي كان باستطاعته إنزالها إلى الميدان من حوالي (١٢٠٠) مقاتل متمرس في فنون القتال، وخاضع لضبط شديد. أما عمر خان (في حوالي الخامسة والستين من عمره آنذاك)، فلقد كان رجل كردستان إيران ـ الشمالية، الجليل المتقدم في السن، وله أتباع من الفرسان يبلغ عددهم (٧٠٠) فارس، في حين أن حمه رشيد خان، كان قد حاز على رتبة جنرال أثناء مناوشاته مع القوات الإيرانية في منطقة سقز من سنة ١٩٤٢، إلى ١٩٤٤ مع أنه كان لديه (٢٠٠) رجل فقط سنة ١٩٤٦، وأنه لم يكن في مهاباد وقت منحه الرتبة.

وقد منحت الرتب العسكرية الأخرى بتحفظ، إذ كان كاكا آغا ونانا فزاد، وعدد من ضباط الجيش العراقي السابقين، فقط نالوا رتبة عقيد، في حين أن رئيس أركان الجيش الشاب جعفر كريمي من ديهبوكري مهاباد، كان مجرد رئيس أول، كما كان ستة من الأشخاص المتنفذين الآخرين. وكان أعضاء اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكردستاني، ومعظمهم وزراء، يرتدون رتبة مقدم فخرية، عندما يظهرون بالزي العسكري على الطراز الروسي إذ أن الرئيس الأول محمد شريفي، كان قد ذهب في شهر آذار إلى تبريز لشراء القماش للأزياء العسكرية، وكذلك الأزرار والعلامات والإشارات الحاملة للشعار الكردي. وفي شهر نيسان أصبح تقريباً كل الناس المرتبطين بالحكومة الكردية قادرين في الأوقات المناسبة في الظهور بمظهر الضباط السوفييت، بملابسهم الخاكية، والأحزمة وسراويل الركوب والقبعات، وكان العديد من زعماء العشائر يرتدون زياً مماثلاً. وأصبح ذلك الوقت في الواقع وقت العمل

والربح الوافرين بالنسبة للخياطين في مهاباد ورضائية، وبطبيعة الحال، فإن تبريز أكثر حركة، حيث كانت الحاجة إلى الملابس العسكرية أكثر كمية لعدد قوات أذربيجان الكبير.

وفي الوقت الذي شهد شهر آذار ميلاد التنظيم العسكري الكردي، كانت عدة جماعات ذات صبغة عشائرية، وموجودة في المقدمة قد اتخذت مواقع نحو الجنوب في منطقة سردشت، التي كانت تحرسها قوات ذات قدرة محدودة من الجيش الإيراني. خلال الأسبوع الثاني من شهر آذار، وقع صدام مسلح على نطاق ضيق عندما أغار زيرو بك، وقسم من أتباعه الهركيين ساندتهم قبائل محلية على عدة قرى، كان للجيش الإيراني مواقع أساسية فيها، وكان الهجوم الذي اشترك فيه حوالى (٢٠٠) كردي، عملاً خاطئاً، ولم ينل موافقة الحكومة مسبقاً ففشل. وبعد شهر وفي ٢١ نيسان بالضبط، عززت حامية سردشت بفوج من الجنود الإيرانيين، إلا أن الجبهة الكردية كانت بدورها قد عززت أيضاً في ذلك الوقت.

# الفصل الحادي عشر

## التبغ

كان واضحاً في شهر مايس، أن ديناميكية جديدة قد دبت في مهاباد، إذ كان أعضاء الوزارة التي كانت في الجوهر اللجنة السياسية للحزب الديمقراطي الكردستاني، يعملون منفردين أو مجتمعين خلال ساعات الليل والنهار، بنشاط متواصل غير مألوف لدى أفراد الطبقة العليا، أنهم كانوا يشغلون مراكز حكومية، مقابل رواتب تكاد تفسر سبب حماسهم المنقطع النظير، كان يترأس اجتماعهم الذي كان يعقد يومياً تقريباً، والقاضي محمد رغم كونه رئيس الجمهورية، وليس رئيس الوزراء عندما تشكلت الحكومة، خصص الحزب له مرتباً شهرياً مقداره (٣٠٠٠) تومان أي حوالى (٧٠٠) دولاراً إلا أنه لم يقبل بأية أجور مقابل خدماته. ولقد تسلم الوزراء (٢٨٠) تومان أي (٦٥) دولاراً شهرياً، لأن ظروف الجمهورية الاقتصادية أو خزينتها كانت مرهقة إرهاقاً خطيراً، إذ أن محصولات السنة الماضية الزراعية كانت جيدة كما أن عدداً من المواد الباهظة الثمن كالسلاح والعتاد والمطبعة، وبعض وسائط النقل الميكانيكية قد زودت بدون مقابل من الاتحاد السوفييتي. وكانت الضرائب لا تزال تجبى من قبل

الموظفين السابقين للوزارة المالية الإيرانية، تحت إشراف أحمد علمي، وكانت المبالغ المتجمعة من الضرائب تذهب إلى الخزينة الحكومية؛ الخزينة التي كانت في أيدي علمي وشركة تراقي الأمينة والأخيرة شركة تجارية رسمية مسيطرة على أعمال الجمهورية التجارية الخارجية، ومن بين أعضاء هيئتها الإدارية حلقة الوصل الروسية محمد أمين موريني، وزير الداخلية، وكانت قد أبرمت صفقة تجارية خلال عهد الجمهورية بيع محصول سنة ١٩٤٥ من التبغ الذي اختزن في أوائل سنة ١٩٤٦، في مخازن دائرة انحصار التبغ في مهاباد، وكانت دائرة الانحصار الإيرانية قد دفعت ثمن ١٠٪ بالمائة من التبغ، إلا انها لم تقم بأية خطوة من أجل إكمال شرائه، لهذا أرسل القاضي محمد، في أواخر شهر نيسان أمين شريفي إلى تبريز، حيث أبلغ الروس عن طريق الدكتور سمادوف بأن التبغ الكردي كان جاهزاً للبيع، أصغى الدكتور سمادوف بجد إلا انه اوصى بمعالجة حذرة وتصحيحية للمشكلة، تكون الخطوة الأولى فيها إرسال الموظفين الأكراد برقية إلى طهران، يطالبون فيها بتسديد ما تبقى من ثمن التبغ، ويجب إرسال نسخة من البرقية إلى صدري القاضي ليمثل مهاباد في المجلس الإيراني، وإذا لم يرد أي جواب خلال خمسة أيام، سيرسل ضابط تجاري سوفييتي اسمه أكابيكوف من طهران إلى كردستان لبحث شراء التبغ.

بهذا الشكل، جرى في أوائل مايس شراء التبغ الكردي بأكمله بثمن مقداره (٨١١,٠٠٠) دولاراً، ووقع بالعملة الإيرانية، وعلى شكل بضائع روسية كالسكر والأقمشة القطنية وآنيات زجاجية وخزفية، مع أن السعر المدفوع أقل من السعر المحدد من قبل

دوائر انحصار التبغ الإيرانية، إلا أن الوارد الكلي كان أكبر مما كان مقدراً له أن يكون بموجب النظام القديم، وذلك لأن الوزن الدقيق أظهر كمية من التبغ أكبر مما كان مسجلاً لدى الموظفين الإيرانيين. زد على ذلك عدم وجود حاجة لوكالات لا ينص على قيامها القانون لإكمال الصفقة التجارية مع وكالة التجارة السوفييتية، وأخيراً بقي ثمن الـ(١٠) في المائة المدفوع من قبل طهران في مهاباد، ولم تسترجعه الحكومة المركزية، بعد ذلك قبل أيام قليلة من الانسحاب النهائي للقوات السوفييتية من أذربيجان، أطبق على مهاباد من مياندوب وتبريز طابور من اللوريات المحملة بالحمالين الأكراد خلال ثمانية وأربعين ساعة أخذ (١٨٧٥,٠٠٠) كغم من التبغ عبر نهر آراس، وبعد قليل تبعها الجيش السوفييتي نفسه.

## إيران وأذربيجان

بناء على ما قالته إذاعة موسكو، غادرت جميع القوات السوفييتية إيران في ٩ مايس إلا أن المرافقين المحايدين لم يستطيعوا التثبت من ذلك حتى مرور بضعة أيام كان الجلاء السوفييتي مشروطاً بإقامة علاقات مرضية بين حكومة أذربيجان ـ الذاتية ـ والسلطات الإيرانية في طهران، وبالتصديق النهائي من قبل المجلس الإيراني على تعهد تقديم امتياز نفطي في الشمال، أدرك الروس حال إزالة الضغط الممارس من قبل احتلالهم، لم يبق لهم إلا أمل قليل في الحصول على تصديق للامتياز النفطي، ما لم تحل أولاً المسألة الأذربيجانية، وكان رئيس الوزراء قوام قد أوضح بأن انتخاب مجلس جديد ـ

سيؤجل حتى تسترجع سلطة الحكومة المركزية في كافة أرجاء إيران.

مع أن ضغوط الأمم المتحدة والدول الغربية الكبرى، قد تدخلت بشكل جدي في مخططات السوفييت بالنسبة لإيران، فإن الوضع من جهة نظر الروس لم يكن ميؤوساً منه تماماً، لأملهم بأنه قد يكون بإمكان حزب توده في طهران، واماكن أخرى بمعية كتلة متراصة من ممثلي أذربيجان المفروض منهم، أنهم من مؤيديهم، دفع إيران داخل الفلك السوفييتي، إن هذه الاعتبارات وغيرها جعلت الاتحاد السوفييتي راغباً في إبرام اتفاقية بأسرع ما يمكن من حكومة أذربيجان وقوام. في ٢٨ نيسان وصل بيشاورى إلى العاصمة الإيرانية حيث أمضى الأيام الخمسة عشرة الثانية فيها نيابة عن كل من أذربيجان والمنطقة الكردية المتمتعة بالحكم الذاتي، والتي كانت مرتبطة معها بمعاهدة كان أساس ـ مفاوضاتها المنهج ذو النقاط السبع، الذي سبق لقوام أن اقترحه في ٢٢ نيسان والذي كان يعني، خاصة تأكيده على حق طهران في تعيين آمري الجيش والجندرمة في أذربيجان، والاستسلام الفعلي من جانب حكومة تبريز.

في ١٣ مايس، أصدر قوام بياناً حمل فيه الوفد الأذربيجاني مسؤولية انهيار المفاوضات، ونقلت عنه ملاحظته السديدة التالية:

بما أن القانون والاتفاق الذي توصل إليه مع الحكومة السوفييتية بخصوص النفط في شمال البلاد، يدعو إلى عقد دورة المجلس الخامسة عشرة خلال مدة سبعة أشهر من تاريخ توقيع الاتفاق، فإن الانتخابات العامة يجب أن تجرى في أقرب فرصة ممكنة. أنا أتوقع من الممثلين الأذربيجانيين أن يوفروا التسهيلات الضرورية... عاد بيشاورى إلى تبريز في ١٤ مايس، وأصدر تعليله لتوقف المباحثات،

بعد ان أشار إلى ان الحكومة الأذربيجانية، لم تعين وزراء للشؤون الخارجية، والحرب، أعاد تأكيد رغبة أذربيجان في البقاء داخل الأمة الإيرانية ولكن قوام حسب قوله طالب بالاستسلام غير المشروط، وجر بشكل يدعو للدهشة مسألتي النفط والانتخابات إلى طاولة المباحثات، ومع ذلك كان للاتحاد السوفييتي، كما كان للطرفين المتنازعين أسباب للرغبة في تحقيق تسوية المفاوضات، لذلك افتتحت المحادثات في تبريز في أواخر مايس، مثّل فيها الجانب الإيراني هذه المرة مظفر فيروز صديق قوام الموالي للسوفييت.

## الهجوم الكبير

بعد قهراواة حيث ألحقت القوات الكردية الهزيمة بفوج إيراني، بدون أن تتكبد أي خسارة، أخذ أعضاء الحزب الديمقراطي الكردي يتطلعون إلى آفاق جديدة، ويشجعون القادة السياسيين الأكراد والوحدات القبلية المطبقة على الجبهة الجنوبية على التفكير بالقيام بزحف عسكري نحو الجنوب، باتجاه كرمنشاه، لتحرير بقية كردستان إيران، وإلحاقها بالجمهورية، وفي ٢٠ مايس، هوجم فصيل استطلاع إيراني بقيادة الرئيس خوسرفي، وكان كردياً من سنندج من قبل جماعة بارزانية أثناء ما كان يستطلع خلف خط دفاع سقز وقتل الرئيس خوسرفي واثنان من الجنود، وهبطت على إثر ذلك إلى الدرك الأسفل معنويات القومية الإيرانية في المنطقة.

في أوائل شهر حزيران، كانت وحدات الجيش الإيراني المتمركزة في سقز تحت القيادة الشخصية لرئيس أركان الجيش الإيراني الجنرال رازمارا، الذي كان تحت تصرفه في البلدة والأماكن

المجاورة لها ما يعادل ثلاثة ألوية، أو حوالي (٥٠٠٠) رجل مدعومين بدبابات وطائرات قديمة العهد، بينما كان عدد الأكراد الموجودين في الجبهة أو قربها والمستعدين لهجوم موجه نحو الجنوب حوالي (١٣,٠٠٠) رجلاً مسلحاً، موزعين على خط يمتد من سقز إلى الحدود العراقية، وبما أن هذه القوة، كانت تمثل الحد الأقصى لموارد الجمهورية العسكرية، فإن تكوينها يكشف شيئاً عن قدرات القبائل في ذلك الوقت، إلا أنه يجب أن يكون مفهوماً قبل كل شيء، بأن تقاليد وتكتيك القتال الكردي، ذا أثر ملحوظ على قوة الهجوم الكامنة للقوات الكردية، وكما كانت الحال في أوربا حتى القرن التاسع عشر كان المحارب الكردي الذي صور كشكل مثالي خيالاً يحمل السلاح الشائع في وقته، وقد أبدى عامة الرحالة الغربيين إعجابهم بفنون الفروسية عند رجال القبائل الأكراد الذين كانوا ينزلون إلى ساحة المعركة برماحهم وخيولهم الصائلة الجائلة. إلا أن بعد سنة ١٨٨٠ عندما بدأ استعمال البندقية المارتينية، أصبحت حرب الخيالة عقيمة، إلا أن الناس على غرار ما هو معهود في أرجاء العالم، لم يغادروا تفكيرهم الحربي القديم ووسائله الرئيسية. كان من شأن حملة يشنها الفرسان الأكراد أن ترعب قوة ناقصة التسلح أو التنظيم، إلا أنها لا تستطيع أن تتغلب على مشاة يحملون بنادق سريعة الطلقات، تحميهم أرض كردستان الكثيفة التضاريس عن الأنظار فضلاً عن تسديد السلاح. أضف إلى ذلك، أن الحصان الذي يحمل الرجل داخل المعركة ضد العدو، ويستطيع الخروج منها بسهولة، على كل حال، فإن الزمن قد تغير. بالرغم من أن حملات الخيالة استعملت بشجاعة قبل بضع سنوات فقط، من قبل حمه رشيد خان، ومن

يدري، لعله، كانت هناك لازالت مزية للأساليب القديمة للحرب.

إن القيام بجرد أسماء القبائل وعدد ونوعية مقاتلي كل قبيلة على حدة، يدل على أن معظم القوات الكردية المتجمعة جنوب مهاباد سنة ١٩٤٦، يمكن تصنيفها كخيالة. إن هذا لا يعني على كل حال بأن أولئك الرجال كانوا سيقاتلون على ظهور خيولهم فقط، لأن حمايتهم أن يترجلوا من خيولهم في الظروف المناسبة، ويستفيدوا من غطاء طبيعي، إلا أن الخيالة الكردية لم تكن قوة مدربة ومجربة موثوقاً بها، فالأمر يعتمد إلى درجة كبيرة على كيفية سير المعركة في وقت معين، ونوعية القيادة الكردية.

وكان معروفاً على نطاق واسع أن البارزنيين يشكلون القوة الكردية الرئيسة، التي يحسب لها حسابها. فبعد سنوات من المناوشات مع جيرانهم ونصب الكمائن لوحدات الجيوش العثمانية والعراقية، أصبح البارزانيون أسياد الحروب الجبلية، حيث لهم القدرة المتناهية على البقاء بدون حركة، وعلى التواري عن الأنظار إلى أن تتحرك كامل قوة العدو إلى داخل نطاق كمينهم. كما أنهم كانوا قد ابتدعوا تكتيكاً ماكراً ضد مراكز الشرطة المعزولة دون تعريض رجالهم لنار العدو المباشرة من خلف الجدران، ويكمن سر الحروب الكردية بالتعرض لأقل الإصابات، مما يشجع رجال القبائل على الانضمام إلى مغامراتهم العسكرية الذين يزداد عددهم باضطراد، لكون الإصابات التي تحدث لهم لا تضرب بالمكاسب المعنوية والمادية، ومن طبيعة القبائل الكردية أنها لا تستطيع أن تحارب بشجاعة على بعد أكثر من منطقة قبيلة واحدة (أو على بعد يزيد عن الخمسين ميلاً) من منازلها، ويستثنى من تلك القاعدة البارزانيون عندما أخذوا مواقعهم على جبهة

سقز بسبب كفاءة قيادتهم المتمثلة في أشخاص شيوخهم والضباط السابقين في الجيش العراقي.

ويمكن وضع قائمة بأسماء القبائل التي اشتركت في تشكيل خط الدفاع في الجبهة الجنوبية، والعدد التقليدي لمحاربي كل قبيلة على حدة، ابتداء من القبائل الساكنة في أقصى الشمال.

| | |
|---|---|
| البارزانيون تحت قيادة الملا مصطفى | ١,٢٠٠ مشاة. |
| البارزانيون تحت قيادة الشيخ أحمد (لم يكونوا في الجبهة) | ٩٠٠ مشاة. |
| الجلاليون والميلانيون | ٤٠٠ خيال |
| الشكاك بزعامة عمر خان | ٨٠٠ خيال. |
| الشكاك بزعامة طاهر خان أبو سمكو | ٥٠٠ خيال. |
| الهركيون بزعامة رشيد بيك والبكزاده بزعامة نوري بك | ١٠٠٠ خيال. |
| هركيون بزعامة زيرو بيك | ٧٠٠ مشاة. |
| أتباع عائلة الشيخ عبد الله كيلاني بزعامة السيد فهيم | ٥٠٠ خيال. |
| رجال قبيلة زرزا بزعامة موسى خان | ٣٠٠ خيال. |
| قره بباغ (أتراك) بزعامة باشا خان خسرفي خان | ٥٠٠ خيال. |
| مامش من فرع كاكه عبدالله قدري | ٤٠٠ خيال. |
| مامش بزعامة كاكه حمزة نالوس أمير آل أشايري | ٥٠٠ خيال. |
| بيران بزعامة محمد أمين آغا وقرني آغا | ٣٠٠ خيال. |
| مانكور بزعامة عبدالله بايزيدي | ٣٠٠ خيال. |
| مانكور بزعامة سالم آغا أوجاق | ٢٠٠ خيال. |
| مانكور بزعامة علي خان وابراهيم سلاري | ٤٠٠ خيال. |

| | |
|---|---|
| سردشت كاوورك بزعامة كاكه علا | ٢٠٠ خيال. |
| مهاباد كاوورك بزعامة بايزيد عزيز آغا | ٣٠٠ خيال. |
| سقز كاوورك بزعامة علي جفا نمردي ومامند | ٣٠٠ خيال. |
| آغا وحاجي إبراهيم آغا | ٤٠٠ خيال. |
| خليط من قبائل سردشت | ٥٠٠ خيال. |
| قبيلة سوسني | ١٠٠ خيال. |
| ديهبوكري مهاباد بزعامة جعفر كريمي | ٤٠٠ خيال. |
| ديهبوكري بزعامة أغوت إيلخاني زاده | ٥٠٠ خيال. |
| (فيض) فيزالله بكي من بوكان وسقز | ٨٠٠ خيال. |
| عائلة بيد آغي سقز | ٢٠٠ خيال. |
| خليط من قبائل مهاباد وشاهنديز | ٣٠٠ خيال. |
| أتباع حمه رشيد خان بانه | ٣٠٠ خيال. |
| مجندون من مناطق جفانرود وأورمان جنوب الجمهورية | ١٥٠ خيال. |
| المجموع: | ١٢,٧٥٠ |

كانت هذه القوات القبلية بحاجة إلى نظام تموين، يوفر لها الطعام والسلاح، وفي هذا المجال أثبت جيش مهاباد النظامي حكمته فلقد خصص لكل مجموعة قبلية ضابطاً تضمنت مهامه تأمين الكميات الكافية من الطعام، لرجالها بالإضافة إلى إبلاغها بالتعليمات العسكرية، وهكذا تغلبت الجمهورية على عامل رئيسي من عوامل تمزيق الصفوف التي ترافق تحركات القبائل على نطاق واسع وهو الإغارة التي غالباً ما تؤدي إلى النهب.

## المفاوضات

كان الميجر جنرال رازمارا قد وصل إلى جبهة سقز قبل ٣ مايس، ليتولى قيادة وحدات الجيش الإيراني، ويتفاوض إن أمكن التفاوض مع الممثلين الأكراد، للإبقاء على الهدنة، وتأمين سلامة خطوط التموين، وكان لدى سقز ذلك الوقت، وفد أذربيجاني كردي مشترك يبحث مشاكل الحدود مع القائد المحلي. ويتألف أعضاء الوفد الكردي من المقدم عزت عبد العزيز من العراق، والرئيس الأول ابراهيم صلاح، ورئيس الأركان الكردي جعفر كريمي، من ديهبوكري مهاباد، أما الأعضاء الأذربيجانيون، ابراهيم علي زاده وخليل أزريه داكان وحسن جودت، وقد سبق لجعفر كريمي أن رتب قبل عدة أيام أمر فتح الطريق من سقز إلى الحاميات الإيرانية في بانه وسردشت موقتاً، إلا ان الجانب الإيراني أراد اتفاقاً مكتوباً ليضمن خطة التموين هذه وفي ٣ مايس، وقعت مثل هذه الاتفاقية بشرط أن لا تصبح نافذة المفعول إلا بعد تصديقها من قبل حكومة مهاباد. نصت المعاهدة على انسحاب القوات الكردية مسافة ٤ كيلومترات من سقز و٣ كيلومترات من الطريق المؤدي إلى سردشت وعلى وقف إطلاق النار، وتعيين ممثلين أكراد دائمين في بلدة سقز، مع أن القوات الإيرانية تعهدت بأن لا تتقدم شمالاً، فإن الشروط الأخرى كانت في صالحها، وعليه كان متوقعاً أن ترفض حكومة مهاباد تصديق الاتفاقية، رغم أن الأكراد شعروا بالخيلاء بسبب ما تضمنته اتفاقية الحدود مع القائد العسكري الإيراني من اعتراف ضمني بحكمهم الذاتي، ولم تكن لقادة الجمهورية أية نسبة لجر قواتهم إلى الوراء، تلك القوة التي كانوا يحشدونها استعداداً لهجوم باتجاه سنندج.

# الاتفاق الإيراني الأذربيجاني

في أثناء ذلك استمر الأخذ والرد في أواخر مايس، وأوائل حزيران بين بيشورى وفيروز حول النقاط العشر التي وضعها قوام في ٢٢ نيسان، وكان هدفها وضع أساس للتسوية بين الحكومة المركزية وحكومة أذربيجان، وخلال هذه الفترة عكس المسؤولن الأذربيجانيون موقفهم الرسمي، فيما يخص الحكم الذاتي لمقاطعتهم، سعياً وراء محاربة محاولات السفير الإيراني علاء في الأمم المتحدة، لإبقاء القضية الأذربيجانية على جدول الأعمال، وإذ بدأ فجأة موظفو وصحف باريس بالتأكيد على أن أذربيجان كانت دائماً جزءاً لا يتجزأ من إيران، وعليه فإن علاقتها بالحكومة المركزية، قضية داخلية بحتة، كانت الأصابع السوفييتية ظاهرة، عندما أخبر بيشوري كبار الموظفين الأذربيجانيين في ٢٧ مايس بأن الاتفاق مع الحكومة المركزية كان ضرورة قصوى، لأن الأمريكان والبريطانيين، يستغلون قضية أذربيجان للمكر بصديقنا الكبير الاتحاد السوفييتي[٣١]، إلى جانب رغبته في إزالة الضغط الغربي في الأمم المتحدة. كان الاتحاد السوفييتي يريد اتفاقاً، يسمح بإجراء الانتخابات في إيران التي يتوقع أن تفوز فيها تشكيلة لا يستهان بها من النواب التودويين، وتستطيع التعاون مع التودويين الأذربيجانيين، لتأمين تصديق اتفاقية النفط السوفييتية الإيرانية. وأخيراً، وقعت في ١٣ حزيران اتفاقية من خمس عشرة نقطة من قبل بيشوري ومظفر مبروز، تراجعت فيه الحكومة المركزية بعض الشيء عن مقترحات قوام في ٢٢ نيسان، وأعيدت أذربيجان ثانية بموجب نصوص الاتفاقية إلى الأمة الإيرانية، واعترف بمجلسها كمجلس مقاطعة.

كما نصت على أن يصبح المكلفون بخدمة العلم الأذربيجانيون جزء من الجيش الإيراني، على أن يقرر فيما بعد وضع الضباط الأذربيجانيين والتشكيلات العسكرية من قبل لجنة مشتركة، تضم ممثلين عن الحكومة المركزية ومجلس المقاطعة الأذربيجانية، وأعطت الاتفاقية الحكومة الإيرانية حق تعيين حاكم عام للولاية، تختاره من قائمة بأسماء مرشحين يضعها مجلس المقاطعة. ووردت الإشارة الوحيدة إلى الأكراد في المادة ١٣، التي اشترطت على الحكومة الموافقة على استفادة الأكراد القاطنين في أذربيجان من شروط هذه الاتفاقية، وفسح المجال لهم لتدريس اللغة الكردية، حتى الصف الخامس الابتدائي، بموجب المادة ١٣ من مرسوم الحكومة المؤرخ في ٢٢ نيسان وكان الكثير من نقاط الاتفاقية مبهماً، يعتمد تنفيذها على الجانب الذي يمارس فعلاً السيطرة في المنطقة، في وقت معين، ولم يذكر شيء بشأن تشكيل مجلس إقليمي في مهاباد، كما أن الحكم الذاتي الكردي لم يعترف به بأية صورة من الصور. والآن حيث الجيوش السوفييتية شمال نهر آراس، وأذربيجان جزء من إيران رسمياً، ولها حاكم عام اسمه سلام الله جاويد، معين من قبل الإيرانيين، تركت حكومة مهاباد متدلية، ووضعها غير مضمون بأي شكل من الأشكال. ومن هذه النقطة لم يبق للقادة الأكراد إلا أن يأملوا بأن نفوذ أصدقائهم ومستشاريهم السوفييت، سيعمل بشكل ما من أجل إدامة كيان الجمهورية. وكان مقدراً للموقف السوفييتي أن يزداد وضوحاً في الأيام القلائل التالية، إلا أنه كان مقدراً أن يكتسب أولاً اشتباكاً عسكرياً بين الوحدات الإيرانية المعززة في سقز والبارزانيين فوق البلدة.

# الفصل الثاني عشر

## حزيران
## مامه شاه

خلال النصف الأول من شهر حزيران، كان البارزانيون يتسللون تدريجياً إلى أعالي الجبال المطلة على سقز، من طريقها الشمالي الغربي، حيث اتخذوا موقعاً تهديدياً تجاه وسائط النقل الممونة للحاميتين الإيرانيتين في بانه وسردشت. وقد لاحظوا من هذه المرتفعات كل حركة تبرز من حركات الوحدات المعززة في سقز ذاتها. واعتبر الجنرال رازمارا، الذي كان قد تولى مسؤولية الجبهة شخصياً، قبضة البارزانيين الخانقة على بانه وسردشت، امراً لا يمكن السكوت عليه، وخاصة بعد أن بدأ الأكراد يتصيدون وسائط النقل السائرة على الطريق الترابية الممتدة في واد يقع تحتهم، ورأى ان عدم القيام بأي إجراء سيقضي على مصير الحاميات الموجودة، بالإضافة إلى إفساد تخمينات القبائل الكردية في الجنوب، التي تميل في الأصل نحو الإيرانيين، وهكذا صمم رازمارا، على شن هجوم ضد أقرب قمة يحتلها البارزانيون واسمه مامه شاه. وفي النداء الذي

وجهه إلى ضباطه، أوضح الجنرال رازمارا بأن شرف الجيش الإيراني، وعلى الأخص شرف الضباط، مرهون بنتيجة هذا الاشتباك. وفي الصباح المبكر من يوم ١٥ حزيران، بدأ فوجان تدعمهما المدفعية والدبابات والطائرات، يتسلقون بجرأة السفح الخفيف الانحدار نحو قاعدة قمة مامه شاه. وقد أجمعت المصادر الكردية والإيرانية على أن الهجوم الذي أعقب ذلك كان جريئاً، وجيد التنفيذ، كما أجمع الجانبان على أن البارزانيين كانوا عملياً محتجبين عن الأنظار بسبب انتقاء لون ملابسهم المنسوجة محلياً مع اللون الترابي لسفح الجبل، إلا أن جانباً واحداً من جوانب المعركة هو موضع خلاف. إذ تقول المصادر الكردية أن ثلاثة عشر بارزانياً كانوا يدافعون عن قمة مامه شاه، وهم مسلحون بالبنادق والرشاشات عند بدء القتال، وتضيف هذه المصادر بأن ثلاثين بارزانياً آ خر صعدوا إلى الجبل خلال المعركة لمساعدة الثلاثة عشر مسلحاً. أما مصادر الجيش الإيراني فتقول بأن حوالي ٥٠٠ و ٨٠٠ من رجال العشائر، كانوا يدافعون عن مامه شاه. وتتفق مصادر الجانبين على أن البارزانيين أبدوا ما اشتهروا به من ضبط الأعصاب، إلى أن أصبحت الأهداف قريبة جداً، ويقال إن خليل خوشوي كان قد أمر رجاله بأن لا يطلقوا النار حتى تصبح أهدافهم على مسافة ٢٠٠ ياردة، وأن تكون مسافة تصويبهم إلى ما فوق الخصر. وفي نهاية اليوم، كان الجيش الإيراني قد سيطر على المرتفعات، وبدأ البارزانيون القلائل بالتراجع. وقد فقد الجيش الإيراني ٢٢ قتيلاً و٤٠ جريحاً. ومع أن بعض المصادر الإيرانية تفيد بأن عدداً كبيراً من الأكراد أيضاً قد قتل، فإن المصادر الكردية تؤكد أن خسارتهم الوحيدة كانت مقتل خليل

خوشوي نفسه، الذي أصيب بعشر طلقات، ونقل إلى المستشفى الروسي في تبريز، حيث توفي بعد ذلك بيومين. وكان الملا مصطفى في تبريز عندما بلغه أن رحى المعركة كانت تدور بالقرب من سقز فتلا ببطئ أسماء الثلاثة عشر رجل المرابطين في مامه شاه، وتنبأ بأن خليل خوشوي لم يغادر الجبل حياً.

وبالنظر لموقع الأكراد الحصين في الجبهة الجنوبية في أواسط حزيران، فلا بد من العثور على تفسير فشلهم في شن هجوم مضاد واسع النطاق لنجدة البارزانيين في مامه شاه، وإعادة احتلال قمتهم. وكان العقيد مير حاج مع جماعة كبيرة من البارزانيين يحتلون في ذلك الوقت الجبال الواقعة غربي مامه شاه، ولكنهم عند بدء المعركة قرروا البقاء في مواقعهم، ليصدوا أية محاولة يخطر للجيش أن يقوم بها للتحرك غرباً، بغية الالتفاف حول خط المواقع الكردية بأكملها. ومن بين العوامل التي منعت الأكراد من دخول المعركة على نطاق واسع، فقدان قيادة موحدة لخط الجبهة، وصدور أوامر في السابق تطلب من الوحدات العشائرية الوقوف في حالة الدفاع وعدم المهاجمة للقوات الإيرانية، بدون إذن من مهاباد. ويبدو أن البارزانيين على قمة مامه شاه، تجاوزوا بزحفهم (إلى مواقع أمامية) التعليمات الصادرة إليهم، وكانوا قد تسللوا إلى أراضٍ أريد لها أن تكون خاضعة للجيش الإيراني، ريثما يشن هجوم عام أو تثبيت وضع كردستان بالنسبة لإيران.

وكانت معركة مامه شاه مرضية للطرفين على ما يبدو، فالجيش الإيراني سر تحقيق هدفه، فما كان يعتقده أنه استطاع التغلب على قوة هائلة من البارزانيين الأشداء المتخصصين في تلك القمة، مما

أدى إلى ارتفاع معنوياته، وذلك لأنه لم يعرف حجم الجنود الأكراد الموجودين هناك تماماً، أما الأكراد فلم يثبط من عزائمهم مقاومة حوالى ٤٣ من رجال القبائل نهاراً كاملاً، أوقعوا خلاله خسائر جسيمة بعدو متفوق عدداً، وعدة مقابل خسارة رجل واحد فقط. ولقد سأل الأكراد بعضهم بعضاً، هل يوجد بعد معركة مامه شاه أي شيء يستطيع الوقوف في طريق هجوم كردي عام باتجاه مامه شاه؟ ولم يتأخر الجواب طويلاً.

## الهجوم وما يتعلق به

كان افتراض الأكراد أن مستشاريهم السوفييت، يؤيدون خططهم الخاصة بالقسم الجنوبي من كردستان إيران ومن ضمنه مدينة سننَدج التي كانت تعرف سابقاً باسم (سنا)، وكان أسدوف حلقة الوصل الروسية السياسية، الذي بقى في مهاباد كضابط تجارة على علم بتحركات رجال العشائر الأكراد نحو الجبهة الجنوبية وبمخطط لشن هجوم في وقت ما خلال شهر حزيران، وقد كان مناف كريمي، وزير التربية الكردي، مع عدد من زملائه في طريقهم إلى سردشت ليصدروا أمر بدء المعركة، عندما تبدل الموقف فجأة، واستدعى إرسال رسول آخر لتغيير التعليمات الأولى. ولم تكن مصادفة أن توقع في ١٣ حزيران اتفاقية في تبريز بين بيشواري ومظفر فيروز، ومن الجائز أنها كانت تفسح الطريق أمام التغلغل السوفييتي في إيران على نطاق القطر. وبعد توقيع الاتفاقية بأسبوع، وبعد عدة أيام من بدء معركة مامه شاه، سارع هاشيموف القنصل السوفييتي في رضائية، إلى قرية سه سره، شمال سقز حيث التقى بالقاضي محمد والملا مصطفى، وعمر خان،

وشكاك ومير حاج، ومصطفى خوشناو. وقد قدّم هاشيموف بعبارات قوية إنذاراً، يتضمن أن الأكراد إذا ما واصلوا ضغطهم على الجيش الإيراني، تحت سقز، فمعنى ذلك أنهم يدخلون دائرة النفوذ البريطاني، الأمر الذي سيعتبر تهديداً للمصالح البريطانية النفطية الحيوية قرب كرمنشاه، ومن الجدير بالذكر، أن الروس أنفسهم في ذلك الوقت كانوا يسعون للحصول على امتياز نفطي، فيما اعتبروه دائرة النفوذ الخاصة بهم. وما قاله هاشيموف إن الأكراد إذا ما شنوا الهجوم، فيجب أن لا يتوقعوا بعد ذلك، الدعم السوفييتي لردع الجيش الإيراني، إذا ما هاجم الجمهورية على جبهة أخرى.

فتأثر القاضي محمد وزملاؤه بالإنذار، إلا أن التخلي عن الهجوم يجب أن تسبقه استشارات في المستوى الحكومي، لذلك عاد القاضي إلى مهاباد، وجمع زعماء العشائر وأعضاء اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكردي. وبعد إعادة النظر في إنذار هاشيموف أخبر القاضي المجتمعين بأن أمامهم ثلاثة حلول يجب عليهم اختيار أحدها، وهي: أن تتجاهل القوات الكردية التحذير الروسي وتهاجم سنندج، أو تطيع الروس، وتبقى حيث هي، أو تستسلم للحكومة المركزية وكان القاضي محمد يرى الالتزام بالحل الثاني، المستند إلى التأكيدات السوفييتية، لأن القائد العسكري الإيراني في الجبهة سيتسلم قريباً أوامر من طهران تسمح للقوات الكردية باحتلال القصبات الواقعة على الحدود. وبعد أن أتم القاضي محمد مطالعته التي دعت إلى التخلي عن الهجوم، ترك للمجتمعين حق إقرار ما يرونه مناسباً وقد خالف حاجي بابا شيخ رئيس الوزراء، وعلى ما كان معروفاً عنه من افتقاره للأصالة الشخصية، عندما وقف إلى جانب فكرة الهجوم،

وادعى انه يستطيع بمساعدة أربعة زعماء عشائريين، ورجالهم الزحف إلى سنندج. وأضاف بأن الروس إذا ما احتجوا على ذلك، فباستطاعة الحكومة الكردية أن ترد عليهم بأن حاجي بابا شيخ وعدد قليل من رجال القبائل قد خالفوا التعليمات، فتكون كردستان إيران بأكملها قد ضمت في ذلك الوقت إلى الجمهورية، إلا ان الأغلبية اخذت بفكرة الاعتدال، ولم يشمل هذا القرار شرفهم وشهرتهم الحربية، لأن بإمكانهم أن يوضحوا أن نتائج تجاهلهم لنصيحة حاميهم القوي ستؤدي بالجمهورية إلى الكارثة. ولعل بعض الزعماء العشائريين المجتمعين في مهاباد ذلك اليوم، رأوا في قرار الأغلبية مخرجاً سهلاً للتحلل من التزاماتهم بحرب لم يضمنوا نجاحها، ذلك لترسيخ الشكوك في نفوسهم من استطاعة القوات الكردية مجتمعة على اجتياح الوحدات الإيرانية على الجبهة الجنوبية، بيسر وبمساعدة العشائر الكردية في الجنوب المنجذبة نحوها احتلال بقية كردستان إيران، ولكن أين يكونون بعد ذلك، وكانت تبريز قد توصلت إلى تفاهم مع طهران لتعيد توحيد أذربيجان بالأمة الإيرانية، وبقيت الجيوش السوفييتية شمال نهر آراس، ولم تكن بأية حال من الأحوال، أكثر رغبة من أتراك تبريز الأذربيجانيين بعد تأييد هجوم كردي، لم يوافق عليه المسؤولين السوفييت. أضف إلى ذلك، أن عدداً من زعماء القبائل الشمالية كانوا قد بدأوا يشكون في حكمة قتال حاسم ضد القوات الإيرانية التي لم يكنوا لها أي حقد، في وقت كان العدو الحقيقي متاخماً لهم بشكل حكومة في تبريز، يقودها الشيوعيون، وكان مفهوماً لدى بعض الزعماء الأكراد الذين كانوا يستمعون إلى الإذاعات الأجنبية أن الحكومة الإيرانية لم تكن بدون أصدقاء أقوياء.

والآن، بعد التخلي عن فكرة الهجوم، قررت حكومة مهاباد أن تخطو خطوة اخرى بأن تجري محادثات هدنة مع القادة الإيرانيين في الجبهة الجنوبية، إذا لم تكن هنالك وسيلة أخرى لجعل القوات الإيرانية تنسحب من سقز وبانه وسردشت كما اقترح المستشارون السوفييت ومن يدري فهل بإمكان التسامح وضبط النفس إفادة الجمهورية.

## انفراج وهدنة

تسلم مناف كريمي وزير التربية، وهو في طريقه إلى سردشت تعليمات جديدة تلغي التعليمات التي كان يحملها، وتعطل الهجوم، فواصل سفره على كل حال إلى سردشت، حيث نصح قبل كل شيء القوات الكردية بعدم شن الهجوم، ثم أمضى هناك أسبوعين، زار خلالهما الضابطين الإيرانيين المعينين في المدينة، وهما الجنرال أيودم، والعقيد بيتريسكيان، وكان الجو ودياً واقترح الضابطان الإيرانيان وجوب قيام الأكراد الإيرانيين سوية بمهاجمة وإزالة الحكومة الأذربيجانية اليسارية.

وفي الوقت الذي مال إلى هذه الخطة العديد من الأكراد وزعمائهم، فلم يكن لأعضاء اللجنة المركزية للحزب، ميل كبير إليها، وفي أثناء ذلك كانت تجري مفاوضات أكثر جدية بين القاضي محمد والجنرال رازمارا في قرية سه ره. وافق القاضي محمد الذي كان يضغط عليه المستشارون الروس ليكون مرناً في تعامله مع الموظفين الإيرانيين، على هدنة، تم بموجبها فتح طريق تموين بانه وسردشت، ووضع ثلاثة ممثلين أكراد في سقز هم

حاجي بابا شيخ والشاعر هزار وحاجي محمود آغا، وفي سقز بقي الثلاثة حتى النهاية ينتظرون بدون جدوى، تعليمات إيران إلى قائد الحامية الإيرانية للتخلي عن القصبات الواقعة في حدود الجمهورية.

# الفصل الثالث عشر

## ١٣ تموز
## الأوضاع في الجمهورية

حل شهر تموز بجو طبيعي مشبع بالتضليل، بعد التخلي عن مخطط الهجوم في أواسط حزيران، وكانت الوحدات العسكرية المعززة في الجبهة الجنوبية، والتي فقدت حماسها الحزبي، بدأت تعود على مهل إلى الشمال مثقلة بذلك كاهل الفلاحين الذين كانوا يجبرون على تموين رجال الجبهة لفترة طويلة من الزمن، رغم التموينات من قبل الحكومة، وعلى إثر ذلك حل البارزانيون الأشداء محل فرسان العشائر بعد انسحابهم، وتركهم الثغرات في خط الدفاع، إلى جانب اعتبارات اخرى تدعو إلى توزيع قوة الفرسان العشائرية، وباتت الحكومة، ومستشاروها السوفييت، يشكون في ثبات العديد من زعماء العشائر على ولائهم حتى النهاية، وكانت ثقة الحكومة والروس، قد رسخت في ذلك الوقت بالملا مصطفى، ولم يشعر البارزانيون العراقيون بوخز الضمير لدى مقاتلة وحدات العشائرة الإيرانية، ولذلك أصبحوا أنجح قوة تحت تصرف

الجمهورية، لتستطيع إنجاز مختلف المهمات الحربية، وفي أثناء ذلك، لم يحدث إلا تبدل قليل فقد عين سيفي القاضي حاكماً لمهاباد، خاضعاً للحاكم العام (جافيد) الذي عين بهذا المنصب في تبريز بعد اتفاقية ١٣ أيار بين بيشورى وفيروز، ومع ذلك استمرت شؤون الدولة المهمة كالسابق في قبضة القاضي محمد القوية، تعاونه اللجنة المركزية للحزب، ولم تكن المبالغ المتوفرة لدى الحزب فائضة عن الحاجة، ولكنها كانت كافية لسد النفقات اليومية العادية.

وقد قامت الجمهورية باستدانة مبلغ (٢٠,٠٠٠) توماناً حوالي (٤,٤٠٠) دولاراً قبل بضعة أشهر من هذا الوقت من حكومة تبريز وسددته بالسكر المجهز من معمل استخراج السكر في ميان دوب، فكانت الضرائب والاشتراكات الحزبية تجمع من مختلف طبقات الشعب، وعلى الأخص من زعماء العشائر الذين حرصوا على إثبات ولائهم للنظام القائم وكانت التبرعات تجمع من العوائل الثرية كعائلة الشافعي، في مهاباد رغم معارضتها للجمهورية منذ تأسيسها، كما أن السوق كانت مزدهرة بسبب البضائع المهربة المربحة، التي تجلب بحرية من العراق، وتباع في مهاباد وتبريز، وحتى في طهران لأن عامة المواطنين كانوا أحراراً في الدخول إلى الجمهورية والخروج منها، حسب رغبتهم، أما المواطنون البارزون فكانوا يترددون بطبيعة الحال في تعريض أنفسهم لخطر الوقوع في أيدي السلطات الإيرانية.

وقد اقترن اقتصاد الجمهورية الحر تقريباً بجو سياسي واجتماعي مفتوح، لم يشهد ستان مهاباد مثيله في السابق، فقد توفرت للمواطنين حرية حمل السلاح وحرية الاستماع إلى الإذاعات

المختلفة التي كانت محظورة في أذربيجان، بسبب امتلائها بالشرطة السرية التي كان جزء لا يتجزأ من حكم تبريز، أن الرئيس حامد مازوجي رئيس الانضباط العسكري الكردي في مهاباد، لم يعتقل خلال سنة من بقائه في ذلك المنصب، سوى حفنة ضئيلة من أعداء القاضي الشخصيين، ولم يكن القاضي محمد نفسه، يعتقد بوجود عناصر في أراضي الجمهورية قادرة على تهديد كيانها، لذلك قرر ترك المواطنين وميولهم السياسية، وتلك تقديرات حكمة قائمة على قاعدة سليمة، لأن الجمهورية كانت محبوبة من قبل الناس في مهاباد، ومحاطة بتأييد القبائل لها، وليس ثمة أية قوة تنازعها سلطانها في المنطقة اما المطبعة المهداة من قبل السوفييت، فقد كانت مشغولة في شهر تموز بطبع جريدة (كردستان)، والمجلات الأسبوعية والشهرية (هه وار) و اكر . و . هه لاله . المنتشرة انتشاراً واسعاً في كردستان إيران وكردستان العراق. ولقد استعملت المطبعة كذلك في طبع الوثائق والوصولات والقرطاسية الرسمية، في ذلك الوقت أعدت للطبع كتب المدراس الابتدائية المكتوبة باللغة الكردية، وفي أثناء ذلك كانت قد جلبت إلى مهاباد كمية من الكتب المدرسية العراقية باللغة الكردية، إلا أن الاستفادة منها كانت ناقصة بسبب اختلاف بسيط في اللهجة. كانت المرسلة الإذاعية المزودة من قبل السوفييت من الساعة الرابعة عصراً حتى الساعة العاشرة مساء، إلا أن مجال بثها نادراً ما كان يصل إلى حدود الجمهورية، كما أن المرسلة أخفقت تماماً في إبلاغ إرسالها إلى المواطنين الأكراد في العراق وتركية، وقد خابت كل المساعي والالتماسات التي تقدم بها الأكراد إلى الروس من أجل الحصول على أجهزة أقوى إضافة إلى

أن الأخبار التي تنشرها الصحف، وتبثها الإذاعة كانت شحيحة، فقد اقتصر استقاؤها المعلومات على عدد قليل من المصادر الصحفية والإذاعية، ولكن من الناحية العملية كان يستعان بالإذاعات الروسية القريبة، أما التعليمات الصحفية والمواد المذاعة، فخالية تقريباً من أية مواضيع شيوعية، إلا ان القادة العسكريين السوفييت، كانوا يمجدون فيها بصورة مبالغة كما هو شائع في ذلك العهد الستاليني.

## النفوذ السوفياتي والميول السياسية

كان الوجود السوفييتي، ضئيلاً في مهاباد، إذا قيس بمقداره في تبريز، على الرغم من الاهتمام بوضع صور لستالين في الواجهات على الجدران، يأتي بعد الاهتمام بصور القاضي محمد، إلا أن انتشار الصور في الشرق الأوسط، يتناسب مع القوة، لا مع الشعبية، وكان الأكراد قد عرفوا القوة السوفييتية لمدة أربع سنوات إضافة أن القادة الأكراد الذين أعلنوا مراراً وتكراراً إخلاصهم للاتحاد السوفييتي، حرصوا على أن يكون ارتباطهم بالسوفييت أمراً تقليدياً، وصورة صادقة لمركز جمهوريتهم الصغيرة بالنسبة للاتحاد السوفييتي، القوي، مما حجب أي تظاهر بأن الارتباط بينهم وبين الاتحاد السوفياتي ارتباط قائم بين ندين متساويين، ولم يحل انشغال كاكا آغا بجيش مهاباد دون مساعدة بابا يوف، وأسدوف، على تنظيم الحزب الديمقراطي الكردستاني. ويتذكر القارئ أن الكومه له كانت تعمل كجمعية ديمقراطية غير رسمية، وبدون عقيدة سياسية، سوى عقيدة الاستقلال الكردي. أما الحزب الديمقراطي الجديد، فقد اختط لنفسه منهجاً متشابهاً لمناهج الأحزاب الموجودة في

العالم رغم ضعفه النظري والسياسي، وقد استعان أعضاؤه بصورة واعية، أو غير واعية بالنموذج الذي يقدمه الحزب الشيوعي في مجال التنظيم، والمثال على ذلك تأسيس فرع نسائي برئاسة زوجة القاضي محمد، وفرع للشباب برئاسة علي خوسرفي، الذي أصدر بطاقات خاصة للراغبين بالإنتماء، وسرعان ما انخرط في صفوف الفرع شباب معظم قصبات وقرى الجمهورية، وكان فرع الشباب خاضعاً بطبيعة الحال إلى الضابط الأعلى للجنة المركزية، إلا أنه احتفظ بهويته المتميزة واكتسب بعد فترة قصيرة شهرة نضالية تفوق شهرة المنظمة الأم (أي الحزب ـ المترجم).

ووجد من المفيد في شهر مايس، توسيع المساهمة في الزعامة الحزبية، وحل مسألة النظر بشكاوى الأهالي بتشكيل مجلس أعلى يتألف من إثني عشر عضواً[٣٢]، وتألف المجلس الأعلى اللجنة المركزية للحزب من أشخاص ينتمون إلى الطبقة العليا، أو إلى القبائل، وأغلبهم كما كانت الحال، مع اللجنة من مدينة مهاباد والمناطق المتاخمة لها، ولم يصبح المجلس الأعلى مطلقاً هيئة مهمة تصدير القرارات، إلا أنه أدى وظيفة مفيدة بإزالة بعض الضغوط الناشئة من أصحاب الدعاوى الفردية من دواوين الوزارة المرهقة بالعمل.

كان الحزب الديمقراطي الكردستاني، متحرراً تقريباً من أي نوع من التوجيه العقائدي، على الرغم من تلبيته نموذجاً شيوعياً في التنظيم الداخلي. إن شخصاً واحداً فقط كان في ذلك الوقت ذا علاقة بالعقيدة الماركسية، وكان طالباً، نزل إلى ساحة حزب توده في طهران، ومع أن الشعارات، وتمجيد الاتحاد السوفييتي،

وجدت طريقها إلى الخطب والدعاية الحزبية، لم يكن هناك أي ذكر للإشتراكية، أو توزيع الأراضي أو مساواة الفلاح بالملاك من النوع الذي ملأ الصحافة والإذاعات في تبريز. غير أن خصومة خفية انتشرت بين سكان المدن. الأكراد داخل اللجنة المركزية للحزب والدوائر الحكومية، وكانت الكفة الراجحة في مهاباد، كفة العناصر المدنية. تلك العناصر التي كان يتوقع منها الترحيب بأي تقليص يطرأ على امتيازات زعماء القبائل، غير أننا لو استثنينا جيش مهاباد الصغير والبارزانيين القادمين من العراق لوجدنا أن المتانة العسكرية للجمهورية كانت قائمة كلياً على قاعدة المجندين القبليين، وكان على كل حملة تهدف إلى تقليص نفوذ الزعماء القبليين أن تكون حاذقة، وغير مباشرة، كإرسال أبنائهم إلى المدارس في تبريز وباكو مثلاً، أو توزيع خيرة الأسلحة من العتاد على جيش مهاباد والبارزانيين الموثوق بهم.

ولم يترفع الروس من جانبهم عن التعامل مع الإقطاعيين والزعماء القبليين الأكراد، مع عدم وجود دليل على دفعهم مرتبات للزعماء الأكراد، كما كان يفعل البريطانيون خلال الحرب من أجل ضمان تأييدهم لقضية الحلفاء، فقد كانت هناك أساليب أخرى يستطيع بواسطتها الضباط العسكريون والسياسيون السوفييت ترسيخ دعائم أصدقائهم مع أولئك الذين تعتبر استمالتهم مكسباً، فمثلاً تجاهل الموظفون السوفييت أعمال النهب المربحة التي كان يزاولها زيرو بك هركي في القرى الأذربيجانية المسيحية غرب بحيرة رضائية. وكان بالإمكان تحلية زعماء آخرين بالسكر تلك السلعة النادرة في تلك الأوقات التي كان يمكن بيعها بيسر، بأسعار تبلغ عشرة أضعاف السعر الذي دفع إلى الممول الروسي.

أياً كانت مرامي المستشارين السوفييت تجاه الجمهورية الكردية، فإنهم كانوا في سنة ١٩٤٦ يبذلون كل جهد ممكن لضمان تعاون وصداقة أكثر العناصر الكردية نفوذاً، سواء كانوا، من أهل المدن أو من القبائل. وكان باستطاعتهم عندما تغدو الصداقة بمفردها حافزاً غير كاف للسيطرة على قرارات القاضي محمد العسكرية، والمدنية الرئيسية، استخدام تهديدات مباشرة، أو ضمنية بسحب التأييد السوفييتي للجمهورية إلا أنه كان من شأن أية محاولة لإدخال عقائد يسارية اقتصادية أو سياسية أن تدفع بزعماء القبائل والشخصيات المتنفذة في المدن، كالقاضي محمد مثلاً إلى ما وراء نقطة التعاون المثمر. وقد منع إدراك الروس لهذه الحقيقة قيامهم بالإلحاح على مثل هذه القضايا إلا انهم كادوا أن يفشلوا في عدة مناسبات في ضمان مسايرة الزعماء الأكراد لهم في قضايا جوهرية، كالمسألة الإقليمية خلال المفاوضات بين الأكراد والأذربيجانيين، وفي شهر حزيران عندما فرضت المصالح السوفييتية التخلي عن الهجوم الكبير، اكتفى الروس في أغلب الأحوال بالضغط على القرارات السياسية الرئيسية لتسير على خطوط ملائمة لمصالحهم التكتيكية والاستراتيجية الواسعة، التي انعطفت في شهر حزيران إلى مجهود طموح يرمي إلى إدخال إيران برمتها ضمن فلكهم. وحيث أنهم فرضوا وجهات نظرهم بأقصى درجة من الضغط عدة مرات، لا يمكن إعفاءهم كلياً من مسؤولية الأحداث التي جرت بعد ذلك.

## الجبهة الشمالية

عندما لاحظت العناصر القبلية الكردية القريبة من الحدود الفاصلة

بين كردستان وأذربيجان شمال بحيرة رضائية، بأن مطامحها في الجنوب، باءت بالخسران، أصبحت مستعدة لتأكيد حقوقها في وجهة الحكومة الأذربيجانية، التي اعترفت الحكومة الإيرانية بسلطتها غير المحدودة (غير واضحة المعالم. المترجم) على الدولة الكردية تقدمت في ١٩ تموز قوتا فرسان هركية وشكاكية، على بلدة ماكو في الشمال البعيد قرب الحدود السوفييتية، وعلى بلدة خوى الكبيرة شمال غرب بحيرة رضائية، وعندما أرسلت وحدات عسكرية أذربيجانية باتجاه خوى، أظهر الأكراد الفطنة، بانسحابهم، إلا أنهم لم يتخلوا في حقهم بالمساهمة بإدارة المدن التي كانت موضوع النزاع وإن القبائل الكردية الشمالية البعيدة كثيراً عن مهاباد، ردعت عن مهاجمة جيرانها الأذربيجانيين من قبل هاشيموف القنصل السوفيتي في رضائية بالدرجة الأولى، ومن موظفي الحكومة، في مهاباد بالدرجة الثانية. إن معاداة زعماء القبائل الكردية للأتراك الأذربيجانيين وحدت المنافسة التقليدية بين ثقافتين وعنصرين من التشكك الحديث العهد بالاتجاهات اليسارية لنظام حكم تبريز، وولائه لقضية توزيع أراضي. زد على ذلك، أن الأكراد غالباً ما ادعوا بأن جيرانهم الأذربيجانيين لا يمتلكون روحاً قومية. ورأوا دليلاً على ذلك في سهول بيشورى على إعادة توحيد مقاطعته بإيران، جاعلاً بذلك القومية تابعاً للمصالح الواسعة للقضية الشيوعية، أما الأكراد فقد وضعوا مشاعرهم القومية في المقام الأول. فلم يكن بمقدورهم كبت أمانيهم في أية وثيقة تتجاهل العمق الذي تغلغلت إليه المشاعر الإنفصالية الكردية في المنطقة منذ ابتداء الحرب العالمية الثانية.

# الفصل الرابع عشر

## فاصل
## الالتقاء في طهران

استجابة لنصيحة السوفييت بهدف السعي وراء اتفاقية توفر أساساً شرعياً لاستمرار قيام مقاطعة كردية متمتعة بالحكم الذاتي ضمن الدولة الإيرانية، سافر القاضي محمد إلى طهران في اوائل آب، وقد التقى مرتين في طهران، بقوام ومرة واحدة برازمارا، وفي مناسبتين زار السفارة السوفييتية، التي كانت قد ضمنت سلامته الشخصية أثناء ذهابه إلى طهران وعودته منها. كان قوام منطقياً في موقفه إذ اقترح أن تدمج كل أنحاء كردستان إيران، ومن ضمنها سنندج في مقاطعة أوستان واحدة يعين لها حاكم عام من قبل الحكومة المركزية، وبذلك يصبح وضع كردستان مساوياً لوضع أذربيجان ويصبح القاضي بدون شك أول حاكم هناك. ومع أن القاضي مال لقبول الاقتراح إلا أنه أدرك أن موافقة الروس على أي خطة يغير العلاقة بين مهاباد وتبريز أمر غير جوهري.

لم يكن استقبال القاضي محمد في السفارة السوفييتية حاراً

بالدرجة التي كان يتوقعها، إذ انه استقبل هناك باحتجاجات مفادها أن الأكراد كانوا يسيئون معاملة الأذربيجانيين المقيمين بأمكنة تحت حكمهم، وأوضح بأن قبول اقتراح قوام يمثل خيانة لأذربيجان، ولن ينال موافقة الاتحاد السوفييتي، وطالما كان مستقبل الدولة الكردية الضعيفة والمفتقرة للأصدقاء ما عدا (صداقة السوفييت)، ما زال معتمداً على حسن نية الدولة الكبرى إلى الشمال، لم يكن القاضي على استعداد لتحمل مسؤولية فصل هذا الارتباط. وهكذا عاد إلى مهاباد بدون تحقيق أي مكسب، أو التنازل عن أي شيء. لعل قوام سيد الدبلوماسية على الدوام، كان قد أدرك مسبقاً بأن اقتراحه سيكون مصيره الفشل في الحصول على موافقة جميع الأطراف المعنية.

## القرارات الإيرانية

خيم الركود على مهاباد أثناء شهر آب كما هو معتاد في تلك المنطقة في أواسط الصيف، في الوقت الذي كانت الصحافة والشعب يحملان المزيد من الاهتمام بمشاكل إيران. إلا أن صراع القوة استمر في طهران، بدون أي مهادنة. فأجرى قوام في ٢ آب تعديلاً في وزارته ليضم اليها ولأول مرة ثلاثة وزراء شيوعيين من حزب توده، وفي الوقت نفسه عين مظفر فيروز المعروف بميوله نحو السوفييت نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للعمل والدعاية. وفي أثناء ذلك تبنى محرضو حزب توده في المدن الكبرى وحقول النفط الواقعة في الجنوب: أسلوب العمل السياسي المباشر الذي نتج عنه إضراب تموز سنة ١٩٤٦، ضد شركة النفط الأنكلو الإيرانية، والعنف الذي تسبب في حدوث عدد من الإصابات لم تسنح للشيوعيين في السابق بمثله،

فرصة للاستيلاء على إيران وكان توقع سنوح فرص كهذه أحد الحوافز التي أدت إلى انسحاب السوفييت من أذربيجان.

إلا أن بريطانيا شعرت بالتهديد المتزايد لحقول النفط الإيرانية، ومركزها الاستراتيجي في الخليج والشرق الأوسط ككل، فأرسلت قوات إلى ميناء البصرة العراقي القريب، غير أن تلك الإجراءات لم توقف التحريض التودوي، الذي استمر أكثر من السابق، ولذا فقد التجأ قوام في ٢٤ آب إلى اعتقال عدد من القادة الشيوعيين المتطرفين، ولكنه لم يبلغ بذلك الإجراء مراده، مما جعله يسلك وسائل للإقناع السياسي الأخرى، التي لم يستخدمها في الصراع حتى ذلك الوقت، ولم تكن تلك الوسائل سوى الاستعانة بالعشائر الجنوبية ومن ضمنها عناصر من قشقائي وبختياري، التي تضامنت في إعلان تمرد ضد حزب توده والحكومة. وقد قيل بأن بعض قادة التمرد كانوا على اتصال مع الموظفين البريطانيين في المنطقة. ومع اشتداد ساعد الحركة المعادية للشيوعية في الجنوب، ارتفعت بشكل ملحوظ المعنويات للعناصر الدينية والمحافظة في المدن، في هذه اللحظة الحرجة طلب الشاه من قوام أن يستقيل فلبى قوام الطلب، إلا أنه حصل على إذن بتشكيل وزارة أخرى بشرط أن يتخلى عن الوزراء التودويين الثلاثة ويقوم بإعادة السلطة الإيرانية في أذربيجان. وفي ١٩ تشرين الأول تشكلت الوزارة فتوجت أعمالها بإنهاء التمرد العشائري، وحل الأزمة الحكومية لتنطلق إلى المباشرة بالعملية الحاسمة عملية استعادة السيادة الإيرانية في كافة أرجاء المملكة. وفي منتصف تشرين الثاني أوقف في طهران حوالي مائة من المنظمين من التودويين، وفي ١٦ منه استقبلت القوات الإيرانية بترحاب حماسي

من قبيل سكان مدينة زنجان الواسعة، والواقعة في منتصف طريق طهران ـ تبريز وكان جافير وبيشورى قد تنازلا عنها في النهاية للحكومة المركزية، وبذلك هُيىء المسرح للفصل الأخير في أذربيجان.

## الانحيازات النهائية

كانت الأزمة في طهران والصراع بين العشائر وحزب توده بالنسبة لأكراد جمهورية مهاباد أحداثاً ثانوية الأهمية إذا ما قورنت بالمجابهة مع أذربيجان على امتداد الحدود الشمالية، وقضية الحدود غير الواضحة مع إيران في منطقة سقز. وفي أثناء ذلك أعلنت العناصر الأقلية في مامش ومانكور تذمرها، وقد كان لزعمائها نزاع شخصي مع القاضي محمد، فأرغمت من قبل جماعات أخرى من العشيرتين نفسهما على الفرار إلى العراق. وبقيت الجبهة الجنوبية راسخة وهادئة، باستثناء اصطدامات معزولة في منطقتي سردشت وبانه. وعلى الرغم من التأكيدات الروسية لم يجر إخلاء المدن الواقعة على الحدود من قبل الجيش الإيراني. وفي الشمال واصلت عشيرة شكاك وهركي ضغطهما على القرى الأذربيجانية في السهول، وحصل في تبريز على شيء من الحكم المشترك في المدن الأربع المتنازع عليها. وعلى سبيل المثال أشغل بالتضامن منصب الحاكم العسكري لمدينة شابور، منذ أوائل تشرين الأول ـ كل من العقيد زيرو بك هركي الكردي، والجنرال دانشيان الأذربيجاني.

وفي أوائل أيلول، قامت الحكومة المركزية بمحاولة أخيرة للتوصل إلى تفاهم مع القاضي، وفق الخطوط العريضة والاقتراح الذي سبق لقوام أن قدمه في طهران وأرسل الجنرال رازمارا خلال

أيام عيد الفطر المقدم على أصغر فيوزي إلى مهاباد، لبحث مسألة الرجوع كردستان إلى إيران، وإعادة الأسلحة الإيرانية، التي كان رجال العشائر الأكراد قد استولوا عليها على طريق سقز - بانه. كما طلب منه جمع أية معلومات عسكرية يستطيع الحصول عليها، وبالصدفة تمت زيارة فيوزي في اليوم الذي عقد فيه اجتماع عشائري، إضافة إلى عرض عسكري تخلله تفتيش القاضي محمد للوحدات كافة. علاوة على ذلك، لم يكن الوقت ملائماً لإجراء المفاوضات. فقد استقبل الاقتراح الإيراني الداعي إلى تسليم الحكومة الكردية لأسلحتها، وقبولها بوضع خاص ضمن الوطن الإيراني، منفصل عن وضع أذربيجاني، استقبالاً جيداً في بادئ الأمر من قبل القاضي محمد، ولكن الأمر كان يتطلب موافقة الوزارة الكردية. وأبلغ العقيد فيوزي في اليوم التالي بأن اقتراحه لم يكن مقبولاً، كما لم يكن بالإمكان إعادة الأسلحة المستولى عليها قرب بانه. وقد تمكن من وضع تقدير لقوة الأكراد العسكرية، إلا أن هذا ترك بعض الشك فيما يتعلق بالمسألة المثيرة للجدل، وهي ما إذا كانت الجمهورية الكردية ستدافع عن نفسها ضد هجوم جدي من جانب الجيش الإيراني وعن كيفية هذا الدفاع.

وفي أيلول ١٩٤٦، وصل إلى المنطقة الكابتن آرتشي روزفلت، مساعد الملحق الأميركي في طهران آنذاك، وأحد الغربيين القلائل الذين زاروا مهاباد في عهد الجمهورية، ولا يزال تقرير الكابتن[٣٣] روزفلت الذي كتبه بنفسه مطابقاً لذكريات أكراد لا زالوا مجتمعين في مهاباد، وهم يتذكرون جيداً الاستعدادات التي اتخذت باهتمام لخلق انطباع مناسب للأكراد في نفس زائر أمريكي يحمل إسماً

شهيراً. وفي الواقع، دهش روزفلت من الجد الطليق السائد في مهاباد، بالمقارنة مع التسخير الشيوعي لأذربيجان، ولقد عبر عن ذلك للقاضي محمد. وحاول القاضي من جانبه إقناع الممثل الأمريكي برغبة الأكراد في تشكيل مقاطعة ديمقراطية على شكل فيدرالي، شبيه بالنموذج الأمريكي، وأضاف بأن الحكومة الأمريكية إذا لم يكن باستطاعتها مساندة الأماني الكردية، لتمتنع على الأقل عن معارضتها. وكانت اللجنة المركزية معنية خلال هذه الزيارة بإبعاد دلائل النفوذ السوفييتي عن الأنظار، ولم يكن ذلك أمراً صعباً، لأن أسدوف وحده كان لا زال في مهاباد. ومع أن روزفلت استطاع بعد اجتماعه بالقاضي محمد ومشاهدته لمهاباد، أن يزود حكومته بصورة عن الأوضاع في الجمهورية، أوضح مما كان متوفراً لديه سابقاً، إلا أنه لم تكن هناك أي نوايا لدى الولايات المتحدة للزج بنفسها في حركة قومية في ركن ناءٍ من إيران.

وفي أثناء ذلك كان الاتجاه السياسي في طهران مفهوماً من قبل الزعماء العشائريين في الشمال كالزعيم الشكاكي عمر خان، الذي كان أفضل من فهم جو مهاباد القومي. وكانت حكومة مهاباد بالنسبة للعشائر الإيرانية أداة شرعية لميولهم القومية. إلا أنها لم تحسب دائماً حساباً لحاجتهم الحيوية للغاية.

وقد نظر عمر خان إلى الشرق فلم يرَ في الأذربيجانيين الشيوعيين ما يحقق أهدافه، لذا أوحى إليه ذلك بالتقاء مصالحه مع مصالح العشائر البختيارية والقشقائية في الجنوب. وكان منطقياً أن تنضم العشائر الكردية التي كانت تشاطر قوام بفضله البادي حديثاً لحزب توده إلى الإيرانيين ضد العدو المشترك. وفي حوالي هذا

الوقت طلب عمر خان نيابة عن ائتلاف الزعماء الأكراد الذين يحملون فكرته نفسها، من القنصلية الأمريكية في تبريز، نقل رسالته إلى قوام، عارضاً فيها الولاء للحكومة المركزية، مقابل تأكيدات بمعاملتهم بالحسنى فيما بعد. وكان رد قوام أن موقف الحكومة تجاه الأكراد سيعتمد على الولاء الذي يبدونه خلال التطورات القائمة واللاحقة، وقد فسر هذا الرد على أنه يقدم في طياته التأكيد المطلوب. وفي ١٢ تشرين الثاني، غادر ممثلو عمر خان المدينة على جناح السرعة باتجاه منطقة شكاك العشائرية وهم يحملون خبر قرب دخول الجيوش الإيرانية مقاطعة تبريز.

وقد أحس القاضي محمد في مهاباد بأن عمر خان، كان يبحث عن بديل للاعتماد الكردي على الروس الذي يحتمل أن يكون مميتاً. ولم يكن القاضي محمد عديم الشعور تجاه هذا التكتيك. وكان لعمر خان بصفته زعيماً عشائرياً، له أتباع مسلحون مخلصون في مجال العمل المستقل الذي لم يتوفر للقاضي محمد. وكان للروس وكلاؤهم في مهاباد، ولهذا لم يكن مستبعداً أن يخلع القاضي من منصبه، ويعين آخر في مكانه، لو أنه قطع علاقته بالمستشارين السوفييت، إلا ان القاضي الذي ظل مدفوعاً بشعور عميق بالمسؤولية تجاه الشعب الذي قاده نحو الحكم الذاتي، وقد سقط سقطة لا قيام له منها في شباك التفت حوله وحول قضيته.

وفي ٢٠ تشرين الثاني، عاد محمد حسين سيفي القاضي ابن عم القاضي محمد، من زيارته إلى باكو حيث نال علاجه طبياً لسمنته المفرطة واضطرابات معدته، وكان من الأفضل له لو أنه أجل عودته إلى فترة أخرى.

# الفصل الخامس عشر

## النهاية
## سقوط أذربيجان

جاءت النهاية بشكل فجائي، وغير متوقع، وكان السفير السوفييتي في طهران قد أنذر الحكومة الإيرانية عدة مرات بأنه لا يمكن تجاهل اضطرابات تحدث قرب الحدود الروسية في منطقة أذربيجان الاستراتيجية. ولقد فسر كثير من الناس هذا الإنذار بأن الاتحاد السوفييتي سيواجه بالقوة عزم قوام المعلن عنه حول إرسال وحدات عسكرية إلى داخل أذربيجان، للإشراف على الانتخابات النيابية. ولقد افترض الزعماء الأذربيجانيون من جانبهم بأن قوام لم يجرؤ على دعوة السوفييت إلى إخراج تهديدهم إلى حيز التنفيذ، ومع أن فترة المساعدة القصوى للجمهورية الكردية، كانت قد مضت، إلا أن القليل تصوروا بأن دولة كردية من نوع ما لم تكن مضمونة دائماً. ففي ٢٧ تشرين الثاني عبر السفير الأمريكي في طهران ف. الن بصراحة عن رأي خلاصته أن عزم الحكومة الإيرانية المعلن عنه لإرسال قوات أمن إلى داخل جميع أجزاء إيران يبدو لي قراراً مصيباً

وعادياً من جميع النواحي[٣٤].

وفي اليوم نفسه أرسل القاضي محمد برقية إلى قوام، عارض فيها خطة الحكومة، لإرسال الجيش إلى داخل أذربيجان وكردستان، إلا أنه لم يكن بالإمكان إرجاع قوام عن هدفه، ومع اقتراب اليوم المعين لاحتلال أذربيجان، اشتد تحفظ المستشارين السوفييت في مناقشة الدعم المسلح لحلفائهم الأذربيجانيون والأكراد. وفي مطلع كانون الأول ذهب وفد كردي من مهاباد إلى رضائيه لاستشارة القنصل السوفييتي هاشموف، وهناك أكد لهم أن الحكومة الإيرانية كانت تنوي أن ترسل إلى كردستان أقل قوة ضرورية لحفظ النظام أثناء الانتخابات، وتنسحب بعد انتهائها. ويبدو أن الروس لأسباب ما كانوا مطمئنين إلى نوايا قوام.

وفي ٥ كانون الأول عقد القاضي محمد (مجلس حرب) وصدري القاضي المندوب في المجلس النيابي الإيراني، وقد وقع هذا المجلس قراراً تعهد بموجبه بالمقاومة المسلحة من قبل الجيش الكردي والعشائر. وفي اليوم التالي، أخذت تلك الوثيقة إلى مسجد عباس آغا، حيث كان عدد كبير من الأعضاء الحزبيين ينتظرون قرار كبار رجالات الحزب. وفي المسجد أعلن صدري القاضي بأنه يستطيع استناداً إلى إطلاعاته أثناء إقامته في طهران أن يؤكد للحاضرين بأن الجيش الإيراني لن يكون كفوءاً لقوة العشائر الكردية والجيش الكردي وحده. وفي بادئ الأمر ظهر أن القرار وتعهده بالقتال يتمتع بتأييد ساحق. إلا ان عدة أصوات ارتفعت فيما بعد تقول بأن وقت القتال قد مضى، وبأن مصير الجمهورية الكردية يعتمد على التطورات في أذربيجان وعلى موقف الدول الكبرى

وانتهى الاجتماع بدون التوصل إلى القرار، في حين قوضت التحفظات الشخصية عن الحكومة على المقاومة.

وعقد مجلس حرب مماثل في تبريز، اتخذ فيه الحاكم العام جافير ورئيس مجلس المقاطعة شابستاري، موقفاً انهزامياً، في حين طلب بريا والقائد العسكري دنشيان بالمقاومة. أما بيشوري المعروف بواقعيته، فقد اتخذ موقفاً وسطاً. وفي ١١ كانون الأول صدر في الصباح المبكر في تبريز إعلان يدعو إلى المقاومة، إلا أنه في وقت لاحق من ذلك النهار انتشر خبر مفاده أن جافيد قد أرسل برقية استسلام إلى طهران وأن القادة الموظفين الحكوميين كانوا يهربون شمالاً، وفي ١٢ كانون الأول أطلق رد فعل معاد للشيوعية العنان لأعمال الثأر التقليدية. هرب محمد بريا الممقوت وزير التربية السابق من مطارديه والتجأ إلى المستشفى الروسي، إلا أن الرعاع اقتحموه، وقبضوا على فريستهم وسحلوه خلف سيارة جيب، وفي مساء ١٣ كانون الأول أي بعد استسلام جافيد بيومين، دخلت الطلائع الأولى من الجيش الإيراني إلى تبريز.

## سقوط مهاباد

أذهل الإنهيار المفاجئ لأذربيجان، أكراد مهاباد، وفي أثناء مشاورتهم وانتظار تعليمات القاضي محمد، أدركت عشيرتا شكاك وهركي، من أين كانت الريح تهب، فاجتاحتا في ١١ كانون الأول السهل باتجاه رضائيه وتبريز لتكون لها حصتها من النصر الإيراني.

ولم يفكر القاضي وزملاؤه في مهاباد بالمقاومة جدياً، بعد أن أصبح واضحاً بأن الاتحاد السوفييتي قد سمح بانهيار ربيبته أذربيجان

وقد بدأت فئة صغيرة من المناضلين، من بين أصحاب المراكز الحزبيين، تناقش مسألة الهروب واللجوء إلى العراق، أو إلى الاتحاد السوفييتي، وعند إكتمال استعداداتهم ذهبوا مساء ١٤ كانون الأول إلى دار القاضي محمد ليطلبوا منه الالتحاق بهم. وافق القاضي على الفكرة، وطلب منهم أن يأخذوا ما يحتاجونه من المؤن أما هو فسيبقى مع أهل مهاباد، الذين كان قد أقسم على حمايتهم. وبعد ذلك أعاد قسم من أعضاء الفئة النظر في معطيات الموقف، وقرروا بأنه ما دام القاضي محمد محتفظاً بهدوئه فلا داعٍ لأولئك الذين هم من منزلة أوطأ أن يهربوا من المستقبل. وبعد رفض المقاومة والهروب لم يبق وفق التقليد الكردي غير خيار واحد هو الاستسلام التام لبوكار.

وفي ١٤ كانون الأول، كانت أول جماعة من زعماء المدن والقبائل الأكراد قد قطعت مسافة ٥٠ كيلومتراً بالسيارة باتجاه الشمال الشرقي إلى ميان دوب لتستسلم، وتجري المحادثات مع الجنرال همايوني الذي كان قد وصل إلى هناك في الطريق المؤدي إليها مباشرة من سقز. وقد ضم الوفد رموزاً رحمت شافعي والشيخ حسن شمس برهان وعلي آغا أمير الأشيري وآخرون قلائل ممن اعتقدوا بأن عدم حماسهم للجمهورية أحياناً يضمن لهم معاملة حسنة من قبل الجيش الإيراني. ووجدت الجماعة همايوني متسامحاً، وعادت إلى مهاباد وهي تحمل انطباعاً فحواه عدم وجود خطر الآخرين بعد الاستسلام.

وفي ١٥ كانون الأول غادر القنصلية السوفييتية في رضائيه أسدوف الممثل التجاري السوفييتي في مهاباد، وعندما لامه موظف كردي

بسبب خيانته أصدقاءه، أجاب بركاكة بأن وضع الجمهورية أصبح قضية دولية، ولكن لو استعاد الحزب اسمه السابق (كومه له) فقد يستطيع الروس مد يد المساعدة. وفي اليوم التالي ذهب بالسيارة كل من القاضي محمد وسيفي القاضي وحاجي بابا شيخ ليستسلموا للجنرال همايوني. سأل الجنرال القاضي محمد لماذا قاد الأكراد إلى الإنفصال؟ فأجاب القائد الكردي بأن أفعاله فرضت عليه بقوة الضغط السوفييتي. فسأله الجنرال ثانية ولماذا لم يوضح القاضي الحقيقة لقوام عندما كان في طهران قبل بضعة أشهر؟ وعندها تحول الحديث نحو الوضع في مهاباد فحذر القاضي الجنرال أن البارزانيين لا يزالون يعدون العدة للدفاع عن المدينة، وبأنهم يحتفظون بالسيطرة على بوكان، إلا أن الجنرال همايوني كان يعرف أكثر منهم، ولذلك اقترح أن يذهب القاضي وحاجي بابا شيخ سيفي القاضي إلى بوكان، ليشاهدوا الوضع بأعينهم. وفي بوكان تأكد لهم بأن البارزانيين غادروا المدينة قبل بضعة أيام إلى مهاباد، عن طريق قصير يسير باتجاه الشمال الشرقي، ومن بوكان انتقلت جماعة الجنرال همايوني إلى قرية حاميان الديهبوكرية، لمحل سكن رؤساء إيلخاني زاده، الذين كان العديد منهم على اتصال بالجنرال القاضي محمد وحاجي بابا شيخ الجنرال، واقترحا وجوب التوجه فوراً إلى مهاباد عن الطريق القصير، إلا أن زعماء عشيرة الديهبوكري أخبروه بأن الشيخ قد سد الطريق، لذلك عادت الجماعة إلى ميا ندوب حيث كان نداء تلفوني من مهاباد ينتظر القاضي محمد، وبعد أن اتصل بمهاباد أنذر الجنرال همايوني بأن الوضع في العاصمة الكردية لم يكن تحت سيطرة المسؤولين لأن البارزانيين، أحاطوا بالمدينة لغرض الدفاع عنها. وحينئذٍ نصح

الجنرال القاضي محمد بالعودة إلى مهاباد، لتمهيد طريق وصول الجيش الإيراني على ما يرام، لئلا يحدث ما لا يحمد عقباه إذا تعرض للمقاومة.

عندما انهارت المقاومة الأذربيجانية في ١١ كانون الأول، ارتد نحو تبريز عدة آلاف من الجنود الأتراك الأذربيجانيين، الذين كانوا قد أرسلوا قبل بضعة أسابيع ليساعدوا على الدفاع عن الجبهة الجنوبية. وفي الوقت نفسه جمع الملا مصطفى حوالى ١٥٠ بارزانياً وجماعة أصغر من رجال عشائر أخرى، وانسحب شمالاً عن طريق ميان دوب إلى أن وصل مدينة بوكان. في بوكان قرر الملا مصطفى تغيير اتجاهه، والسير غرباً إلى داخل الجبال عبر الطريق القصير المؤدي إلى مهاباد وعندما كان في بوكان، سمعه أحد رؤساء الخان زاده يقول إن الأكراد لم يهزموا من قبل الجيش الإيراني، وأن الاتحاد السوفييتي هو الذي هزم من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى.

وعندما وصل العقيد غفاري، مع مقدمة الجيش الإيراني مدينة بوكان، انضم إلى قواته رجال العشائر المحليون، الذين رغبوا في عرض إخلاصهم لإيران، بالاشتراك في الزحف على مهاباد. وهكذا حدث أن أوقف غفاري في ١٥ كانون الأول، مع حلفائه العشائريين قرب مهاباد، في وضع مهدد من شأنه أن يمنع الاحتلال السلمي للمدينة من قبل الجيش الإيراني. ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يعمل بها القاضي محمد بسرعة لمنع هجوم عشائري قد يؤدي إلى القتل والنهب. فلقد أرسل إلى غفاري جعفر كريمي في ١٦ كانون الأول ليعلمه بوجود اتفاق سابق مع الجنرال همايوني حول

احتلال مهاباد من قبل الجيش، كما أنه حذر غفاري من وجود عدد من البارزانيين في مهاباد من قبل الجيش، كما أنه حذر غفاري من وجود عدد من قبائل معادية لدخول المدينة، فتريث العقيد غفاري بفطنة حتى ١٧ كانون الأول، وعندما اقترب الجنرال همايوني وقواته من عاصمة الجمهورية، من ناحيتها الشمالية الشرقية، وكان الملا مصطفى في الواقع مكث قليلاً في مهاباد يوم ١٦ كانون الأول، ليقنع القاضي محمد بمصاحبته نحو الحدود العراقية، لأن حياته معرضة للخطر، في حالة بقائه، ولكنه رفض مرة أخرى ذلك.

وهكذا توجه القاضي محمد وزعماء أكراد آخرون في ١٧ كانون الأول إلى قرية كوى تابيه ١٣ كيلومتراً شمال غرب مهاباد، لاستقبال الرسميين الإيرانيين، وتأييد مراسيم الاستقبال التقليدية. وبعد ذلك دخل الجيش الإيراني مهاباد بهدوء من الشمال، والعقيد غفاري مع أصحابه من رجال العشائر من الشرق وبوجودهم أعلنوا نهاية الجمهورية وإعادة ضمها إلى إيران وحتى هذه اللحظة سارت الأمور بهدوء تام.

وفي تلك الأثناء، خيم البارزانيون المحتفظون بكامل قوتهم العسكرية قرب مهاباد من جهة الغرب، وفي نقاديه، إلى الشمال الغربي على الطريق المؤدي إلى الحدود العراقية. وفي مهاباد وأماكن أخرى بذلت جهود سريعة من قبل الموظفين الأكراد بإتلاف كل السجلات والوثائق والصور. وفي الوقت نفسه أزال الأفراد والعائلات جميع آثار مساهمتهم في الحركة الكردية، بتمزيق الرسائل والتفويضات وصورهم الشخصية وصور القاضي محمد وستالين. وأخفيت بعض الأسلحة الصغيرة إلا أنه أُبقي عدد كبير

لتسليمه إلى الجيش الإيراني، وكان ثلاثة آلاف بندقية من خيرة البنادق، مع ١٢٠ رشاشة ومدفعين وكميات من القنابل اليدوية، قد أخذت من قبل البارزانيين باتجاه نقاديه، مع أن أفراد الجيش الإيراني المتمركز في مهاباد كانوا متعبين، بسبب مسيرتهم الطويلة في جو قارس البرد إلا أنهم اضطروا إلى إقامة أبراج مراقبة لضمان الأمن داخل المدينة، وملاحظة أي هجوم محتمل من قبل البارزانيين وقبائل أخرى مسيطرة على الأرياف.

وبعد وصول الجنرال همايوني إلى مهاباد، أخبره القاضي محمد بقلقه على ابنه علي كوري رش، الذي كان وقتذاك في تبريز، فأرسل الجنرال سيارة جلبت الولد إلى مهاباد في ٩ كانون الأول وفي جيب علي، وجدت رسالة إلى قاضي محمد من شقيقه صدري قاضي الذي كان في ٨ كانون الأول قد ذهب إلى رضائيه ومن هناك إلى تبريز، حيث كان أول عمل إعادة الطلبة الأكراد إلى مهاباد. في الرسالة نصح صدري قاضي شقيقه بإقامة علاقات طيبة مع الجنرال همايوني إلى أن يقوم هو (صدري قاضي) بالإلتقاء مع قوام السلطنة في طهران، لإيجاد رسائل تكفل سلامة قادة الجمهورية الكردية، قرأ همايوني الرسالة وبعث بها إلى القاضي محمد.

## أسلحة وتوقيفات

بعد وصول الجنرال همايوني إلى مهاباد بوقت قليل، تسلم طلباً بمقابلته من قبل الملا مصطفى وكان الملا مصطفى والبارزانيون لا زالوا في ذلك الوقت، المفتاح الذي ستلجأ إليه القبائل الكردية من تسليم السلاح أو مقاتلة الجيش الإيراني، وتعهد الجنرال بسلامة

الملا مصطفى، إذا ما حضر في مهاباد في يوم ٢٠ كانون الأول لإجراء المحادثات. وفي أثناء ذلك احتجز القاضي محمد في بيته الذي كان محاطاً بالجنود الإيرانيين، لمنع أي اتصال بينه وبين الملا مصطفى. وعندما تم اللقاء بينهما أخبر الملا مصطفى الجنرال، بأنه سيعود مع قبيلته إلى بارزان، إذا ما ضمنت الحكومة البريطانية سلامتهم. كما وافق على كتابة رسالة استسلام إلى الجيش الإيراني. وفعلاً كتب تلك الرسالة باللغة العربية، وعندئذٍ اقترح الجنرال همايوني وجوب ذهاب الملا مصطفى ومير حاج وعزت عبد العزيز ونوري إلى طهران مع العقيد غفاري لبحث نواياهم وحاجاتهم المادية مع الحكومة الإيرانية. والحصول على التأكيدات اللازمة مع العراق بواسطة السفارة البريطانية وقد اتخذ الجنرال همايوني هذه الترتيبات بدون موافقة سابقة من طهران.

إلا أنه أوضح فيما بعد، بأنه لم يكن في استطاعته السير قدماً بنزع السلاح من القبائل والسكان المحليين طالما كان الملا مصطفى باقياً بجوارهم.

وقد توجه الملا مصطفى وجماعته صباح يوم ٢٠ كانون الأول إلى تبريز بالسيارة. وفي ظهر ذلك اليوم، دعا الجنرال همايوني إلى مقره كلاً من القاضي محمد وحاجي بابا شيخ وسيفي القاضي وأخبرهم بأنهم يجب أن يأمروا بنزع السلاح من القبائل، وتسليم كل السلاح المقدم إلى الجمهورية من قبل الروس. وقال القادة من الأكراد رداً على ذلك بأنهم يعترفون باستلامهم الـ(٥٠٠٠) بندقية، إلا أنها وزعت حسب قولهم من قبل اللجنة المركزية للحزب التي لا يستطيع أحد غير أعضائها تقديم المعلومات الضرورية، وعليه أمر

الجنرال همايوني أعضاء اللجنة المركزية، وقادة أكراداً بارزانيين آخرين، بالحضور أمامه، فتجمع في مبنى البلدية حوالي خمسة وأربعين من أبرز الأكراد، في عهد الجمهورية. طالبهم الجنرال سجلات الأسلحة الموزعة ووصولات استلامها، وكانت أجوبتهم غير مرضية، إذ قالوا أن جميع الوثائق أخذت إلى إكرام في ثكنة مهاباد وأحرقت. وقد بقي الرماد كدليل على صحة أقوالهم. وقبل القاضي بتحمل المسؤولية بأكملها إلا أن جميع الأكراد قد أوقفوا أثناء مغادرتهم المبنى.

## مشروع الفند

أمضى الملا مصطفى ومير حاج وعزت عبد العزيز ونوري، شهراً وبضعة أيام في طهران ضيوفاً على نادي الضباط الإيرانيين، ولم تفلح محاولاتهم في السفارة البريطانية في تأمين أي ضمان لسلامتهم في العراق، إلا أن ضيوفهم الإيرانيين، اقترحوا بأن البارزانيين كقبيلة، يجب إسكانهم في الزاوية الجنوبية الشرقية من كردستان في منطقة الفند الجبلية قرب همدان. وأعلنت الحكومة الإيرانية عن استعدادها لدفع نفقات نقلهم من الحدود إلى همدان، وتأمين معيشتهم خلال الأشهر الستة الأولى من إقامتهم في تلك المنطقة. وأعلن الملا مصطفى استحسانه للمشروع وعاد إلى مهاباد في ٢٩ كانون الثاني، برفقة موظف من وزارة المالية حمل معه مبلغ (١٠٠,٠٠٠) توماناً (١٨٠٠٠ دولاراً) لتغطية نفقات النقل والطعام كما حمل هذا الموظف رسالة مختومة إلى الجنرال همايوني تطلب منه الاهتمام بقضية إسكان البارزانيين بدون تأخير، ولكن الملا

مصطفى أصر على وجوب زيارة شقيقه الشيخ أحمد قبل كل شيء، ليحصل على تأييده للتحرك فأعطى مهلة ٢٤ ساعة لإكمال مهمته. وعندما جاء الخبر بأن البارزانيين لا يوافقون على مغادرة منطقة الحدود، أرسل العقيد غفاري إلى نقاديه لمقابلة الملا مصطفى. ورفع العقيد تقريراً بعد مقابلته الملا مصطفى، قال فيه إن البارزانيين يفضلون القتال على ترك المنطقة، وبناء على ذلك ذهب الجنرال همايوني والعقيد غفاري بمفردهما، وغير مسلحين يوم ١٩ شباط إلى نقاديه لدراسة القضية مع الشيخ أحمد مباشرة.

وفي نقاديه وجد الجنرال همايوني بأن البارزانيين كانوا كما شك من قبل، غير راغبين في مغادرة المنطقة. وأوضح الشيخ أحمد بأنه رغم عدم الحصول على أي ضمان بريطاني، فإن البارزانيين عندما يحل فصل الربيع وتذوب الثلوج في الممرات الجبلية سيشقون طريقهم بالقوة إلى منطقتهم القبلية في العراق، ولم يوافق الجنرال همايوني على مزيد من الإجراء الأخير. واقترح بدلاً من ذلك ثلاثة خيارات: إمّا أن يغادر البارزانيون إلى العراق حالاً، أو يسلموا جميع أسلحتهم، وينصحوا القبائل الأخرى بالحذو حذوهم أو القتال. وخلال المفاوضات نشب اشتباك صغير بين رجال همايوني وجماعة من البارزانيين خارج المدينة، إلا أن أحداً لم يقتل. وانتهى الاجتماع بدون اتفاق، وذلك أن البارزانيين لجأوا إلى الاختيار الثالث أي القتال.

وعاد الجنرال همايوني بحراسة عدد من البارزانيين إلى مركزه جنوب نقاديه، بعد إعطائه إنذاراً بأنه خلال يومين سيحتل البلدة، وفي تلك الليلة نفسها تسلم الجنرال أخباراً تفيد بأن جماعة من

البارزانيين تتحرك شمالاً قرب الأشنافية، قتلت أحد عشر آغا من آغوات قبيلة مامش. وكان واضحاً بأن البارزانيين يحرقون الجسور وراءهم. وبعد انتظار ثمان وأربعين ساعة، تحرك الجيش الإيراني في ٢٢ شباط إلى داخل نقادية، بدون مقاومة، وأرسل البارزانيون قواتهم إلى مواقع أقرب من الحدود العراقية.

## في باكو

لقد قام القادة الأذربيجانيون بالنزوح الجماعي، من تبريز نحو الشمال على عكس ما فعله موظفو جمهورية مهاباد الذين لم يتحركوا خطوة واحدة سعياً وراء ملجأ في الاتحاد السوفييتي، غير أن الطلبة الأكراد الستين الذين كانوا في المدارس العسكرية، سمعوا من اللاجئين قصصاً مخيفة عن أي شيء للتخفيف من قلقهم. ولم يقفوا عند هذا الحد، بل طُلب منهم البقاء في الاتحاد السوفييتي مما نبه الشباب الأكراد إلى الخطر الداهم الذي ينتظرهم جنوب الحدود، وأن عائلاتهم ستلحق بها قريباً في باكو، إن لم تكن قد ذبحت، وعلى الرغم من هذه التحذيرات المخيفة، لم ترق للطلاب فكرة الإقامة المستمرة في أذربيجان السوفييتية منقطعين عن عائلاتهم.

وعندما استمر الروس في تأجيل قضية ترحيلهم إلى بيوتهم، قام الطلاب بإضراب عن الطعام، لم يستمر طويلاً بعد أن حقق غايته بسرعة في شهر آذار حيث سمح لهم بمغادرة أذربيجان السوفييتية.

# الفصل السادس عشر

## المضاعفات
## البارزانيون ثانية

لم يشأ الملا مصطفى أن يقيم في إقليم همدان، أعزل من السلاح ومجرداً من القوة. إلا أنه من ناحية أخرى كان يخشى نوعية الاستقبال الذي سيلقاه في العراق الذي انسحب منه أكثر من سنة في ظروف الثورة.

إضافة إلى أن ثلوج الشتاء، كانت قد أغلقت المسالك الرئيسية المؤدية إلى منطقة برادوست العراقية، أو على الأقل جعلت المرور فيها شاقاً وخطراً بالنسبة للنساء والأطفال، ولذا تبنى الملا مصطفى تكتيك الإعاشة والتأجيل، آملاً، الحصول على شروط أفضل من العراق وإيران. كان جوهر خطته تقسيم رجاله من عائلاتهم إلى جماعات صغيرة، تستطيع أن تؤمن معيشتها من الاقتصاديات المحلية، في سلسلة من الأودية الممتدة بموازاة الحدود العراقية والتركية، من لاهيجان غرب مهاباد، إلى وادي تركاور غرب رضائية شمالاً. وبهذه الصورة كان بإمكانهم أن يعيشوا ويحتفظوا

بحرية التنقل حتى الربيع. كان في المنطقة التي وقع عليها الاختيار قصبات أوشنافية، على طريق العشائر المعتاد المؤدي إلى العراق ودزى، في وادي مركاور، حيث كان بيت الشيخ عبدالله أفندي كيلاني، وقد أصبحت قصة حملة الجيش الإيراني ضد البارزانيين من ١١ آذار إلى ١٥ نيسان ملحمة رهيبة في أخبار مثل هذه الحروب.

كانت الجمهورية الكردية، قد سقطت، إلا أن هذا التاريخ، لن يكون كاملاً بدون سجل للتطورات التي حدثت في الفترة ما بين وصول القوات المسلحة الإيرانية في أذربيجان في كانون الأول ١٩٤٦، والتهدئة النهائية للمنطقة في حزيران سنة ١٩٤٧، انطلق البارزانيون بعد إخلائهم لناقديه في ٢٢ شباط، في حركة عامة باتجاه الشمال تاركين وراءهم وادي لاهيجان، ثم باتجاه الغرب، إلى داخل المنطقة المحيطة بأوشنافية، ثم نحو الشمال مرة أخرى، إلى وادي مركاور وتركاور. وبينما كان الجنرال همايوني يتحدث إلى الشيخ أحمد في نقاديه، وقع الحادث المشؤوم في قرية من قرى مامش اسمها (سلفا) شمال لاهيجان مباشرة، فقد أمرت مجموعة من البارزانيين اثناء مرورها بقرية سلفا، زعماء مامش بالتجمع وتسليم أسلحتهم، لضمان مرور البارزانيين بالمنطقة بسلام. فصرح أحد أبناء مام حسين قائلاً (اعطوهم السلاح)، وعلى أثر ذلك سحب شقيقه مسدسه، ولكن أحد البارزانيين أساء فهم معنى تلك الحركة فأطلق النار من بندقيته الأوتوماتيكية، وقتل أحد عشر شخصاً من مامش، ومن بينهم ابراهيم أحد أشقاء علي آغا أمير العشائري الصغار، فأدى هذا العمل المتهور إلى تشويه سمعة البارزانيين ووضع بينهم وبين مهاباد قوات مامش وحلفاءها المعادية، الأمر الذي عرضهم لمزيد من المخاطرات حيث

انتشرت عنهم شائعات عن التفكير بالقيام بحركة للإنقضاض على مهاباد، لإنقاذ القاضي محمد والأسرى الأكراد الآخرين.

وحين وصلت طليعة من البارزانيين في ٤ آذار قرية (ماوانا) في وادي تركاور وجد رشيد بك هركي ونوري من قبيلة بكزادة، أن من الواجب عليها الوقوف بجانب ضيوفهما العراقيين، ولكنهما لم يتمكنا من ذلك، لأن الجيش الإيراني قد أعلن في ٢٣ شباط أن على القبائل تسليم أسلحتها، وقد أرسل أحد أفواجه في ١٢ آذار من رضائيه، إلى ماوانا لتنفيذ هذا الأمر. فامتنع عليه رجال القبائل في بادئ الأمر، ولكن بعد قتال قصير استسلم رشيد بك، ونوري بك وأعطيا الأمان من قبل الجنرال همايوني، بشرط أن ينضما إلى الحملة ضد البارزانيين.

كما شن في الوقت نفسه هجوم إيراني منسق من رضائيه في القطاع الشمالي، ومهاباد، ونقاديه في القطاع الجنوبي، وخاض عدة معارك حامية الوطيس، ففي المعركة الأولى قاتل رجال عشيرة هركي تساندهم وحدات من الجيش الإيراني مجموعة من البارزانيين جنوب ماوانا. وأجبروهم على التراجع جنوباً ليركزوا قواتهم في وادي مركاور وأوشنافيه.

وفي ١٤ آذار شن الهجوم الإيراني في منطقة نقاديه، من أوشنافيه، برهن البارزانيون فيه، على أنهم ذوو مكر شديد وحيلة واسعة، وقد ساعدهم في ذلك أن قتالهم كان في ظروف مألوفة لديهم وعلى أرض تشبه تضاريسها تضاريس منطقتهم العشائرية، إضافة إلى أن الوقت، كان عين الوقت الذي يختارونه أنفسهم للقتال.

لذلك لم يكن مدهشاً أن تكون خسائر الإيرانيين في الأرواح

والأسرى في معركة إثر معركة أكثر من خسائر الأكراد. وخلال الشهر التالي وقعت اصطدامات مسلحة متفاوتة الشدة، اشتركت، بعضها قوات كبيرة، وقد حملت تلك الوقائع أسماء القرى التي تنتشب المعارك بقربها.

وفي ١٦ آذار قتل البارزانيون في (نالوس) إثني عشر جندياً إيرانياً من ضمنهم ضابط، وأسروا خمسة ضباط واثنين وستين جندياً وفي ٢٠ آذار اجتمع الجنرال همايوني بالجنرال العراقي علي حجازي في منطقة الحدود الحاج عمران، جنوب كيله شين، اقترح حجازي إرسال قوات عراقية لدعم العمليات الإيرانية إلا أن اقتراحه رفض لعدم ضرورته. وفي ٢٤ آذار هاجم البارزانيون في خليج، فوجا إيرانياً وقتلوا الملازم امامي وثلاثة عشر جندياً. وفي هجوم إيراني مضاد قتل ضابط آخر وسبعة جنود.

ورغم تضاعف الانتصارات البارزانية المحلية، التي أضافت إلى شهرتهم الحربية الكبيرة أمجاداً جديدة هائلة، لم تلن حركة الهجوم الإيرانية لحظة واحدة، وكانت بمواظبتها على القتال المستمر تنهك معنويات الرجال والنساء والأطفال.

وما زاد الاضطراب العام حدة بدء إثنتي عشرة طائرة مقاتلة من الطراز القديم، بالقصف، فأخذت الضغوط تشتد داخل العشيرة من أجل العودة، حيث توقع الكل ما عدا الزعماء القلائل الحصول على العفو، حتى العديد من الضباط العراقيين السابقين ومن ضمنهم مصطفى خوشناو، والرئيس الأول خيرالله، والرئيس محمد محمود والعقيد عزت عبد العزيز، أعلنوا تفضيلهم وطنهم الأم العراق. على مصير غير معلوم، ينتج عن الاستمرار في صراع طويل غير

حاسم ضد الجيش الإيراني، وحذر الملا مصطفى هؤلاء الضباط من النتائج الوخيمة لطيشهم ولكنهم لم يستطيعوا مقاومة الرغبة بوضع نهاية لتشرد دام ثمانية عشر شهراً.

تعتبر الحكومة المركزية للشيخ أحمد، الذي كان لا يزال القائد الديني والزعيم الإسمي للبارزانيين، أكثر اعتدالاً، وقابلية للإقناع من شقيقه الأصغر فقد قام الشيخ المذكور في أوائل نيسان بواسطة الشيخ عبدالله أفندي كيلاني، تسليم الأسرى الذين وقعوا في أيدي أتباعه خلال أشهر القتال الماضية إلى الجيش الإيراني.

وبعد أيام قلائل، وعلى أثر استلام تعهد خطي بالعفو من السلطات العراقية، قاد الشيخ أحمد أبناء عشيرته، عبر الحدود في عدد من نقاط الاجتياز قرب ممر كله شين، ووضع نفسه بين أيدي الجيش العراقي، الذي كان في الانتظار. وبعد فترة وجيزة اتّبع الملا مصطفى مع قوة منفصلة من رجال العشائر المسلّحين، طريقاً مستتراً بعض الشيء خلال الليل، ووصل إلى الجبال الآمنة نسبياً فوق بارزان.

وفي ١٣ نيسان تمكن العقيد الإيراني فولاد خاند من إرسال تقرير إلى مقره العام، يخبره فيه عن عبور البارزانيين لنهر كادار ودخولهم العراق.

## قرار مهاباد

قبل مغادرة البارزانيين لإيران، بثلاثة أسابيع، جرى إعدام القاضي محمد شنقاً، مع شقيقه وابن عمه، على ثلاث مشانق منفردة في ساحة جوار جرا في مهاباد، وحيث تم في الساعة الثالثة من فجر يوم ٣١ آذار سنة ١٩٤٧، وقد مضت أربعة عشر شهراً على إعلان الجمهورية

الذي جرى في المكان نفسه أيضاً، وقد نفذت عمليات الشنق بسرية تامة، ووسط تدابير أمنية في غاية الشدة، ولا يتذكر هذا الحادث إلا عدد ضئيل من المواطنين المقيمين قرب الساحة، حيث أفاقوا على سماع أصوات مضطربة في الخارج أثناء الليل، ثم خيم على مهاباد الصمت المملوء بشعور الصدمة، ولم تتحقق الاضطرابات العشائرية التي تنبأ بقيامها أولئك الذين عارضوا عمليات الإعدام.

وقد وجهت التهم المختلفة إلى القاضي محمد وسيفي القاضي منذ اعتقالهما بشكل منفرد إلى الموظفين الأكراد الذين بلغ عددهم ثمانية وعشرين سجيناً. وفي أوائل كانون الثاني باشرت محكمة عسكرية خاصة بعقد جلساتها في مهاباد للنظر في قضيتي القاضيين. وكان العقيد بارسي تابا رئيس المحكمة والمدعي العام، وقد درس العقيد فيوزي الذي سبق له أن دخل مهاباد مع وحدات الجيش الأولى بصفته الضابط الركن الأقدم للجنرال همايوني، أولاً الأوراق والوثائق الثبوتية الموجودة تحت يده، ثم ألح على جلب شقيق القاضي محمد من طهران ليقدم شهادته. وكان صدري القاضي في ذلك الوقت يتفاوض مع قوام في طهران، إلا أنه سلم بتاريخ ٣٠ كانون الأول المسؤولين في مهاباد، حيث أصبح السجين الخاص الثالث. ولم ينشر حتى الآن سجل كامل بالإجراءات التي قامت، إلا أن المعلومات المأخوذة من مصادر الجيش الإيراني بضمنها الجنرال فيوزي ومن كتاب باللغة الإيرانية هي(٣٥):

١ - يتناول بالبحث بدرجات متفاوتة من الدقة الأحداث في كردستان، منذ سقوط الجمهورية حتى انتهاء الحملة ضد البارزانيين، وقبل افتتاح المحاكمة طلب من المتهمين أن يختاروا محامين للدفاع

عنهما، فطلب القاضي محمد اثنين من ضباط الجيش، كانا آنذاك في طهران ومعروفين بمعرفتهما القانونية، ولكن المحكمة رفضت ذلك، وطلبت إليه توكيل القانونيين المحليين لأنه من المحتمل إذا أجيب إلى طلبه بتوكيل محامٍ من طهران، ربما يلجأ إلى توكيل محامٍ من لندن فيما بعد، يطيلَ أمد المحاكمة، ويكثر تأجيلاتها، وقد رد عليهما القاضي محمد بانه لو كان ذا علاقة وثيقة بلندن، لما قدم للمحاكمة، مدللاً على أنه لم يفقد ثقته الوطيدة وموهبته في إدارة الحوار والمجاملة. واختار القاضي محمد أخيراً، بعد تقليص الانتظار أمامه للدفاع عنه رئيساً في حامية مهاباد اسمه شريف.

وفي ٩ كانون الثاني دافع القاضي محمد عن نفسه معترضاً على الإجراءات غير القانونية التي تتبع معه، فليس من حق أية محكمة عسكرية في مهاباد النظر في قضيته، فهو بصفته رجلاً مدنياً من المفروض تقديمه لمحكمة مدنية، أو أمام محكمة عسكرية في طهران، واحتج بأنه إضافة إلى ذلك لم تعطه المحكمة الوقت الكافي لاختيار محاميه. وقد رفضت المحكمة هذه الاعتراضات، وواصلت المحاكمة. وأوجزت لائحة الاتهام التي وضعها، وقدمها العقيد فيوزي في اثنتين وعشرين نقطة متفاوتة الأهمية، وقد حاول الادعاء العام بكل ما يستطيع اعتباره إدانة ومن ذلك ذكر بعض الأفعال زاعماً أنها شكلت خرقاً للدستور الإيراني.

وهكذا أدخل في لائحة الاتهام، تأسيس الجمهورية الكردية في ٢٢ كانون الثاني، وضم الرتب العسكرية، وتوزيع السلاح، وتبديل العلم، واستقاء من المصادر المتوفرة بنية القاضي محمد دفاعه على الإدعاء بأن الحكومة الإيرانية لم تكن قادرة على ممارسة سلطتها في

كردستان بعد الاحتلال السوفييتي سنة ١٩٤١، وعليه فإنه هو وحكومته ملأا فراغاً، وأخطرا مكرهين على التعاون مع الاتحاد السوفييتي، تماماً، كما أرغمت الحكومة الإيرانية في طهران على التضامن مع (الاتحاد السوفييتي) في مناسبات مختلفة. أما بخصوص العلم الكردي فقال بأنه لا يوجد أساس قانوني لوضع الألوان الثلاثة للعلم الإيراني الأحمر والأبيض والأخضر، بالنسبة لبعضنا البعض، وعليه فإن عكس ترتيبها لا يعتبر بأي حال من الأحوال خرقاً للدستور. وعندئذٍ أشار الادعاء إلى الشعار الكردي الذي ظهر على بعض الأعلام ولم يستطع المتهمون تفنيد ذلك.

وواصلت اللائحة إحصاء الاتهامات، مستندة إلى الاشتباكات التي أزهقت خلالها أرواح الإيرانيين واحدة واحدة، وتبدأ من الهجوم على مخفر شرطة مهاباد سنة ١٩٤٣ مروراً بقهراوه، ومنتهية بتعليمات القاضي محمد، بمقاومة دخول الجيش الإيراني كردستان، إلا أن الدفاع حاول تبرئة نفسه، وأقاربه من جميع الاصطدامات والإصابات العسكرية. ولم يسر مركز القاضي محمد إلى الأحسن عندما، تمكن الإدعاء من إقامة الدليل في المحكمة على قيام زوجته بتقديم (١٤,٠٠٠) توماناً أي حوالي (٢,٨٠٠ دولاراً) لوكيل الدفاع، لشحذ اهتمامه بالسجين. واضطر الرئيس شريف إلى إعادة المبلغ للمحكمة. ثم اكتشف بأن مبلغاً إضافياً مقداره (١١,٠٠٠) توماناً. كان دفع إلى ضباط آخرين، ليدافعوا عن القاضي محمد. واستعادت المحكمة هذا المبلغ أيضاً، وقد أعيد فيما بعد المبلغان بناء على أوامر من طهران إلى زوجة القاضي محمد والتي كانت قد أصبحت آنذاك أرملة.

وقد تركز الاهتمام ضد سيفي القاضي على كونه قد ارتدى بزة جنرال، وقام بثلاث رحلات إلى باكو، واشترك في القتال. وادعى في الدفاع عن نفسه بأن السلطات في تبريز كانت قد وافقت على زيارته للاتحاد السوفياتي، وبأنه بعد تعيينه حاكماً لها بمهاباد، وفق بنود اتفاقية بيشوري - فيروز توقف عن ارتداء البزة. وادعى بالإضافة إلى ذلك أنه لم يكن من العدل اعتباره مسؤولاً شخصياً عن الاصطدامات المسلحة.

وادعى صدري القاضي الذي كان قد مضى معظم ديمومة الجمهورية في طهران، كعضو في البرلمان، بأن حصانته البرلمانية تحميه خلال فترة نيابته، وأضاف قائلاً لأنه إذا ما كان قد اقترف جرماً منذ الانتهاء مدة نيابته، فإن قضيته يجب أن ترفع أمام محكمة مدنية لا عسكرية. إلا أن تهمة كونه قد تكلم دفاعاً عن فكرة المقاومة الكردية في جامع عباس آغا بتاريخ ٦ كانون الأول، كانت صحيحة، وأساءت إليه كثيراً في ٢٣ كانون الثاني، بعد إثنين وسبعين ساعة من المداولة السرية، حكمت المحكمة العسكرية الخاصة بالموت على السجناء الثلاثة. وأرسل الحكم إلى طهران، وسط شائعات مفادها أن العقوبة ستخفض، وحققت في القضية هيئتان تمييزيتان وأقرتا الحكم الأصلي، وقد تأخر من وجهة نظر مسؤولي مهاباد، وصول الأوامر بتنفيذ حكم الإعدام، وكانت للجنرال همايوني مخاوفه، لذا أرسل العقيد فيوزي، إلى طهران مع جميع المستندات اللازمة، مستفسراً عن سبب التأخير، وأخبر فيوزي في طهران بأن الأحكام قد أقرت بدون تأخير، كما نالت موافقة قوام، إلا ان (الاعتبارات السياسية) تطلبت تأجيلاً آخر.

وفسر هذا على أن قوام في حاجة إلى المزيد من الوقت ليفاوض السفارة السوفييتية حول العلاقات الإيرانية السوفييتية، وخاصة حول امتيازات النفط. وأخيراً عندما وصل أمر تنفيذ أحكام الإعدام إلى أذربيجان في ٣٠ آذار كان الجنرال همايوني والعقيد فيوزي في رضائيه، يوجهان عمليات ضد البارزانيين وردت برقية لاسلكية مرسلة إلى مهاباد في ذلك اليوم نفسه، تسمح بتنفيذ أوامر طهران في وقت مبكر من صباح اليوم التالي.

بعد إعدام القاضي محمد وشقيقه وابن عمه، ببضعة أيام، صدرت بحق ثمانية وعشرين من أعضاء الحكومة الكردية وضباط الجيش الذين أوقفوا مع من نفذ بهم حكم الإعدام، أو استسلموا فيما بعد، أحكاماً بالسجن تتراوح معظمها بين سنتين وخمس عشرة سنة. ولم يحكم سوى ثلاثة فقط بالسجن المؤبد، الذي خفض فيما بعد إلى السجن مدة خمس عشرة سنة. وكان أربعة عشر قد هربوا إلى العراق أو أماكن أخرى، لتجنب العقوبة، وبالإضافة إلى آل قاضي الثلاثة شنق خمسة آخرون من الأكراد في أوائل شهر نيسان، وكان أحدهم الرئيس الأول علي خان شيرزاده الذي شنق في بوكان والأربعة الآخرون، وهم كل من الرئيس حامد مزوجي والملازم محمد فاطمي والملازم رسول نازمدي، والملازم عبدالله روشا نفكر، وشنقوا في مهاباد. اتهم جميع هؤلاء الضباط الأكراد بمسؤولية تجاه قتل أفراد الجيش الإيراني ضمن أو على حدود الجمهورية الكردية، وليس واضحاً في أي مستوى اتخذ القرار النهائي بإعدام آل قاضي الثلاثة، ولكن المعروف أنه كان في الجيش الإيراني والحكومة الإيرانية انقسام في الرأي آنذاك حول الموضوع

ولقد سادت الفئة المتطرفة في آخر الأمر، ويمكن الافتراض بأن هذه الفئة كانت تحت سيطرة الضباط العسكريين، وبناء على ما يفيد به بعض الشهود اغتاظ بشدة ضباط المحكمة لدى قراءة رسالة مكتوبة من قبل القاضي محمد قبل شهرين، إلى القائد العسكري في سقز. أشار في سياقها إلى بيتين مشهورين للفردوسي:

(نحن نفضل أن نموت واحداً تلو الآخر على تسليم وطننا للعدو)

كان القاضي محمد، قد قال في رسالته أنتم ضباط جيش انقلبتم على أعقابكم، يوم القتال كما قال الفردوسي في شعره.

إننا ندير ظهورنا واحداً إثر الآخر للعدو

بدلا من أن نموت من أجل وطننا

كانت إهانة مميتة، كهذه لشرف الجيش الإيراني، وهي أقوى باللغة الفارسية، مما هي عليه مترجمة، بالنسبة للكثيرين من الضباط الحاضرين، جريمة لا تغتفر، وكانت من ذلك النوع من القضايا العاطفية التي أضرت بالسجناء إلى أقصى درجة من الأضرار.

ولم يكن سيفي ابن عم القاضي محمد، وحسب، بل إنه بصفته وزير الحربية كان بين أولئك الذين اعتبرهم الجيش الإيراني في رأس قائمة الأشخاص المستحقين للعقاب. ويبدو أن صدر القاضي كان أكثر الثلاثة براءة، لأنه نادراً ما أقام في مهاباد. وعمل في عدة مناسبات كرجل سلام بين السلطة المركزية والسلطة الكردية. إلا انه انتقد بشدة الجيش الإيراني في بعض خطبه التي ألقاها في البرلمان. كما أنه كان قد دعا إلى المقاومة العشائرية بجامع عباس آغا بتاريخ ٦ كانون الأول.

ومهما كانت أسباب قسوة الأحكام، فإن الكثيرين من المراقبين الإيرانيين والأكراد يقولون الآن بأنه كان في مصلحة إيران إظهار الحلم في معاملة أفراد عائلة آل قاضي. إن هذه القضايا لا يمكن الحسم فيها إيجابياً بشكل أو بآخر، إلا أن الحقيقة باقية، وهي أن الروح التي بعثت القومية الكردية في إيران بشكل رهيب بين عام ١٩٤٣ و١٩٤٦ لا تزال موجودة في مهاباد وأماكن أخرى في كردستان.

## المشهد الأخير

إن عدداً من البارزانيين العائدين إلى العراق ومن ضمنهم الشيخ أحمد وأربعة من الضباط ومعظم النساء والأطفال، سلّموا أنفسهم فوراً إلى السلطات العسكرية. غير أن جزءاً لا يستهان به من القوة البارزانية العسكرية بقيادة الملا مصطفى بقيت متماسكة رغم تفرقها إلى عدة فئات منتشرة في أماكن عدة من الزاوية الشمالية الشرقية للبلاد، وقد تجنب البارزانيون القتال بقدر الإمكان، أثناء ما كانت المفاوضات تجرى عن طريق أعضاء مجلس النواب في بغداد، وافترض بعض المراقبين في حينه بأن تأثير المعتدلين من الموظفين والمندوبين الأكراد في بغداد سيحقق العفو أو الرحمة على الأقل لضباط الجيش الأربعة الذين كانوا قد انحازوا إلى جمهورية مهاباد. إلا أن الحكومة المؤلفة من أغلبية عربية سائدة، والجيش العراقي لم ترق مشاعرهما، لذا أعدم في اواخر شهر حزيران كل من مصطفى خوشناو وخيرالله، ومحمد محمود، وعزت عبد العزيز ولم ينفذ حياة الأخير كونه في السابق مرافقاً شخصياً للوصي.

وقد قرر الملا مصطفى، الذي أحس أن السيادة كانت لجو الانتقام، في أواسط أيار اللجوء إلى بلد صديق على الأقل، بالنسبة لنفسه، وعدد من البارزانيين، فلم يكن له أي حل سواه، وقد أسقط من حسابه اللجوء إلى إيران، بسبب دماء ضباط وجنود الجيش الإيراني المقتولين في المعارك الأخيرة. كما لم يتوقع من تركيا أن ترحب بكردي قومي مزعج في منطقة يجري تحريرها من النظام العشائري. ولم يبق أمامه سوى الاتحاد السوفييتي، الواقع عبر نهر آراس على بعد حوالي ٢٠٠ ميل ولا يزال الغموض يكتنف الترتيبات التي وضعها أو الضمانات التي حصل عليها مقدماً من الاتحاد السوفيتي. فقد حسم الأمر بناء على ما أفادت به مصادر بارزانية عندما دعي الملا مصطفى لاجتماع عشائري أوضح فيه بأنه بالنسبة له وللآخرين القلائل لا يوجد مكان آخر يستطيعون اللجوء إليه غير الاتحاد السوفييتي.

وقال بأنه مستعد أن يأخذ معه أي رجل غير مكلف بإعالة أحد فاختار معظم المجتمعين البقاء بجانب الملا مصطفى، إلا أن عدداً من المتطوعين رفضوا ذلك لعدم توفر شروطه فيهم. وهكذا توجه أخيراً نحو الشمال بين (٥٠٠) و(٨٠٠) رجل.

في وقت مبكر من نهار ٢٧ أيار أخبر القائد المحلي للقوات العراقية الجيش الإيراني بأن البارزانيين عبروا الحدود إلى تركيا، في طريقهم على ما يبدو إلى إيران. وبعد ظهر ذلك النهار وقع بصر أحد أبناء نوري بك بكزاده على أولى جماعات البارزانيين قرب عين في وادي تركاور، ووصلت إخبارية إلى الجنرال همايوني أثناء رجوده في خوى، بانتظار وصول الشاه الذي كان يزور أذربيجان

للمرة الأولى بعد إعادة ضمها إلى إيران. وفي ٢٩ أيار كان البارزانيون يتحركون شمالاً، تاركين وراءهم تركاور، ويدخلون منطقة صوماي العائدة لعشيرة شكاك. إن الضباط الإيرانيين الذين طلب منهم قيادة العشائر الكردية الإيرانية الموالية، لم يفلحوا في زجها باشتباكات مع البارزانيين، إلا انهم أفلحوا في إبقاء القوات الداخلية تحت المراقبة. ولقد أشارت إحدى إخبارياتهم إلى أن البارزانيين كانوا يتحركون ببطء، هذا وأن جميع التقارير ذكرت بأن الملا مصطفى شوهد يسير مشياً على الأقدام بين أتباعه ولم ير على ظهور الخيول والبغال، غير الجرحى والحاجات الضرورية، وقد أصبح واضحاً لدى الجيش الإيراني في ٣٠ أيار بأن البارزانيين كانوا متجهين نحو الاتحاد السوفييتي، فأرسل عندئذٍ رئيس الأركان تعليمات تطلب سد الطريق أمام الملا مصطفى في وادي قوتور، وأرسل لتلك الغاية لواءين من خوى، في حين توجهت طوابير أخرى شمالاً باتجاه باكو ولكن الأخبار من تاريخ ٣١ أيار إلى ٢ حزيران منقطعة تماماً سوى أننا نعلم أن البارزانيين خلال تلك المدة قد تحركوا غرباً نحو الحدود التي عبروها بفترة قصيرة إلى داخل تركيا، ثم عادوا ثانية إلى أراضي إيران.

وعند شروق شمس ٣ حزيران شوهدت جماعة بارزانية شمال قوتور، تمكنت من التسلل من بين اللوائين الإيرانيين خلال الليلة الماضية دون أن يشعر بهم أحد.

وقد أرسل الشاه الذي كان آنذاك يزور أردبيل، تعليمات بوجوب الدخول في معارك مع البارزانيين فوراً. وقدم إنذاراً يقول بأن القادة الذين لا ينجزوا مهماتهم سيحاكمون أمام محاكم عسكرية. وكتبت

أوامر أخرى صادرة من رئاسة أركان الجيش، بلهجة أكثر تأنيباً من لهجة تعليمات الشاه، إلا ان. البارزانيين لم تكتشف مواقعهم في المنطقة الوعرة، الواقعة غرب خوى ولم يبصر لهم أثر إلا في ٩ حزيران في جبال سوسوز، في موقع يبعد خمسة وعشرين ميلاً شمال غرب خوى، عندما تعرض طابور من الجيش الإيراني لنيران بنادق وقنابل يدوية أطلقت عليهم في هجوم شنه جناح بارزاني، إضافة إلى عدد كبير من القتلى وأسر ستة عشر من الجنود الإيرانيين، ثم تحرك البارزانيون بعد المعركة إلى داخل الجبال الواقعة في الشمال الشرقي. وفي ١٠ حزيران شوهدوا في بقعة تقع على بعد خمسة وعشرين ميلاً جنوب شرقي جبال أرارات، وتشرف على سهل نهر آراس والحدود السوفييتية، التي كانت أقل من عشرة أميال إلى الشمال، وكان طول الطريق الذي قطعه البارزانيون ٢٢٠ ميلاً في مدة أربعة عشر يوماً. وأرسل الملا مصطفى في العاشر من حزيران اثنين من رجاله شمالاً عبر الحدود إلى داخل الاتحاد السوفييتي.

وخلال الأيام الخمسة التالية، تحركت وحدات من الجيش الإيراني من خوى وباكو، للتضييق على المواقع البارزانية، إلا أنها عندما وصلت نهر آراس يوم ١٨ حزيران، وجدت أعداءها كانوا قد عبروا النهر إلى داخل الاتحاد السوفييتي، خلال اليومين الماضيين، تاركين وراءهم بضع بنادق وقنابل يدوية وجثتي رجلين، كانا قد غرقا في النهر. كان هذا في نقطة مواجهة لنقطة الحدود السوفييتية في سراج لو. ولم يتمكن الملا مصطفى ورجاله من العودة إلى موطنهم مرة أخرى إلا بعد إحدى عشرة سنة وأربعة أشهر من ذلك التأريخ.

# الفصل السابع عشر

## خاتمة

ما الذي مثلته الجمهورية الكردية حقاً عام ١٩٤٦؟ هل مثلت نضالاً قومياً أم صراعاً وحشياً أم ثورة انفصالية خيالية؟ ما الذي تضمنته المشاركة البارزانية، هل كانت تتضمن مساهمة في قضية نبيلة أم محاولة أنانية لبسط النفوذ الشخصي والعشائري؟ ومنذ انهيار الجمهورية حتى الآن لم يصدر جواب على هذه التساؤلات، إلا ضمن إطار التحيزات الشخصية والقومية فقط. ولم أندفع إلى تقديم ما ذكرته من سرد لهذه القصة، إلا لأن الحقائق نفسها إضافة إلى تفسيراتها قد أخذت تدخل أجواء الغموض والاضمحلال.

وقد تغيرت مهاباد أثناء الست عشرة سنة الماضية، من حيث المظهر والروح فقد أصبح عدد سكانها (٢٢,٠٠٠) نسمة، يسيرون في الوقت الحاضر في شوارع مستقيمة ومعبدة ويتمتعون بالكثير من خيرات الحياة المعاصرة في المدن، والتي كانت مفقودة في سنة ١٩٤٦، كما أنها أصبحت مقراً عاماً للفيلق الثالث التابع للجيش الإيراني، ويمثل وجوده قوة مسلحة، احسن تدريبها وتجهيزها إلى

حد كبير من تلك التي ضغطت على حدود الجمهورية سنة ١٩٤٦ وطاردت . البارزانيين، إلى أن أخرجتهم من البلاد. ويعود الفضل في تحسين المظهر الخارجي لمهاباد ومدن كردية اخرى، إلى القيادة الديناميكية لضباط الجيش الإيراني، من أمثال الفريق كريم فاراهرام الذي قاد الفليق الثالث من سنة ١٩٥٥ إلى ١٩٦٠.

والحالة في مهاباد الآن أكثر رفاهية، مما انت عليه خلال سنة ١٩٤٥، ١٩٤٦ إلا أن سكانها، لا يزالون أكثر حيوية وأقل تحفظاً مما كانوا عليه قبل سنة ١٩٤٦. لانتشار وسائل الثقافة وازدياد الخبرات العلمية، أصبح مواطنو مهاباد أكثر احتكاكاً بالعالم الخارجي وأقل سذاجة مما كانوا عليه في عهد الجمهورية. لقد عاد منذ زمن غير قليل المواطنون السابقون للحكومة الكردية إلى أعمالهم في المدينة، كما وأن الحقد المرير الذي تفجر بعد عمليات الإعدام في ٣٠ آذار سنة ١٩٤٣، قد تبدد تدريجياً بمرور الزمن، غير ان دور آل القاضي الثلاثة لا تزال تبعث الحزن في النفوس، لأن نزلاءها من العشائر فقط. كما أن رجال عشائر المنطقة لا يحملون أي سلاح، إلا أنهم يحتفظون بهيئاتهم الوقورة وملابسهم الزاهية الألوان. ولقد توفى بعض زعمائهم البارزين كعمر خان من شكاك وعلي خان من ديهبوركي، ويبقى آخرون ليتذكروا الأيام الماضية، ويبنوا صرح المستقبل. أما التنظيم القومي الكردي فقد أصبح سرياً يضم عدداً قليلاً من الشباب المتطرفين، ولم يندثر الشعور القومي لدى أغلبية الأكراد، رغم هويتهم الكردية المتحيزة ضمن الأسرة الإيرانية، ولكنها اكتسبت انجذاباً شديداً إلى الشيوعية السوفييتية، واتحاداً تعاطفياً مع الحركة الكردية القومية التي تثبت

أقدامها في العراق مؤخراً، وقد تركزت الأماني القومية الكردية في العراق، منذ أن مكنت ثورة ١٩٥٨ الملا مصطفى ورجال عشيرته البارزين من العودة إلى الوطن، واستقبل نظام الحكم الجديد البارزانيين استقبال الأبطال في بادئ الأمر، فأجاز الحزب الديمقراطي الكردستاني (في العراق)، الذي ترأسه الملا مصطفى، وسمح له بنشر دعوته. إلا أن المطالب القومية الكردية تعددت، وأدت فيما بعد إلى أن تندلع في كردستان العراق في أيلول سنة ١٩٦١ أوسع ثورة مسلحة في تاريخ الأكراد. كان الملا مصطفى في الشمال، زعيم تآلفي عشائري، ورئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني، في حين أخذ المبادرة في رانية الواقعة في الجنوب من منطقة بارزان، عباس حمند آغا، زعيم عشيرة آكو، وإلى الجنوب من رانية أي في لواء السليمانية عرض على الحكومة العراقية تآلفاً آخر لزعماء العشائر الكردية، وأعضاء الحزب لأسباب خاصة بهم، ومرة أخرى دعت الحكومة المركزية الشيخ رشيد لولان ليقاوم البارزانيين، إلا أنه فشل في مسعاه سنة ١٩٦١ كما فشل في سنة ١٩٣١، وفي أثناء ذلك يجد الهركيون الحل، إن هجرتهم السنوية من سهول أربيل عبر الأراضي البارزانية، إلى الحدود الإيرانية مليئة بالحوادث، كما كانت مليئة بها سنة ١٩٠٦ عندما زار مارك سيكس المنطقة. وكما كان السلاح الرئيس المستعمل من قبل الحكومة العراقية، ضد العشائر في السنوات ١٩٣٢ ـ ١٩٤٣ ـ ١٩٤٥ ـ هو القوة الجوية، المجهزة الآن بمقاتلات ميغ النفاثة، التي تشكلت في مهاباد بعد تلك الزيارة إلى باكو سنة ١٩٤٥ والتي حرفت الحركة الكردية نحو الأهداف السوفييتية، بل يعيد إلى الأذهان ايام الكومه

أقدامها في العراق مؤخراً، وقد تركزت الأماني القومية الكردية في العراق، منذ أن مكنت ثورة ١٩٥٨ الملا مصطفى ورجال عشيرته البارزين من العودة إلى الوطن، واستقبل نظام الحكم الجديد البارزانيين استقبال الأبطال في بادئ الأمر، فأجاز الحزب الديمقراطي الكردستاني (في العراق)، الذي ترأسه الملا مصطفى، وسمح له بنشر دعوته. إلا أن المطالب القومية الكردية تعددت، وأدت فيما بعد إلى أن تندلع في كردستان العراق في أيلول سنة ١٩٦١ أوسع ثورة مسلحة في تاريخ الأكراد. كان الملا مصطفى في الشمال، زعيم تآلفي عشائري، ورئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني، في حين أخذ المبادرة في رانية الواقعة في الجنوب من منطقة بارزان، عباس حمند آغا، زعيم عشيرة آكو، وإلى الجنوب من رانية أي في لواء السليمانية عرض على الحكومة العراقية تآلفاً آخر لزعماء العشائر الكردية، وأعضاء الحزب لأسباب خاصة بهم، ومرة أخرى دعت الحكومة المركزية الشيخ رشيد لولان ليقاوم البارزانيين، إلا أنه فشل في مسعاه سنة ١٩٦١ كما فشل في سنة ١٩٣١، وفي أثناء ذلك يجد الهركيون الحل، إن هجرتهم السنوية من سهول أربيل عبر الأراضي البارزانية، إلى الحدود الإيرانية مليئة بالحوادث، كما كانت مليئة بها سنة ١٩٠٦ عندما زار مارك سيكس المنطقة. وكما كان السلاح الرئيس المستعمل من قبل الحكومة العراقية، ضد العشائر في السنوات ١٩٣٢ . ١٩٤٣ . ١٩٤٥ . هو القوة الجوية، المجهزة الآن بمقاتلات ميغ النفاثة، التي تشكلت في مهاباد بعد تلك الزيارة إلى باكو سنة ١٩٤٥ والتي حرفت الحركة الكردية نحو الأهداف السوفييتية، بل يعيد إلى الأذهان ايام الكومه

له في إيران، وحزب هيوا في العراق عندما كان رجال العشائر يتبعون بتحد المفاهيم المثالية، عن الحرية بأساليبهم التقليدية، ومرة أخرى تحمل السلاح بدوافع شتى عشائر أحد أقسام كردستان في صراع ضد عدو متفوق في العدة والعدد. إن الحوافز للقتال ليس في بعض الحالات أكثر من الاعتقاد الكردي التقليدي القديم القائل (القتال خير من الكسل). ويمكن أن يتنبأ المرء بالمستقبل، استناداً إلى إطلاعه على ماضيهم، بأن الأكراد سكان الجبال النائية، والأودية المنفصلة عن بعضها البعض، سينسون أحياناً أو يتجاهلون. وعندئذٍ بدافع العزيمة أو روح المجازفة، سيسمع مرة أخرى عن بعض الشخصيات التي لعبت دورها في هذه القصة، وعن آخرين أصغر عمراً لعلهم غير معروفين في مهاباد.

# الخاتمة

إن النهاية المفجعة التي آلت إليها جمهورية مهاباد، لم تخلف وراءها إلا ذكريات حزينة عن الآمال الكبيرة التي تخفق في قلوب أبنائها من الأكراد، والتي كانت تجسد لهم مستقبلاً كردياً مشرقاً، تتحقق في ظلاله المطامح القومية، وترفرف فوقه راية السيادة الكردية بالحرية والكرامة والحياة السعيدة...

إن كل الجهود الضخمة والمساعي الجسيمة والتضحيات الكثيرة التي بذلت دونما حساب، ذهبت أدراج الرياح، وكأنها لم تكن شيئاً مذكوراً. وعادت مهاباد، بعد أن تمتعت بالاستقلال الذاتي والحكم الجمهوري والإدارة المستقلة، وتخلصت من الخضوع لسلطة سوى سلطتها وسلطة أبنائها إلى حظيرة الحكم الإيراني تأتمر بأوامره، وتنفذ مشيئته أيّاً كانت دون قيد أو شرط.

إن عاماً وأربعة أشهر من الاستقلال، بدأت بكانون الثاني ١٩٤٦ وانتهت بآذار ١٩٤٧، مرت على سماء مهاباد مرور الحلم اللذيذ الذي يعانق الأجفان برهة من الزمن ولا يلبث أن يتلاشى تاركاً وراءه اللهفة المحرقة والحسرة المرهقة... إن ذلك الحلم الجميل، الذي لم يعمر سوى عام ونصف، ما هو إلا غفلة من الزمن غشت جبال كردستان الإيرانية ووديانها بفرحة غامرة، لو قيض لها الدوام

لكان أبناء كردستان الإيرانية على غير ما هم عليه اليوم من الخضوع لحكم عرش الشاه.

غير أن ذكريات الجمهورية، لم يستطع ولن يستطيع الزمن أن يدثرها في نفوس أبنائها، والذين عاشوا الحرية في ظلال خفقان علمها الحر ونفوس الجيل الذي لم تكتمل عينه بمرآها، بل وصلت إليه أخبارها عن طريق الذين شاهدوها وذاقوا حلاوة طعمها، وتمتعوا، ولو وقتاً قصيراً بطيبات نعمها. وسوف تبقى هذه الذكريات التي تعيش في نفوس الأكراد الإيرانيين وقلوبهم، تشكل أعظم تهديد للحكم الإيراني في المناطق الغربية والشمالية الغربية، التي ستظل بفعل ذلك موطناً للتمردات والوثبات والانتفاضات، وسوف يزيد من أوارها العنف الذي يستخدمه العرش الإيراني في إخماد أية حركة منها تهب بين الآونة والأخرى.

ومن أعظم الذكريات المهابادية الخالدة في نفوس الأكراد الإيرانيين تأثيراً وأعمقها ألماً، المشهد المحزن الذي عرض في صبيحة أحد الأيام بعد سقوط الجمهورية، والذي ظهرت فيه جثة القاضي محمد رئيس الجمهورية، معلقة على عود المشنقة وإلى جانبها جثتا قريبيه، اللذين كانا من رجال الجمهورية البارزين ومن أصحاب الأدوار المهمة في تأسيسها، فليس أمض في النفس الإنسانية عموماً ونفس أصحاب القضية خصوصاً من رؤية قادة مناضلين معلقين على أعواد المشانق، ليس إلا لوقوفهم إلى جانب قضية شعبهم ودفاعهم عنها.

لقد كانوا الضحايا الأول الذين مشت على جثثهم الجيوش الإيرانية الشاهنشاهية، لتنفيذ بقية الفصول الإرهابية تجاه أبناء مهاباد

وغيرهم من سكان المناطق الكردية الإيرانية. وبسط النفوذ الشاهنشاهي المستبد على تلك البقعة، بأبشع أنواع الأساليب التسلطية الغاشمة وأحدثها ابتكاراً ووحشية فكيف حدث ذلك؟ وهل كان من الممكن وضع حل لتلافيه؟ أم هل أنه قضاء وقدر لا بد أن يجرى وقوعها كما يستنتج ذو العقول المحدودة من قصيري النظر؟ وما هي الأسباب التي أنزلت تلك الجمهورية الغنية من ذروتها الحصينة الشامخة إلى الحضيض؟

هذه الأسئلة وكثير غيرها، تدور في شفاه العارفين بأخبارها والذين يقرأون أو يسمعون قصتها المؤلمة. ويحاولون أن يعثروا على إجابة تشفي غليلهم وتريح أذهانهم من إطلاق أعنة الفكر في كل جانب لعلها تسعفهم بما يبحثون عنه.

لقد رأينا كيف حدث تأسيس جمهورية مهاباد، وعرفنا الأسباب التي دفعت إلى تأسيسها والعوامل التي ساعدت على ذلك، كما تهيأ لنا الإطلاع على نهايتها والمضاعفات التي أدت إليها، وقد تحدث لنا المؤلف بكل صبر وأناة ودقة عن ذلك بكل تفصيل ممكن وبالقدر الذي آزرته به المصادر التي طرقت هذا الموضوع، والمشاهد التي وقف عليها بنفسه، وكانت حصيلته المستمدة من المعلومات والمشاهد غنية إلى حد كبير ووافية بالأجوبة على تلك الأسئلة غير أننا نحبذ أن نستخلص بصورة مختصرة، ربما تكون أكثر دقة مما أجاب عنه، بسبب انشغاله بسرد الأحداث الطويلة المليئة بالأرقام وأسماء الأماكن وتواريخ المعاهدات والمباحثات. إجابة مما كتبه عن كل هذا بقصد توفير الجهد والعناء على القارئ، فربما تكون عملية الفرز ذات صعوبة أثناء الانغمار بمتابعة الحوادث المتزاحمة.

وقبل أن نعرض لتخليص الإجابة، ينبغي لنا التوفر على نبذة موجزة عن مهاباد وتأسيسها. وإن كل ذلك جلياً. للتسلسل بصورة تلقائية إليها. لا شك أن الدوافع الأساسية التي أدت إلى قيام هذه الجمهورية، هي دوافع قومية بالدرجة الأولى، ومستندة بالدرجة الثانية إلى عوامل اقتصادية، ومما هيأ الجو الملائم لهذه البواعث أن تتنفس بشكل تجمعات قبلية ناقمة، لتتبلور بعد حين عن تجمع سياسي بشكل ابتدائي. الكومه له. وتلجأ هذه الأخيرة إلى حل نفسها وتشكيل حزب سياسي، أو تنظيم حديث محكم أدى منهج واضح وأهداف سياسية محدودة هو. وإضافة إلى النضوج الثوري الذي خلقه الاستياء العام المتراكم والمتتابع والحركات الفاشلة المتتالية. مناخ الحرب العالمية الثانية الذي جعل القوات العسكرية المرابطة في الشمال الغربي من إيران، بموجب الاتفاقيات والمعاهدات المعقودة آنئذٍ بين الحلفاء وتوابعهم. تسعى إلى تحقيق مطامح الدولة، التي تنتسب إليها أي الاتحاد السوفياتي في تركيز نفوذها في إيران، للحصول على امتيازات نفطية في المنطقة الشمالية الغربية أولاً، ولبث مبادئها في الاشتراكية ببين السكان ثانياً، والسبب الثاني مرتبط بالسبب الأول ارتباطاً وثيقاً، حيث أنها عن طريق تكوين أعوان لها من حملة المبادئ الاشتراكية التي تدين بها تستطيع أن تفرض على الحكومة الإيرانية، وبواسطة صعود أعوانها إلى المجلس النيابي، عقد اتفاقات نفطية معها هذا في الحالة القصوى، أي في حالة فشلها بتشجيع سكان هذه المناطق ومساعدتهم على إقامة مناطق ذات حكم ذاتي مستقل في أبسط الاحتمالات، وجمهوريات مستقلة في حالة توفر الظروف الملائمة وحينئذٍ يتسنى لها عقد المعاهدات

النفطية مع هذه الجمهوريات دون عناء وبصورة يسيرة جداً.

وهكذا، قام الاستقلال الأذربيجاني الذي لعب فيه الشيوعيون الأذربيجانيون الإيرانيون الدور الحاسم، والذي كان محفزاً قوياً لقيام جمهورية مهاباد الكردية، بإثارته الحمية القومية في نفوس أبنائها.

ولما أتت الحرب العالمية الثانية على نهايتها ودب الذعر في قلوب الحكام الإيرانيين الذين خافوا بقاء تلك المناطق مقتطعة من كيانهم تحت حماية الاتحاد السوفياتي، وسرت عدواه إلى قلوب الإنكليز المتسلطين على إيران فعلياً، ونشطت المساعي الإنجليزية في مجلس الأمن وبمساندة الأمريكان، أرغم الضغط الدولي الاتحاد السوفياتي على سحب قواه العسكرية، ولم يكن له من يد إلى تقليل مساعدته التسلحية عن مهاباد، حيث أن استمراره بها يشكل خرقاً دولياً فاضحاً، غير أنه استمر بدعمها معنوياً، فارضاً عليها إلغاء النظام الجمهوري وإبداله بنظام الحكم الذاتي، ضمن إطار الدولة الإيرانية، ومهدداً إياها بكف يد مساعدته عنها كلاً، إن لم تستجب إلى طلبه وتتفاوض مع الحكومة الإيرانية.

ولما فشلت مفاوضات القاضي محمد مع قوام رئيس الوزراء، بسبب اتفاق السوفيات والقائمين على حكم مهاباد، بشكل منفرد على رفض مقترحات قوام بشأن منطقة مهاباد، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، سقوط وزارة قوام، وتشكيلها من جديد، دون إشراك التودويين، وقيام الوزارة الجديدة بانتخابات في أذربيجان كانت نتيجتها لصالح الحكومة الإيرانية مما أدى إلى ضرب العناصر اليسارية الاشتراكية الموالية للاتحاد السوفياتي، والقيام باعتقال بعضهم، مما أدى ذلك إلى إقامة سور منيع بين المساعدات السوفياتية لكل المناطق

المطالبة بحكم ذاتي من ضمنها جمهورية مهاباد، وكما سبب إفلاس السوفيات من الحصول على امتيازات نفطية.

هذا كله جعل جمهورية مهاباد تعيش اوضاعاً سلبية، تهدد بقاءها على تلك الحال ونستطيع أن نذكر أهم تلك الأوضاع السلبية بما يلي:

أ . بقاؤها وحدها بمواجهة القوات العسكرية الإيرانية، ودون أمل بالحصول على سلاح، ويمكنها من الثبات بموقعها في وجه الهجوم الإيراني.

ب . هبوط الوضع الاقتصادي بسبب اعتمادها على نفسها بإدارة شؤون الدولة التي لم تكن لها موارد كافية تسد احتياجاتها، ولم تنفع القروض التي حصلت عليها من الاتحاد السوفياتي، أن تنعش من حياتها الاقتصادية التي كان يتحمل الفلاحون فيها عبئاً، مثقلاً كواهلهم، لما قدموه من مساعدات للجيوش المرابطة في وحول مهاباد، لحمايتها مما يترقبها من الحملات الإيرانية.

ج . انفضاض بعض القبائل التي كانت تساندها عنها، أولاً ليقينها بأن جمهورية مهاباد منتهية لا محالة، بسبب تخلي السوفيات عنها، وثانياً لطمعها بنيل المغانم من الإيرانيين الذين انتصروا على أذربيجان، وهم في طريقهم للانتصار على مهاباد.

د . انتشار اليأس والفزع في نفوس كثير من السكان ورجال الجمهورية بفعل تلك الأسباب المذكورة مما خلق حالة يائسة في صفوفهم، لا يمكنها بأية حال من الأحوال من المقاومة، والثبات بوجه الهجمات المتوقعة بين لحظة وأخرى.

هـ . ارتفاع نشاط المعادين لحكومة جمهورية مهاباد الشخصيين

والتقليديين، وسط هذا المناخ الملائم، والمشبع باليأس والذعر والفوضى.

و ـ استعداد الزعماء القبليين للاستسلام والتخلي عن الوقوف إلى جانب الجمهورية لدى تعرضها إلى أي خطر داهم، وذلك بسبب ما لاقوه من الفشل الذريع بمخاصماتهم التي حدثت أثناء الحكم الجمهوري مع المثقفين السياسيين، الذين كانوا يرون فيهم مثالاً للتأخر.

كل هذه الأسباب المباشرة وغيرها، من الأسباب الثانوية الأخرى أدت إلى سقوط جمهورية مهاباد على أننا، وإن كنا مؤمنين بصحة هذه الأسباب، والتي فعلت في جسم جمهورية مهاباد، فعل المرض الفتاك الذي لا يرجى له شفاء، فإننا، وكما ذكرنا في المقدمة إن السبب الأساسي لسقوطها، والذي لو لم يكن لما تهيأت الظروف لنشوء هذه الأسباب المباشرة، هو عدم ارتكاز الجمهورية على قاعدة فكرية صلبة جامعة لجميع القائمين بتأسيسها.

ومهما يكن من أمر، فقد كانت النتيجة المحتومة التي جعلتها تدخل في ملفات التاريخ، مجرد ذكرى عاصفة، كان من المقرر لها لو بقيت أن تحتل الصدارة في تاريخ تلك الحقبة السياسة، والاجتماعي، وليس معنى ذلك أنها بقيت أثراً بعد حين وحسب، أو أنها ذهبت كما جاءت دون أن تترك ردود فعل ثورية قادرة على المواظبة على إشعال النقمة الثورية في النفوس، بل على العكس، إذ استطاعت أن تخلق لها صدى واسعاً لا يمكن أن ينتهي وقعه الصاخب، مهما تزاحمت حوله الأبواق المضادة طمعاً في إخفائه عن الأسماع.

وكيف يمكن لها أن يتم ذلك، وقد نشرت تلك الجمهورية

الرعب الهائل، لا في قلب النظام الإيراني حسب، بل في قلوب البريطانيين والأمريكان الذين نظروا لها نظرة بعيدة المدى لما يترتب على المبادئ التي بعثتها من آثار عميقة لا تحمد عقباها، سواء في نفوس سكانها أو في سكان المناطق المجاورة أولاً، ولتشكيلها تهديداً حقيقياً ماثلاً لمصالحهم النفطية وغيرها من المطامع الاستعمارية البشعة ثانياً، كم استغلت إلى جانب ذلك السياسة السوفياتية ذات المصالح الاقتصادية والفكرية زمناً طويلاً، وأقلقت بال مجلس الأمن، لما يتوقع أن ينشأ من وجودها من بلبلة واضطرابات ومخاصمات بين الدول الأعضاء في المجلس، ذات المصالح المختلفة، والتي تشكل مهاباد المحور في تحقيقها أو إحباطها.

وإضافة إلى كل ذلك من الآثار السياسية العامة والخاصة، فإنها خلقت مثلاً يحتذى بالتحرر من التسلط الأجنبي، وإقامة استقلال بين شعوب المنطقة وذلك بما قدمته لسكانها من المكاسب السياسية، كإطلاقها الحريات الديمقراطية، كحرية التفكير السياسي وحرية الرأي، كما أنها ضمنت السكان حقوقهم في جميع المجالات الحياتية بالتساوي، وأفسحت المجال لممارسة الأعمال التجارية بشكل يهيئ للمواطنين فرصاً متكافئة للاستثمار المعيشي، إضافة إلى تأسيس إذاعة حرة وصحيفة سياسية، تعبر عن مشاعر الجمهور إلى غير ذلك، مما يبشر بتكوين مستقبل أفضل لجميع المواطنين.

وهكذا كانت نهايتها المفجعة التي تجعلنا ننظر إليها اليوم بعين مليئة بالأسف، بالرغم من أنها لم تذهب جهودها العظيمة سدى ودون أية مردودات إيجابية.

**المترجم**

# الملاحق

**ملحق ـ ١ ـ**
**الزيارة الأولى لباكو**

قاضي محمد
حاجي بابا شيخ
علي آغا أمير أسد (ديهبوكري)
عمر اليار (ديهبوكري)
رشيد بك ـ هركي
نوري بك ـ هركي
طه ـ هركي
سيد محمد صادق (شيخ بوشو)
محمد أمين (شكاك)
حسن هوتارا ـ شكاك
حسن تيلو ـ شكاك
حاجي قرني آغا ـ مامش
كاكا حمزه نالوس ـ مامش
مجيد خان م ميان دواب
نوري بك ـ بيكزاده
هوركو بكرزاده
أحمد بك فيزالله بكي
بايز آغا كاورك
محمد حسين سيفي قاضي

**ملحق ـ ٢ ـ**
**مؤسسو الكومه له**

رحمن هلامي
محمد أمين شريفي
محمد خانه نازادي
رحمن ذبيحي
حسين قوردهار (رزكاري)
عبد الرحمن أمامي
ملا عبدالله داودي
قادر مدرسي
أحمد علمي
عزيز زندي
محمد باهر
مير حاج من العراق
قاسم قادري

**ملحق - ٣ -**

**الزيارة الثانية لباكر**

قاضي محمد

سيفي قاضي

مناف كريمي

علي ريحاني

قاسم إيلخاني زاده - ديهبوكري

عبدالله قادري - مامش

كاكه حمزه نالوس - مامش

نوري بك - بكزاده

**- ملحق - ٤ -**

**أعضاء اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكردستاني عام ١٩٤٦ والوزراء**

حاجي بابا شيخ

رئيس الوزراء ورئيس المحكمة العليا

**الوزراء**

محمد حسين سيف قاضي

وزير الحربية ونائب رئيس الجمهورية

مناف كريمي وزير التربية ونائب رئيس الجمهورية

عبد الرحمن إيلخاني زاده وزير الخارجية

سيد محمد أيوبيان وزير الصحة

اسماعيل إيلخاني زاده وزير الطرق

أحمد الهي وزير الاقتصاد

خليل خسراوي وزير العمل

كريم أحمديان وزير البرق والهاتف

حاجي مصطفى داودي وزير التجارة

محمد أمين معيني وزير الداخلية

ملا حسين مجيد وزير العدل

محمود فالزاويه وزير الزراعة

**الملحق - ٥ -**

**اعضاء اللجنة العليا للحزب الديمقراطي الكردستاني في مايس ١٩٤٦**

ملا حسين مجيدي

كريم آغا بيازيدي

عزيز عباس

شيخ حسين شمسي برهان

سيد علي حسين

علي خان مانكور دوزاري

عبدالله قادري مامش

قاسم إيلخاني زاده ديهبوكري

رحمن ذبيحي

نجم الدين توحيدي

محمد أمين خاتمي

هاشم يوسفي

**الملحق - ٦ -**

**المدراء العامون وشخصيات أخرى في الجمهورية الكردية في عام ١٩٤٦**

المدراء العامون:

صادق حيدري مدير الدعاية العام

علي ريحاني مدير تسجيل الأراضي العام

علي خسراوي مدير الشباب العام

غني خسراوي مدير الشؤون البلدية العام

أحمد علي مدير المالية العام

ب . المفتشون:

قاسم إيلخاني زاده مفتش

رحمن ذبيحي مفتش

نجم الدين توحيدي مفتش

ج . الشركة التجارية:

أحمد أمين معيني وزير الداخلية

قاسم أوتاش

رحمن فاليزاده

شاعر ومحرري جرائد

د . عبد الرحمن شرفكندي (هزار) شاعر قومي

سيد محمد جميدي محرر

جريدة كردستان

عبد الرحمن ذبيحي محرر جريدة نيشتيمان

النقيب حسن رحيم زاده

النقيب محمد زيد زاده

النقيب حامد مادوجي "مدير الشرطة العام"

**ملحق ـ ٧ ـ**

**القادة العسكريين وضباط جيش الجمهورية عام ١٩٤٦**

العميد محمد حسين سيفي قاضي، وزير الحربية

العميد ملا مصطفى

العميد عمر خان شريفي شكاك

العميد حما رشيد باز

الرائد جعفر كريمي "رئيس الأركان"

الرائد محمد تانه وزاده

الرائد علي خان زاده

الرائد محمد أمين شريفي

الرائد ابراهيم باي هلاج، آمر قوات مهاباد

النقيب خليل موفقي

**ضباط من كردستان العراق**

العقيد مصطفى خوشناو .
ضابط في الجيش العراقي

الرائد خيرالله من أربيل (نقيب سابق) ضابط في الجيش العراقي

النقيب محمد محمود قدسي (ملازم ثاني) ضابط في الجيش العراقي

العقيد عزت عزيز (ميجور) ضابط في الجيش العراقي

النقيب بكر خوشناو (كابتن) في الجيش العراقي

الرائد سيد أحمد سيد طه (كابتن) في الجيش العراقي

العقيد مير حاج أحمد (كابتن) في الجيش العراقي

العقيد سيد عبد العزيز كيلاني (نقيب) ضابط في الجيش العراقي

ملازم أول نوري شيرواني

ملازم أول عبد العزيز

شريف نعمان (ضابط مفوض) في العراق

النقيب نوري أمين

—

١) سفير بريطانيا في طهران آنذاك
٢) مستشار وزارة الداخلية العراقية عام ١٩٢٥ . ١٩٤٥
٣) الكوتيون هم سكان المناطق الجبلية المعروفة بجبال لورستان، وقد دون ملوكهم أخبارهم باللغة الأكدية، كما أنهم اتخذوا الحضارة الأكدية حضارة لهم، ولكنهم هاجموا الدولة الأكدية في ضعفها وسببوا خراباً لمدنها وتخلفاً لحضارتها وثقافتها، وقد ثارت عليهم مدينة الوركاء بقيادة أميرها (السومري أوتور حيكال) الذي نجح في القضاء عليهم وإنقاذ البلاد منهم.
٤) الكاشيون . القيسون/ قضوا على دولة بابل الأولى عام ١٥١٥ ق.م وحكموا فيها حتى عام ١١٥٨ ق.م حيث قضى عليهم العيلاميون.
٥) سايروس: مؤسس الأمبراطورية الفارسية نحو ٥٦٠ . ٥٢٩ ق.م، استولى على بلاد الميديين وآسيا الصغرى وبابل.
٦) هيرودوتس: ٤٨٤ . ٤٢٥ ق.م مؤرخ ورحالة يوناني، يلقب بأبي التاريخ، زار العراق وفينيقيا ومصر، ويعتبر كتابه التاريخ من أهم المراجع التاريخية.
٧) أكسينفون (زينفون) ٤٢٧ . ٣٥٥ ق.م، مؤرخ وقائد أثيني من تلاميذ سقراط أشهر كتبه الرحلة وصف فيه مسيرته بعشرة آلاف مقاتل من أعالي الفرات إلى البحر الأسود عبر جبال العراق الشمالية.
(*) باسيل نيكتين، الأكراد (باريس ١٩٥٨).
٨) شرفنامة: كتاب عن تاريخ الدول والإمارات الكردية ألفه بالفارسية، شرف خان البدليسي وترجمه إلى العربية "ملا جميل روزبه ياني" طبع بغداد ١٩٥٣ م، ١٣٧٢ هـ. وكانت طبعته الفارسية الأولى في مدينة "بطرسبرج سنة ١٨٦٠م، وفي القاهرة سنة ١٩٣٠م.
٩) الأكراد يتكلمون بلغة تتكون من أربع لهجات:
أ . اللهجة السورانية: يتكلم بها الأكراد الذين يسكنون منطقتي (سوران . كردستان العراق، سليمانية، أربيل، كركوك) ومكوريان . كردستان إيران، مهاباد . رضائية، نفذة، يوان.
ب . اللهجة الكلهورية: يتكلم بها الأكراد القاطنون كردستان الجنوبية الغربية . عشائر هورسات، كوران، شكاك (في إيران).
جـ . اللهجة اللورية: يتكلم بها الأكراد الساكنون في كردستان الجنوبية . الفيلية .

والبختيار في إيران والعراق.

د. اللهجة البادينية (زازا) يتكلم بها الأكراد القاطنون كردستان تركيا وسوريا وأرمينيا السوفييتية وشمال العراق. دهوك والموصل (والمعرب).

١٠) يقصد المؤلف موقعة حطين التي انتصر فيها القائد صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين عام ١١٨٧م.

١١) عادله خانم. كانت هذه السيدة هي المتنفذة والحاكمة في منطقة حلبجه عند غياب زوجها (عثمان باشا) وقد وردت أخبارها في رحلة الميجر سوان، حيث كان يقوم على خدمتها وتعليم أولادها.

١٢) تولى هذا حكم منطقة بوشان عام ١٨١٢ وهو يبلغ ١٨ سنة من العمر، وكان يسعى لإنقاذ الأكراد من وطأة الحاكم التركي، وقد أحرز وقوف بعض القبائل ومشايخها إلى جانبه، في ذلك الأمر، وقد ضرب عام ١٨٤٢ النقود باسمه ووسع نفوذه بالسيطرة على قلعة سنجارو (سعرد) و(ديران شهر) و(دوسرك) وأوصل سلطانه إلى قلعة (ديار بكر) بعد الاستيلاء على بلدة (ثنو) و(ورمية) وقد سقط أخيراً وقبض عليه عام ١٨٤٨ تحت هجمات الجيش العثماني بمساعدة خيانة أحد أقربائه له.

١٣) الشكاك: عشيرة كردية كبيرة متجولة، موطنها غربي بحيرة أورميا على الحدود، وكان اسماعيل آغا المعروف بسمكو رئيساً لهذه العشيرة ومن فروعها الشهيرة: شسفتي، موكري، شوملي شكال. ومن المشهورين في التاريخ: صادق خان، الذي كان له الأثر في قيام الدولة القاجارية والذي شق عصا الطاعة على الحكومة الإيرانية في عهد فتح علي خان سنة ١٧٩٦، ولكنه لم ينجح في مسعاه.

١٤) فريدريك جي. كون: الأيام الماضية في بلاد فارس وكردستان كيلرمونت أوه، وكاليفورنيا ١٩٣٩.

١٥) المنكور: قبيلة كردية تمتاز بالقوة تسكن على نهر صابلاغ، وهي فئة من بلباس المقيمة في منطقة أوشنوب رواوندوز. رانية.

١٦) مامش/ قبيلة تسكن في هيجان الجديدة ومركزها بلدة بسوة وهي فئة من بلباس.

١٧) نجفقولي بيسيان "من مهاباد الملطخة بالدم إلى ضفاف آراس" طهران، كانون الأول ١٩٤٩.

١٨) الجلالي والميلان عشيرتان كرديتان تقيمان، في أطراف آرارات (ما بين نهر الرسن وجبل سوكار) بأطراف كالين وباكو، والجلاليون هم المتمردون الذين ثاروا في فترة من الزمن بالأناضول بزعامة جلال الدين أحد زعمائهم.

١٩) يسمي المؤلف العهد الملكي الذي مر في العراق بالحكم المستقل، ولكن الحقيقة

أن العراق، وكما هو ثابت لم يستقل تماماً إلا في ١٤ تموز ١٩٥٨، أما قبل ذلك فهو استقلال شكلي.

٢٠) بافروف: حوكم ونفذ فيه حكم الإعدام بتهمة الخيانة. لتعاونه مع لافرتيني (بيريا) في نيسان ١٩٥٦.

٢١) القاضي محمد. وصفه روزفلت بأنه رجل في الخمسين من عمره، نحيف أصفر الوجه، خفيف اللحية. يرتدي معطفاً عسكرياً، قليل الأكل. يشكو من مرض المعدة، حريص على شعبه، مهتم بأحوال الأمم والشعوب. واسع الفكر، ذو معرفة بعدة لغات هادئ الطباع.

٢٢) كان ذلك الرائد مير حاج من مدينة زاخو، وهو أحد مؤسسي حزب هيوا، رحل إلى الاتحاد السوفياتي، وعاد إلى العراق عام ١٩٥٨ بعد ثورة تموز التي انبثقت فيها الجمهورية العراقية في ذلك العام.

٢٣) معظم المراجع الإنكليزية تترجم كلمة (زيان) بمعنى شباب، وبموجب هذه الترجمة، يصبح اسم الحزب (لجنة الشباب الكردي)، إلا أن الكلمة الكردية التي تعني شباب هي جوان وليست (زيان).

٢٤) المعرفة على أسماء أعضاء اللجنة المركزية والأعضاء المؤسسين للكومه له، يراجع ملحق ٢ و٤ في باب الملاحق المرفق بآخر الكتاب.

٢٥) ماركس سايكس (التراث الأخير للخلفاء) لندن ١٩١٥، ص ٤٣٣.

٢٦) جي. أف. برنز. الحديث بصراحة، لندن ١٩٤٧، ص ١٢٠.

J.F. Byrnes Spedking Frankly, London 1947, p.120.

٢٧) سير ريد ربولارد (على الجمال أن تذهب) لندن، ١٩٦١.

٢٨) ج لنكز ديسكر، روسيا والحرب في إيران (نيويورك).

٢٩) نيويورك تايمس، ٦ نيسان ١٩٤٦.

٣٠) راجع الملحق رقم (٢) للإطلاع على الأسماء.

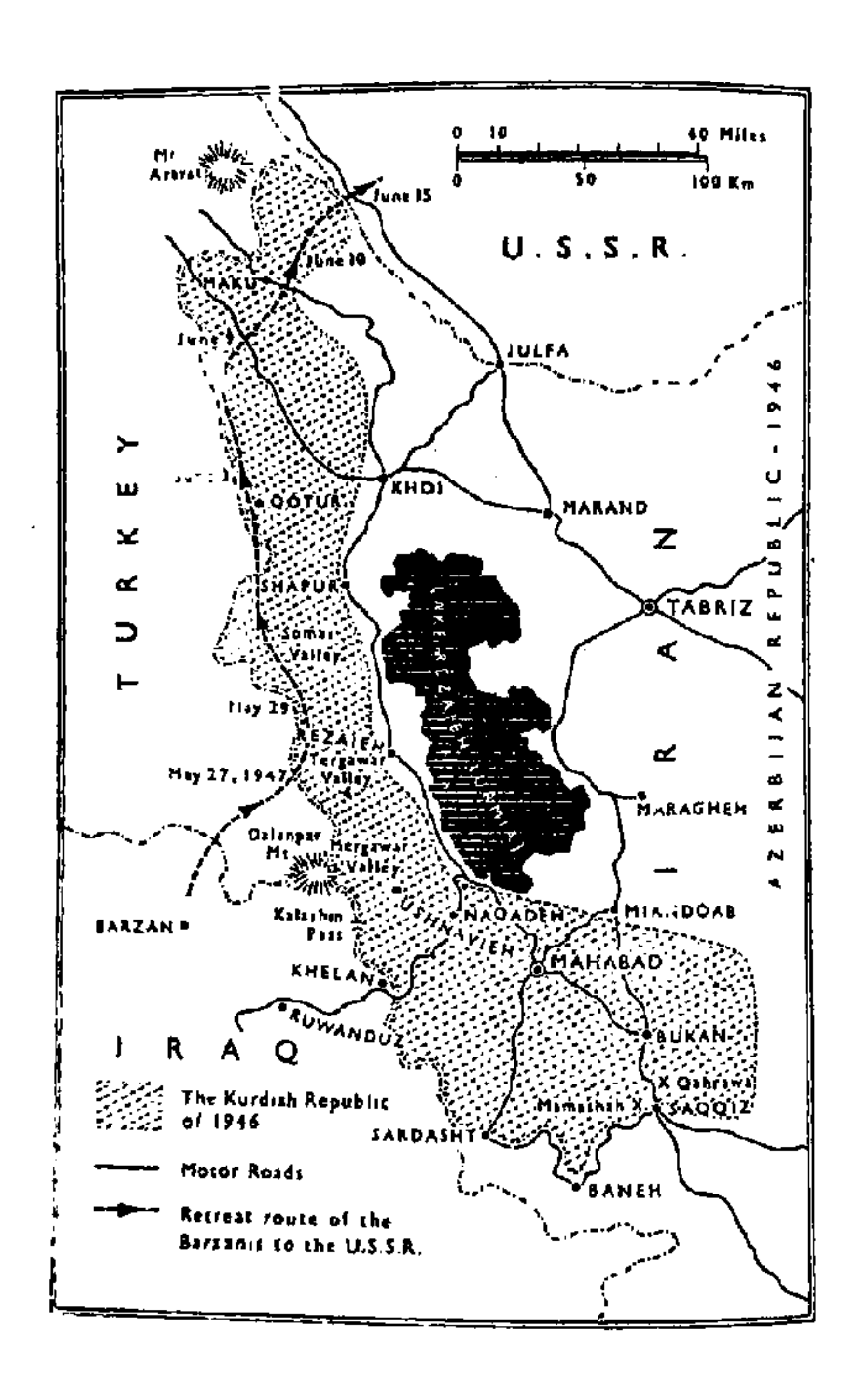
٣١) روبرت روسو (الابن) معركة أذربيجان، سنة ١٩٤٦، ميدل إيست جورنال، شتاء ١٩٥٦.

٣٢) راجع الملحق رقم (٤).

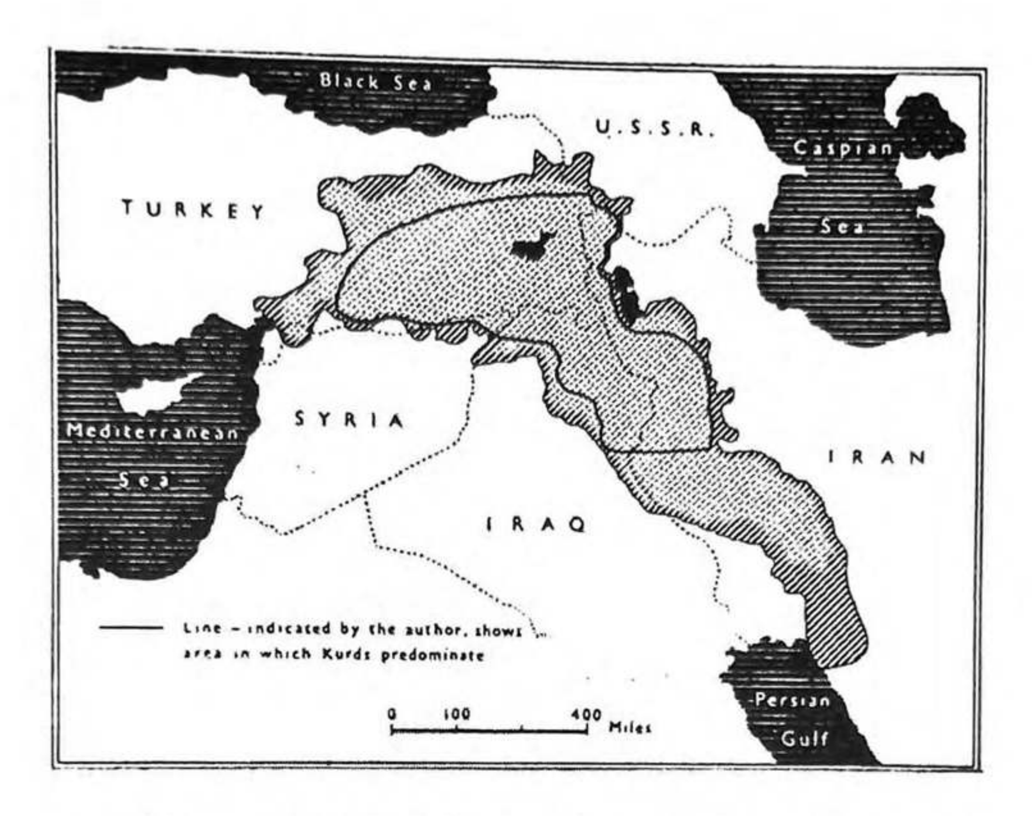
٣٣) جمهورية مهاباد الكردية. أرنشي روزفلت، مجلة ميدال إيست، عدد تموز ١٩٤٧.

٣٤) روسو. في ميدل إيست جورنال، الشتاء ١٩٥٦.

٣٥) اسم الكتاب الفارسي. بيسيان أزمهاباد.




الحدود للجمهورية الكردية مواقع المعارك . وطريق تراجع البرازانيين إلى الاتحاد السوفيتي



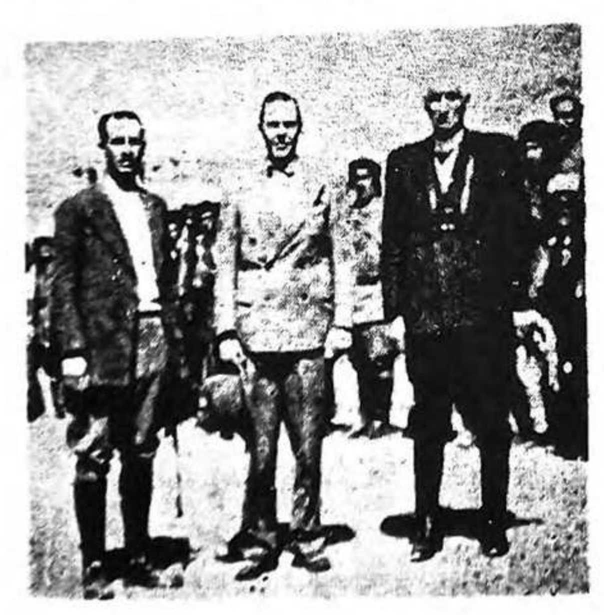

كردستان الكبرى التي طالب بها القوميون الأكراد وكردستان كما عرفها المؤلف



المساجين الأكراد ربيع ١٩٤٧ . الصف الأسفل: سيد محمد أيوب يان، ابراهيم نادري، محمد أمين شريفي، أحمد لهى. الصف الأسفل (الواقفون): كريم أحمد يان، مناف كريم، حسين فرهار، عزيز كرمند، اشترك في الهجوم على مخفر الشرطة، سيد كهزير نظمي، مدير الشرطة سيد محمد إيشاكي، آمر حامية مهاباد.




معظم كوردستان العراقية والإيرانية تشير إلى المناطق العشائرية الرئيسية



حبيب عامري السفير الأميركي، جورج الخامس، الن وعامر خان شريفي شكاك في قرية زمدشت آذار ١٩٤٧



قوام السلطنة / رئيس الوزراء الإيراني، جالس، مع مظفر فيروز ١٩٤٦



القاضي محمد في مكتبه أثناء زيارة الكابتن روزفلت أيلول ١٩٤٦



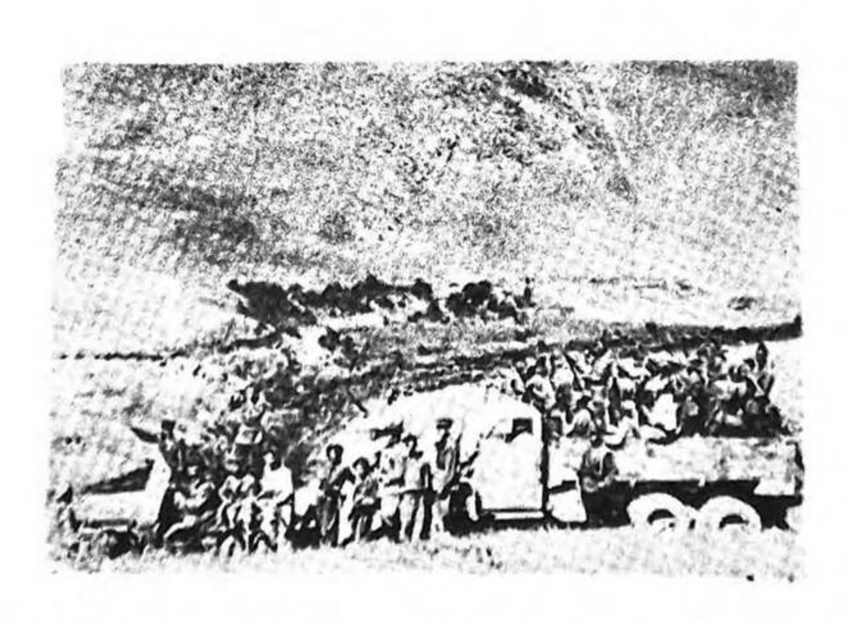
القضاة الثلاث
محمد حسين سيفي قاضي، قاضي محمد، أبو القاسم صدر قاضي



الميجر جنرال متقاعد فيض الله همايوني



محمد حسين قاضي (١٩٤٦)



على جبهة صكنيز (١٩٤٦)، سيفي قاضي يقود سيارة الجيب، مير حاج في السيارة الجيب بلباس البارازيين، جنود من جيش مهاباد وبرزانيون



مجلس الوزراء ومسؤولون آخرون، مهاباد شباط ١٩٤٦، الجالس: القاضي محمد. الصف الأول اللفتنانت علي رحمناي، كريم أحمدين، عبد الرحمن الخانة زادة، وهاب بلوريان، محمد أمين معيني، أحمد الله،خليل خسرواي، حاجي مصطفى داودي. الصف الخلفي اللفتنانت صادق حيدري، محمد ياهو، مناف كريمي، سيد محمد طه زاده أيوبيان، حسين فاروهار، عبد الرحمن ذبيحي



قرية جيانا قرب من نقادا. ربيع ١٩٤٦ من الأسفل، بعد القصف بالسلاح الأوتوماتيكي رحيم جفان مردقاضي، صلاح الدين كازينوف كاكا آغا. الاتحاد السوفيتي، سيد أحمد سيد طه العراق، قاضي محمد، سيد هرمايون، محمد رسولي، دلشاذ اللفتنانت خير الله، العراق، قولان رضاخان «قرباباغ».



إعلان الجمهورية، القاضي محمد جورجارا في الساحة في أربندان ١٣٢٤- ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٦ الملا مصطفى أسفل القاضي



مهاباد ١٩٤٦ الصف الخلفي مير الحاج - العراق - ببدلته الرسمية اللفتنانت نوري - العراق - عزت عبد العزيز - العراق - الملا مصطفى العراق، قادر بيك حفيد جميل باشا مدد بابكر بيروت. الكابتن خير الله العراق. الجالسين وهاب محمد علي آغا العراق.



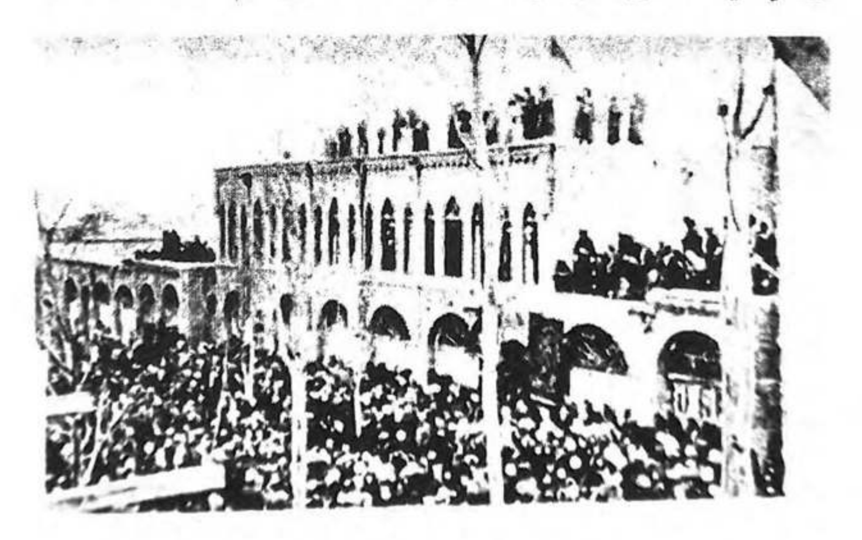
أطفال من قرية كازكازك غرب مهاباد (١٩٦٠)



مهاباد - ١٩٦١ -



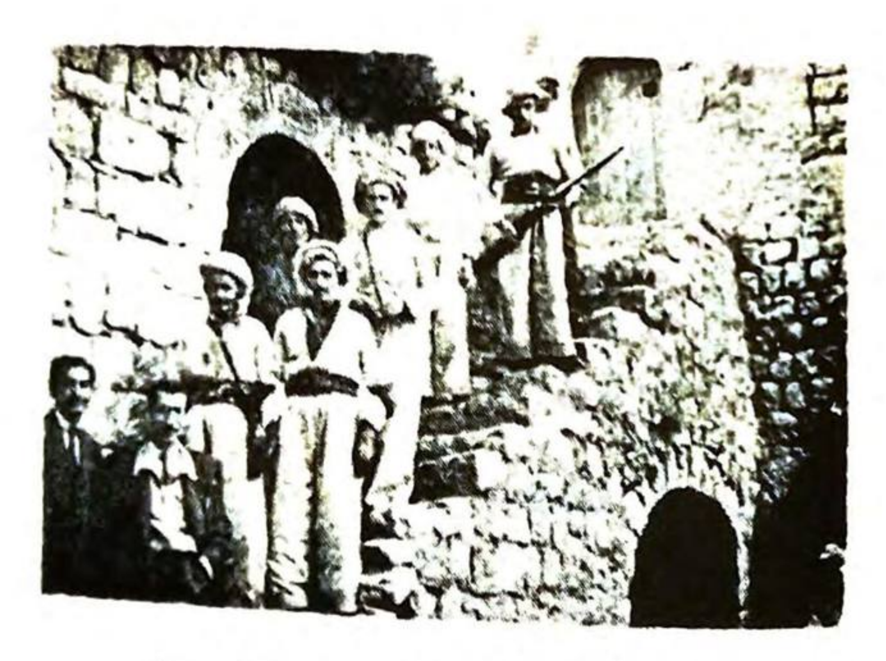
الخامس من اليسار آغا مركاسور رئيس عشيرة شيروان
(برزاني) في الأسفل مخفر شرطة دمره الملا مصطفى عام ١٩٤٥ - ١٩٥٥



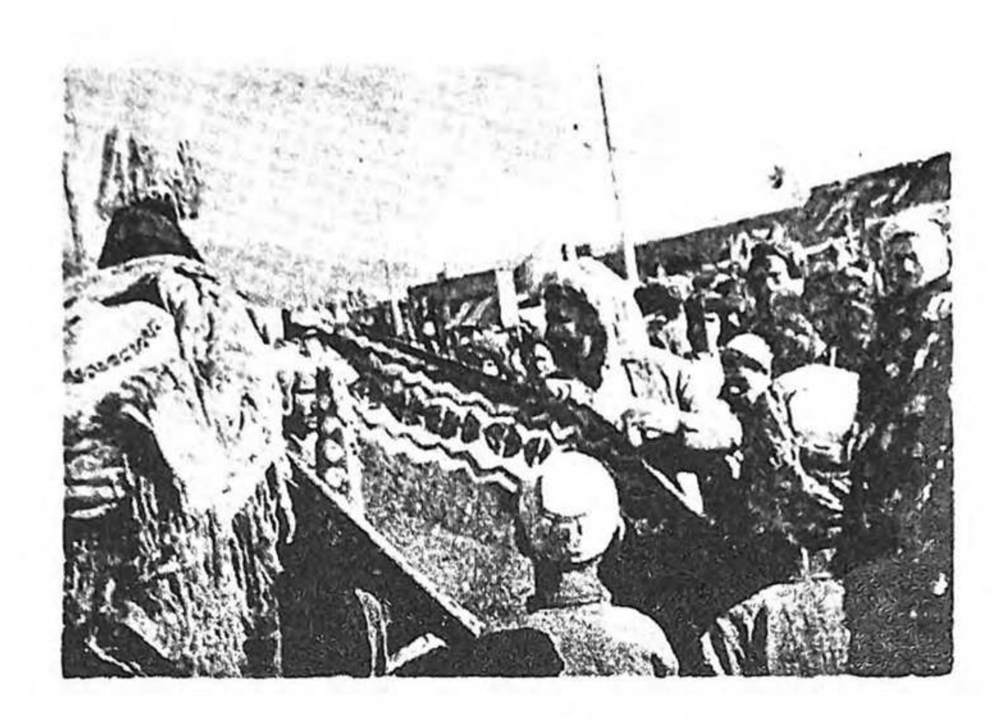
السادس والعشرين من آذار ١٧ كانون الأول ١٩٤٥
العلم الكردي يرفع بدل العلم الإيراني فوق دائرة عدل مهاباد



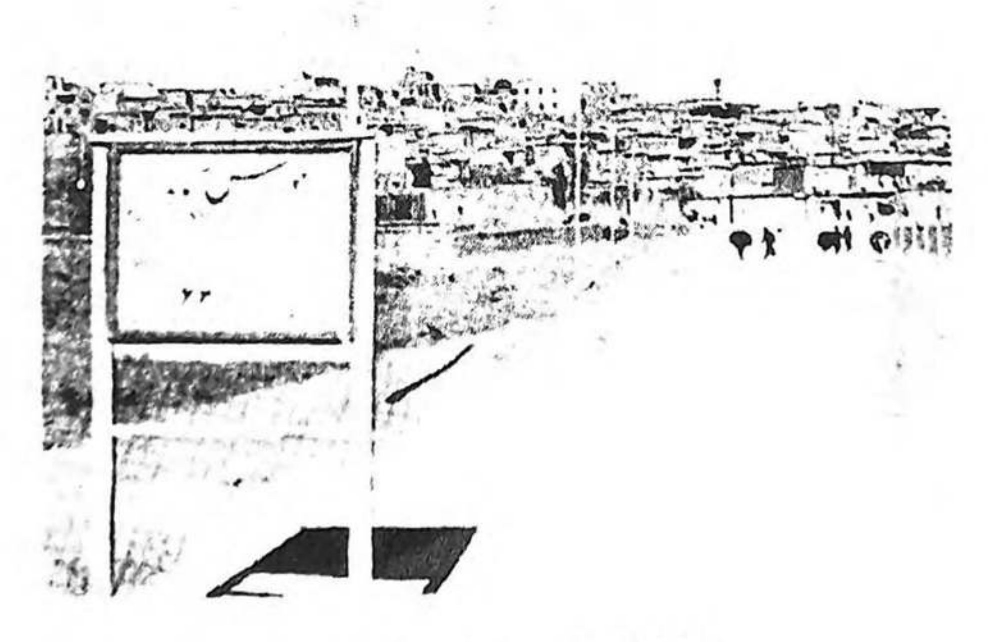
الملا مصطفى البارازاني (١٩٤٦)



في البيت الذي قصفته القنابل لشيوخ برزان (١٩٥٥)



مزاد علني في الشارع في مهاباد ١٩٦١



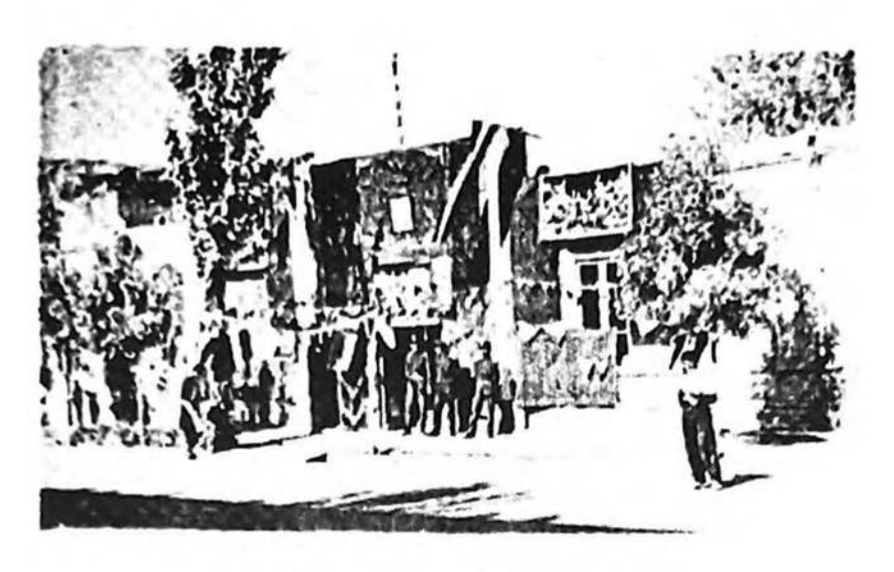
مدخل إلى صكيز من طريق بانا ١٩٦١



فقيه طلاب لاهوتيين في إحدى شوارع مهاباد ١٩٦١



فتيات كرديات من مهاباد



مخفر شرطة مهاباد (١٩٦١)



تشومي سوجي بولاقا وماهاباد بيت القاضي محمد في الجانب الأيمن الأعلى - ١٩٦١



اسماعيل آغاسمكو (في منتصف الأسفل) في ذروة نفوذه ١٩٢١



الشيخ عبد الله كيلاني عام ١٩٦١
الشيخ عبد القادر، ابن الشيخ عبد الله، الشيخ عبد الله فندي كيلاني



على طريق كردستان (العراق)



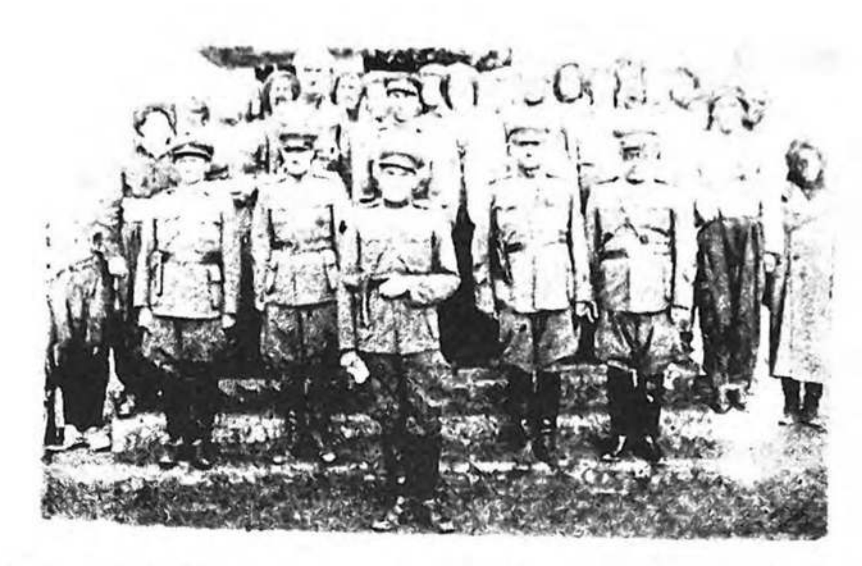
(فقراقة): ضريح من العصور الوسطى بالقرب من قم قاله يبعد ١٠ أميال عن مهاباد



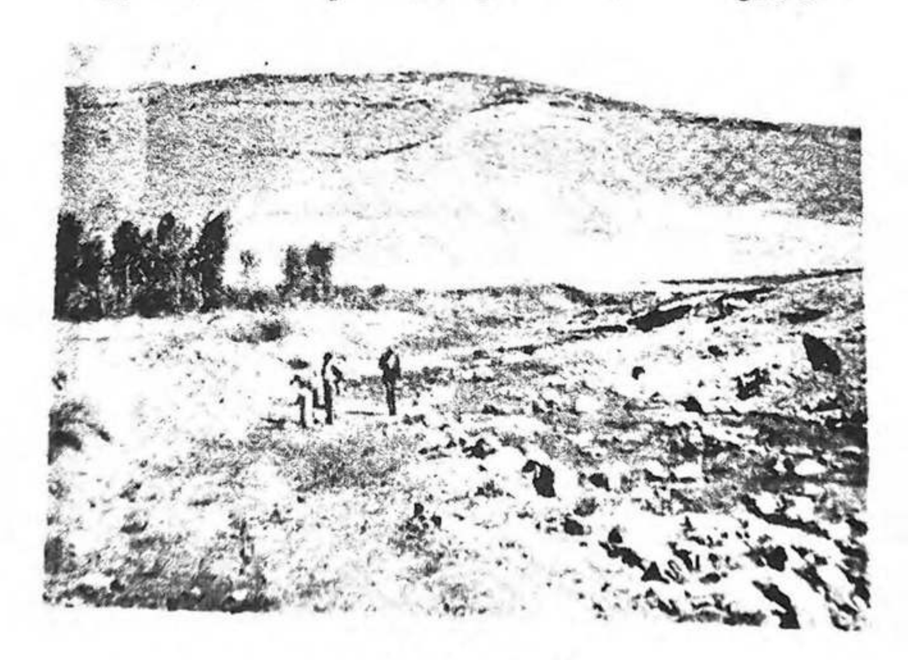
المسؤولون الأكراد في مهاباد



القسم الأسفل من قرية مهاباد والطريق المؤدية صكيز - بانه



ضباط جيش مهاباد الصف الأمامي الملازم الثاني حسين خفافي، اللفتنانت محمد طقماجي الكولونيل محمد نانا زاده، الكابتن عزيز صادقي، الكولونيل صلاح



قهراوة - ١٩٦١

# الفهرس

الموضوع الذي خاضه هذا الكتاب، هو موضوع تأسيس جمهورية "مهاباد" الكردية وأسبابه ودوافعه، والتنظيمات السياسية السرية والعلنية التي مهدت له، والرجال الذين لعبوا دوراً مهماً فيه، كما يتناول سقوط هذه الجمهورية التي لم تدم سوى عام ونصف تقريباً، والأسباب التي قادتها إلى هذا السقوط السريع.

على الرغم من الغنى التاريخي المزدحم بالحوادث والوقائع المهمة التي يخطب الباحثون ود الحصول عليها، فإن المصادر المتوفرة عنها قليلة، ولا تتناسب مع أهميتها السياسية والاجتماعية ولا مع دورها الفعال في حركة التاريخ، وتأثيرها الكبير على مجرى الأحداث في هذه المنطقة ذات الأهمية الستراتيجية، وما كتب بصدد ذلك في اللغة العربية، على الرغم من قلّته التي ذكرناها قبل قليل، فإنه كثير الاعتماد على ما ألّفه الأجانب الذين أهّلهم تطور بلادهم الحضاري وسبقها الثقافي على سبر أغوار الأحداث التي مرت بالمناطق الكردية، مما يجعلنا بحاجة دائمة إلى ترجمة تلك الكتب التي سنحت لها الفرصة بتسجيل ما فاتنا تسجيله من تلك الوقائع.

ISBN 2-84306-149-3

